

من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب

المثقفون العرب والغرب

أحمد التقى

المركز العربي للدراسات الغربية

الكتاب : المثقفون العرب والغرب

الكاتب : أحمد الشيخ

الطبعة الأولى

سنة النشر : يناير ٢٠٠٠

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٣٧٨٩

I.S.B.N .  
الت رقم الدولي .  
977-6000-00-2

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر : المركز العربي للدراسات الغربية

المدير المسؤول : صلاح الشيخ - أحمد الشيخ

العنوان : القاهرة - الالف مسكن - مصر ٤ - ١٣٧ ب

تليفون : ٤٩٣٣٤٧٦

**المثقفون العرب والغرب**



## تقديم الكتاب

في بداية العام الماضي، عندما صدر كتابنا «حوار الاستشراق»، لم أكن أتوقع أن يحظى بمثل هذه الحفاوة التي حظي بها، ولم أكن أتوقع كذلك أن يحظى بقدر كبير من سوء الفهم، كاللذى تبدي في بعض وجهات النظر، التي سادت في عدد من الندوات والكتابات أثناء مناقشة الكتاب . وحيث دعشتى هو تلك المفارقة الغريبة، فالكتاب ظهر ومن أهدافه الرئيسية العمل على تبديد سوء الفهم، هنا أو هناك، فإذا به يقع بدوره ضحية، لسوء الفهم الذى قام من أجل محاربته .

ويعد فترة تأمل، من جانبي، توصلت إلى قناعة راسخة، وهي أن الحديث والكتابة في القضايا المتعلقة بالاستشراق والاستغراب، يتضمن بالضرورة سوء فهم، شاء المرء أو لم يشا، فهذه القضايا تلقى بظلالها على طريقة التناول والتحليلات والأراء الخاصة بكل مؤلف، كما تلقى بظلالها أيضاً على القراء والمسمعين، وقبل أن يبدأ فعل الاستماع أو القراءة ! فالحوار قبل أن يبدأ تجده بالفعل محاصراً بأحكام وصور معلنة سلفاً وتتجدد مسيرةً بقدر كبير من الحماسة، أو الغضب، أو الرغبة المتجلة لإبداء الرأى في هذه القضايا الشائكة .

وربما يطرح سوء الفهم هنا قضية التفاهم وحدودها بين الثقافات المختلفة . فالنموذج العامل الذي قدمته في حواري مع المستشرقين تم النظر إليه في ندوة باريس على أنه يتضمن هجوماً ونقلاً واحراجاً كبيراً لرسور الاستشراق الفرنسي المعاصر بمختلف أجياله ، بينما تم النظر، في ندوات القاهرة، إلى الحوار على أنه يتضمن ميلاً واضحاً تجاه المستشرقين، بل ودفعاً عنهم، ومنحهم ساحة كبيرة من الكلام دون تقييد أو تنفيذ لوجوهات نظرهم. بل اعتبر البعض أن الحوار يفرض آراء المستشرقين وأذراهم على أبناء الثقافة العربية !

هذا الاختلاف فى تقييم حوار الاستشراق يطرح بالفعل ما نسميه دالما بـ«فجوة الحدود بين الثقافات»، والتي لم تعالج بعد فى ثقافتنا بالصورة التي تستحقها، ولم تدرس بعد فى أبعادها المنهجية والمعرفية.

وربما لا تكون الحدود بين الثقافات هي المصدر الوحيد لسوء الفهم الذى تحدث عنه. قد يرجع ذلك أيضاً إلى استخدامنا مصطلحات قديمة وغير معاصرة، كالاستشراق والاستغраб، بالإضافة إلى أن الزمن قد شحذنا بشحنات أيسليولوجية تجعلها موضع اشتباك دائم في هذه الفجوة أو تلك. فالسمعة التي يتمتع بها مصطلح «الاستشراق» في الثقافة العربية والإسلامية غنية عن الوصف أو التعريف. والشيء ذاته ينطبق أيضاً على مصطلح «الاستغраб» الذي يخيف ويبعي بعض الدوائر الغربية. وقد تكون هذه السمعة السيئة لمصطلحي الاستشراق والاستغраб، مسؤولة إلى حد بعيد عن تحويل الانظار بعيداً عن القضايا الهامة والمعاصرة التي عولجت أثناء هذا الحوار، والتي تفتح، في نظرى، آفاقاً جديدة في النظر والعمل ونحن على اعتاب الألفية الجديدة.

وربما يكون لفن الحوار، أو المحاجرة، مسؤولية كبيرة في هذا الشأن، فالثقافة التي يفتتح أبناؤها دائماً عن الإجابات، قبل الشواZOات، وعن الخلاصات والتالي قد يربكها فن الحوار، لأن التتابع والخلاصات لا تظهر في نهاية الحوار، فنون في ثقافتنا، وحياتها، قد تعودنا على الاهتمام أكثر بالاجوبة حتى قبل أن تستمع للسؤال، وقبل أن تضيء لنا معالمه . وتشعر أن السؤال قد يكون أكثر أهمية من الإجابات، لأنه يفتح آفاقاً أرحب نحو التفكير. ونسى كذلك أن السؤال قد يفضلى إلى توجهات جديدة تحرك العياء الرائدة ، كما أنه في أحيان كثيرة قد يحمل في طياته الإجابة التي تفتقر عنها دون أن تدرك.

وزعم، بالرغم من ذلك، أن حوار الاستشراق في الكتاب الأول، وحوار الاستغраб في هذا الكتاب، والذي تم في النصف الثاني من عقد الشمانيات، قد أفضلا

إلى مجموعة من التتابع والقضايا التي أصبحت منتشرة على نطاق واسع فيما بعد، وليس أقلها أهمية طرحتا لمسألة الاستغراب على النحو الذي قمنا به. والذى أفضى إلى جذب انتباه عدد من الباحثين، والمؤسسات البحثية، إلى ضرورة تجديد إدراكنا للغرب من خلال تأسيس مراكز بحث علمية تهتم بهذه المهمة من أجل تصحيح الخلل القائم وكان من نتائج طرحتا لمسألة الاستغراب، أن أعيد النظر في الكثير من القضايا، ومن أهمها ضرورة إدراك جديد لطبيعة البعثات العلمية في العواصم الغربية وضرورة أن ندرس المحيط الشرقي في المجالات التي يكون من شأنها تصحيح التفاوت بيننا وبينه، لأن ندرس موضوعات عربية في عواصم غربية، كما يفعل أغلب باحثينا في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية .

كما أتنا لم نلعب، في هذا الحوار، مذهب الذين يعملون على إخفاء الصراعات والتوترات القائمة بالفعل، وكتبنا في أكثر من مكان، أن التوتر الراهن الذي تشهده العلاقة بين الشرق والغرب، أو بين الشمال والجنوب، أو بين «العالم الحر» والعالم غير الحر قد يدعونا إلى التساؤل مما إذا كان هناك وهي جديدة في العالم العربي بدأ يتبلور في السنوات الأخيرة إزاء الغرب؟ وأين ينتشر أكثر داخل المجتمع العربي؟ وما هي تلك الشريحة الاجتماعية المؤهلة أكثر من غيرها لدعم هذه الرؤية الجديدة إزاء الغرب بكل ما يمثله علمياً وسياسياً وثقافياً وحضارياً؟ ثم لماذا يزبغ هنا الوعي الجديد في الشرق العربي والإسلامي. في هذه الفترة بالذات، وليس قبلها أو بعدها، وعلى آية انتصارات يقتدم هنا الوعي الجديد بالغرب؟ وبالتالي ما هي التتابع - الإيجابية والسلبية - المرافقة لانتشاره في الأمد القريب والبعيد على حد سواء؟

لا نزعم أتنا طرحتا - ونطرح - هذه التساؤلات في سياق محاباة، لأننا لا نعتقد بوجود هذا «الحياد العلمي» في قضايا تسمى إلى مجال الصراعات التي تتطلب بالضرورة تحديد موقع المحتارين أو المتصارعين، كما أتنا لا نزعم، أتنا نملك إجابات كاملة

وقطعة عن هذه التساؤلات، وإنما نحاول أن تلمس إجابات لها، وأن تشجع وتحرض الآخرين على ذلك، من أجل إضافة العديد من الجوابات المرتبطة بمثل هذه التساؤلات والتي تعتقد بأهميتها في الوقت الراهن.

من المؤكّد، بالنسبة لنا، أن هناك ما يسرّ الحديث عن ظهور وعي جديد في الشرق العربي والإسلامي، مخالف للصورة التقليدية التي نمتلكها عن الغرب منذ قرنين على وجه التحديد. ومؤشرات هذا الوعي الجديد تكمن أولاً في حدوث ما يشبه الانقلاب في صورة الغرب بصفة عامة داخل المجتمعات العربية والإسلامية، وذلك لدى قطاعات لا يمكن الاستهانة بها أو التقليل من شأنها. إذ لم تعد صورة الغرب اليوم لدى هذه الفئات هي الصورة ذاتها التي بدأت مع عصر النهضة العربية وفتح القنوات بهدف التفاعل والأخذ عن هذا الغرب المتقدم.

الآن، نجد الأمر على درجة كبيرة من الاختلاف. فصورة الغرب في مجتمعاتنا كثُرت عن سحرها القديم. لم يعد الغرب في الوعي الصريح أو الفضمى للعديد من شرائح ومشققى هذه المجتمعات هو غرب العلوم والحضارة والقيم والأداب الإنسانية الرفيعة، إنما هو ذلك «الغرب السياسي» في المقام الأول.

كما أن ما يسرّر لنا الحديث عن هذا الوعي الجديد إنما لا زراء مقتصراً فقط على الحركات الدينية المتشددة، والتي تحمل موقفاً مناهضاً للغرب بالفطرة؛ وإنما هناك أيضاً حدوث تحول جذري لدى بعض المثقفين العرب، الذين كانوا يتمسون في السابق إلى التيار العلماني، بينما هم الآن يرتكرون أكثر فأكثر على نقد التبعية الثقافية للغرب، وأنه لا ينبع الاتصال فقط على نقد التبعية السياسية والاقتصادية والإعلامية.

وهؤلاء المثقفون العرب الذين يقولون ب النقد التبعية الثقافية للغرب ليسوا من القلة، وأطروحتهم تجدر من يتبناها ويدافع عنها باستمرار. على أن أهم ملامح ظهور وعي جديد إزاء الغرب يتمثل في انحسار ظاهرة التغريب، وانحسار دور المثقفين العرب الذين

كانوا ينشرون صوراً جلابة وبراقة عن حضارة الغرب وثقافته وقيمه ومسانجه في النظر والتحليل. ومع انحسار دور مؤله «المشترين العرب»، وسقوط الاقمة الایديولوجية والشعارات السخالية من محتواها الوطني والقومي عن الحداثة والتواصل مع الشفقات الأخرى، أصبح الطريق ممهدًا لبروز مثل هذا الرهى الجديد، فانحسار «الاستشراق العربي» هو في حد ذاته دليلاً، ساطع على تبلور بديل آخر ورثي آخر للغرب.

وليس من قبيل المصادفة، أن تطرح هذه المرحلة الجديدة - من الوعي بطبيعة العلاقة مع الغرب - الكثير من الشكوك حول تكوين ومسار الوعي العربي والإسلامي منذ بداية فترة النهضة العربية الحديثة وحتى الآن، وحول الدور الذي ينهض به بعض المثقفين العرب في تكوين هذا الوعي بالغرب. كما أنه ليس من قبيل المصادفة أيضاً أن تثار الشكوك اليوم حول الدور الذي ينهض به بعض المثقفين العرب باتجاه ترميم صورة الغرب بطرق مختلفة داخل مجتمعات الشرق العربي، وللإبقاء على هنا الوعي القديم تلك الصدمة الجلادنة عن الغرب في بلادنا.

وهذا الفريق، في اعتقادنا، لا يقتصر على بعض المثقفين العرب في المهجر، الذين يحملون في مراكز أبحاث أو جامعات أو دور نشر وصحف غريبة، بل هناك من لا يزال يدعم ويزيد هذا الفريق وأطروحته داخل مجتمعاتنا، بحيث ينفعهم سوء الارضاع السائدة إلى إدراك خطأ لغة وإسقاط «معنى رايف» على حضارته وإنجازاته وقدراته التي تمتلك العلم والمعرفة والتفكير وربما كل شيء!! هنا الفريق من المثقفين العرب، سواء من هاجر منه أو من يزال يفكر في الهجرة، يعيش في الواقع ما زال حقيراً، ومن دون أن يسعى إلى الخروج منه بصورة مشرفة، ولقد سبق لنا أن ساهمنا في الحديث عن هؤلاء المستشرقين العرب، وفي تحليل الآيات عمل هذا الاستشراق العربي. ولقد تركز هذا التحليل أساساً حول المناهج المستخدمة وحول الموقف من الغرب اليوم ، من خلال مطالباً الملحة بضرورة مراجعة قنوات اتصالنا به من بعثات تعليمية، إلى مراكز ترجمة وإعلام، وصولاً إلى المؤسسات الدبلوماسية .. حيث كان هدفنا، ولا يزال، هو

تشيط وتتجدد فهمنا للغرب والمطالبة بتحديد أكثر وضوحاً لحدود التعايش ، والتمايز بين الثقافة العربية والثقافة الغربية . ولم تطلق أبداً من موقف عدائى بالفطرة لكل ما هو غربى ، بل كانت حملتنا أساساً موجهة ضد هؤلاء المستشرقين العرب ، ضد الدور الذى ينهضون به فى نطاق هذه المعادلة الصعبية بيننا وبين الغرب .

كان هذا الفريق المتغرب من المثقفين العرب ينذر حاله قائلاً : لماذا العودة من جديد إلى الحديث عن الشرق في مواجهة الغرب ؟ لم تتجاوز بعد مرحلة اصطناع كيانات وهوية لا وجود لها في الواقع ؟ ليس هذا الحديث استعادة لصياغة قديمة عن شرق روحانى في مواجهة غرب مادى ؟ ولماذا لا تقولون عالماً مستنداً في مواجهة عالم مختلف ؟ أو شمال في مواجهة جنوب ؟

في الحقيقة لم يكن هذا الفريق المتغرب من المثقفين العرب يريد رواج هذه المعادلة من جلده ، مع أنهم يعلمون جيداً أن مصطلح الغرب دائم الحضور في الغرب ذاته ، ويعلمون جيداً أن من يتابع إنتاج المثقفين في هذه البلدان الأوروبية والأمريكية يجد أن غالبية الإنتاجات الثقافية دائماً ما يتم الإشارة إليها بالارتباط مع صفة الغربى . فيقال الشعر الغربى ، الرسم الغربى ، الموسيقى الغربية ... بينما لا يريد هذا الغرب المتغرب من مثقفينا أن نشير إلى أصولنا وملامحنا وعورتنا الثقافية والروحية .

نخمن هنا مع هذا الغرب المتغرب ، نعيش مفارقة لا نعرف كيف نفسرها : بين غرب يهى ذاته جيداً ، ولا ينسى الإشارة دائماً إلى أصوله وذاته ، بينما الوجه الآخر للعملة - أي الشرق - يريدون له أن تغيب ملامحه وموته اللاتية ، وأن يتحدث أبناءه عن الشفاعة العالمية ، وعن ضرورة الأخذ والعطاء من الثقافات الأخرى ، من دون تحديد لموقع التبادل والتفاعل ، لذلك كان استيائهم واضحأً من رواج صياغة شرق في مواجهة غرب ، لأنها صياغة تبرد بعد العقائى والحضارى وتبرد أهمية الطاقة الذاتية للشعوب في الصراع الراهن .

وقد ساهم حوار الاستشراف والاستغراب، في طرح مسألة تمثيل الثقافة العربية في الحوار المقترن مع الثقافة الغربية. والتساؤل حول الكيفية التي يمكن بها تمثيل الثقافة العربية في مثل هذا الحوار الذي نعتقد بأهميته للجانبين. ومن البديهي، بالنسبة لنا، التأكيد على أن بعض المثقفين العرب في المهجر لا يمكن لهم أن يقوموا بهذا الدور الذي يمثل حقيقة وجود الثقافة العربية ، لأنهم يعيشون وضعاً حرجاً بين ثقافتين ولذتين وواقعين، وبالتالي يمنعهم هذا الوضع الحرج من تمثيل الثقافة العربية بصورة أصلية. كما أن بعضهم، خاصة الذين امضوا أكثر من ثلاثين أو أربعين عاماً خارج أوطانهم، قد وصلوا إلى مرحلة من «العالمية»! أنتشتهم لغات وأفكار وعادات ومناهج النظرة المحلية لأوطانهم الأصلية، بل لا يخجل هذا البعض من رفض البديهيات التي لا يختلف بشأنها أحد حول وجوب نظرية وروية وطنية وقومية من جهة، وروية أو نظرية خارجية إلى مجتمعاتنا من جهة أخرى.

وفي هنا النطاق ينشط هؤلاء المثقفون العرب المفترضون في تقدّم كل المقومات الأساسية والثابتة، التي تشكل هوية هذه الأمة وملامح نظرتها الوطنية والقومية، وبغيرهن الشكرك حول الجندر الحضارية العربية التي تشكل أرضًا خصبة لمقاومة السلطات الاستبدادية القائمة، وفي الوقت نفسه مقاومة هذا الغرب السياسي، ليس فقط على الصعيد العسكري والاقتصادي والسياسي، بل أيضاً على الصعيد الثقافي والحضاري.

كيف يمثل الثقافة العربية من يقوم بتقدّم مقوماتها الأساسية؟ وماذا يتبقى له بعد إقصاء هذه المقومات كي يتحاور، من خلاله، مع الثقافة الغربية؟ بالطبع ليس هناك من يرفض تقدّم الأوضاع الثقافية السائدة، أو غيرها، لكن عندما يكون النقد موجهها إلى تفكيرك البنات الأساسية لهذه الثقافة، فإن الأمر يدعو إلى التساؤل عن موقع هذا النقد ومشروعه في هذا الوقت. إذ لا يعرف المرء حقاً كيف يفسر موقف بعض المثقفين العرب في المهجر، خاصة عندما يستمع لاحدهم، في إحدى التدوات في باريس، يتحدث عن اللغة

العربية بوصفها لغة ميّة، في الوقت الذي يكتب فيه باللغة الفرنسية. كما لا يعرف المرء كيف يفسر هجوم البعض الآخر منهم على الدين، كدين في حد ذاته، وليس كحركات دينية مطرفة، وذلك باسم الدعوة إلى معركة إيمانوية . فهل هذا الفريق المتطرف من المثقفين العرب يمكن أن يمثل الثقافة العربية بمجملها، أم يمثل ما هو هامش فيها؟

الشيء المؤكّد بالنسبة لنا، أن هؤلاء المثقفين العرب في المهجر دوراً لا يستطيع أحد أن ينكره عليهم، لكنه في كل الأحوال لا يمكن أن يكون دور تمثيل الثقافة العربية في حوارها مع الثقافة الغربية اليوم. وبالتالي على الأجهزة الثقافية الغربية المهمة بمثل هذا الحوار، إذا كان اهتمامها صادقاً، أن تكتف عن الحوار مع من يشاربونها، عليها أن تبحث عما هو مختلف عنها، وإلا فلماذا الحوار إذا؟ من الأجدى، في هذه الحالة، أن يسمى المونولوج أو الحوار مع الذات.. إذ كيف يطلبون من هؤلاء المستشرقين العرب أن يمثلوا ثقافة شعريهم الأصليّة وهم على مسافة بعيدة عنها، وكيف يمكن لهم أن يقدموا صوراً عن العالم وهم غرباء عنه؟! منطق الحوار يفترض الحوار مع الآخر، وليس مع أشخاص الآنا . بالطبع نحن مع الحوار لكن نريد هذا الحوار حواراً مباشراً، مع رموز ومقومات الثقافة العربية . أما فيما يتصل بالحوار في ثقافتنا العربية والإسلامية، فالامر يحتاج إلى جرأة وشجاعة أكبر للامتناع أولاً بآن ممارستها، على أصعدة كبيرة، لا تعطى لمبدأ الحوار الداخلي الأهمية التي يستحقها . فما بالنا بالحوار مع الآخر وما يفترضه من شروط كبيرة لم تتحقق بعد لإنضاج مثل هذا الحوار، ناهيك عن عوامل ومبررات الصراع التي تحول دون بدايات الحوار الحقيقي.

كان من المفترض أن يحمل هذا الكتاب اسم حوار الاستغراب، كامتداد لكتابنا

الأول «حوار الاستشراق»، لكن واقع أننا نستخدم مصطلحات ثالثة والثالث، فضلاً عن تقبلاها على كثير من القراء، جعلنا نختار عنواناً معايناً وهو «المثقفون العرب والغرب»، ورغم شيوخه إلا أنه أكثر انتباهاً على مضمون الكتاب ومرفق مشقيننا من الغرب اليوم .

### أحمد الشيخ

القاهرة : ٢٣ شوال ١٤٢٠ هـ

٣٠ يناير ٢٠٠٠ م

---

تمت أغلب هذه المحوارات، في النصف الثاني من عقد الثمانينيات، ونشرت في مجلة الفرسان، ومجلة الأسبوع العربي. حواري مع ركي نجيب محمود، فؤاد زكريا، فتحى رضوان ، محمد عزيز الجبائي، مصطفى صقران، أنور عبد الملك، على فهمي خشيم، السيد ياسين، الحبيب الجetchان، علال سيناصر، سميح فرسون، كرم خلله، ربيه بيضي، أمين مطر، نشرت جميعها في مجلة الفرسان، أما حواراتي مع محمود القيس، محسن مهدى، أنور لوقا، عز الدين قلور، والقسم الآخر من حواراتي مع فؤاد زكريا ، فقد نشرت بمجلة الأسبوع العربي ، ولم تنشر من قبل حواراتي مع أنطوان المقدس، ومحمد التيرب وندوة المركز العربي للدراسات الغربية مع حسن حنفى في باريس (١٩٩٠) .



**زكي نجيب محمود**

**خلافنا مع الغرب وهم متبدل**



الحديث مع ذكي نجيب محمود له متعته الخاصة ، فنحن هنا نتحاور مع مفكر يتميز بأسلوب أدبي رفيع عندما يصوغ أفكاره ، بحيث تجد أنفسنا أمام مفكر انتضحت أفكاره لنفسه ولقراءه ، فهو لا يتحدث إلا عندما يكون القالب الذي يخرج فيه الحديث على قدر من الوضوح لا يحمل أدنى درجات الالتباس ...

والحديث مع ذكي نجيب محمود له أهميته الخاصة أيضاً وهي أهمية لا تتبع فقط من كونه أبرز المفكرين العرب حضوراً واتجاهًا على مدار أكثر من نصف قرن أغنى فيها المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات في حقول الأدب والفكر والفن ، بل لأنه كذلك أحد الم CONTRIBUTORS الهامة التي أدركنا من خلالها الغرب عبر ترجماته ومؤلفاته وما اشتملت عليه من مواقف تعبر عن إدراكه معين للغرب ابتداء من كتابه الصغير «الشرق الفنان» وحتى كتابه الأخير في تجديد الفكر العربي .

وموقف ذكي نجيب محمود من الغرب موقف متميز ومثير للالتباء ويستحق أن يُروى بلغة صاحبه ، إذبدأ بداية بها ميل شديد نحو الغرب أثناء مرحلة الشباب والدراسة ، وكما يصف في سيرته «قصة عقل» : «كان منطلقى منذ الأربعينيات فصاعداً فى وجوب الأخذ عن ثقافة الغرب منطقاً بسيطاً لا تعقيد فيه ولا التواء ، فما دامت قد رأيت فرقاً شاسعاً بيننا وبينهم فى الحفاظ على حقوق الإنسان وكرامته ، وفي تقدم العلوم والفنون ، وفي درجة النقاء والرخاء ونظافة العيش ، ووزارة الإحسان بالحياة ، فلماذا لا ننقل إلى أرضنا مثل هذه الشجرة الفيّانة المورقة المشمرة ، لعلنا نفني إلى ظلها ونأكل من

ثمارها . . . لم تكن تدعونى إلى ثقافة الغرب صيحة مجنونة مفتونة بظواهر كاذبة ، بل هي دعوة دفعت إلية ما رأيته من مكانة رفيعة للإنسان ، كل إنسان من حيث هو إنسان وكفى ، فسندلاً قارنت - رغم أنفي - بين ما رأيته هناك وما كنت أعلم عن قيمة الإنسان في ثقافتنا . . . وبعد انتهاء دراسته أخذ يدعو إلى افتتاح آثر الغرب في جميع التواحي . وكتب كتابه الشهير « شرور من الغرب » داعياً للافتتاح على حضارة الغرب كمصدر وحيد للنهضة . ويشير في « قصة عقل » إلى موقفه في هذه الفترة : « لم أكن في تلك الأيام أفرق بين ما يجور نقله عن الغرب وثقافته وما لا يجور ، بكل ما عندهم واجب النقل إلينا مادمنا بحاجة إلى نتائجه . . . هكذا كان الرأي عندي حتى لقد بلغت فيه حدوداً من التطرف لم يعرف لنفسه حيلة أو حذراً . . . وقد وصل زكي نجيب محمود بالفعل إلى القول بأن الرسالة الوحيدة التي يتضمن بها من التراث هي « أن يلقى في النار » ، وأنه « لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بثنا التراث بتراً ، وعشنا مع من يعيشون عصرنا علمًا وحضارة ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم » ، لكن مع مروره من مرحلة الشباب إلى مرحلة التفريح والحكمة بدأ يتتحول من جليد . وقد عبر عن بداية هذا التحول في مقدمة كتابه « تجديد الفكر العربي » : « لم تكن قد أتيحت لكاتب هذه الصفحات نفس معظم أعمامه الماضية فرصة طريلية الأمد ، تمكّن من مطالعة مصحاب تراثنا العربي على مهل ، فهو واحد من أشرف المثقفين العرب الذين فتحت عيونهم على فكر الأوروبي - قديم أو جديد - حتى سبقت إلى خواطيرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه ، لأن عيونهم لم تفتح على غيره لشاء ، ولبيث هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعواماً بعد أعوام ، الفكر الأوروبي دراسة وهو طالب ، والفكر الأوروبي تدرسه وهو أستاذ ، والفكر الأوروبي سلطاته كلما أراد السليلة في أوقات الفراغ ، وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئ إلا أصوات منكمة متاثرة ، كالأشباح الخامسة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين » .

وأصبح تفكير زكي نجيب محمود منذ عام ١٩٧٠ يمحور حول سؤال طرحة ساعياً

أن يجد له جواباً مقبولاً وهو : كيف نواسم بين ذلك الفكر الوائد الذي بغیره يفلت منا عصرنا أو نفلت منه أو في صياغه « أخرى له » : كيف السبيل إلى ثقافة مجلدة ، يعيشها مختلف حى في عصرنا . هذا ، بحيث يندمج فيه المقول والأصيل في نظرية واحدة ؟ وبين تراثنا الذى بغیره نفلت منا عروبتنا أو نفلت منها ؟ وحاول جاهداً اكتشاف هذه الإجابة ، فى كتبه الصادرة بدءاً من هذا التاريخ : تجديد الفكر العربى (١٩٧١) ، المقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى (١٩٧٢) ، ثقافتنا فى مواجهة العصر (١٩٧٦) ، مجتمع جديد أو الكارثة (١٩٧٨) فى حياتنا العقلية (١٩٧٩) م ن زاوية فلسفية (١٩٧٩) هذا العصر وثقافته (١٩٨٠) ، هموم المثقفين (١٩٨١) ، قشور ولباب (١٩٨١) ، قصة عقل (١٩٨٣) ، قيم من التراث (١٩٨٤) ، عربى بين ثقافتين (١٩٩٠) ، حصاد السنين (١٩٩٢) ، وعبر هذه الكتب العديدة وغيرها مما لم نذكره خاصة « الشرق الفنان »، وجد ركي نجيب محمود الإجابة عن تزاولاته فى الفول بثنائية حضارية أو ثقافية على أن يكون التراث العربى الإسلامى هو الطرف الأول من هذه الثنائية المقترحة ، وثقافة العصر (الغرب) هي الطرف الثانى ، وعبر التوفيق بين هاتين الثقافتين تكون عربياً بتراثنا ومعاصرينا بالقضايا والمشكلات التي نعيشها ، وبذلك نستلهم التراث ونحتك بالغرب احتكاكاً يجعلنا نأخذ ما عنده ونعطيه ما عندنا .

ويقدم ركي نجيب محمود فى كتابه « ثقافتنا فى مواجهة العصر » نموذجاً بلينا لهذه الثنائية الحضارية والإمكانية التوفيق بين ثقافتين . ويرى أن الموقف الحضاري للأمة العربية اليوم يتركز فى سؤالين ، الأول هو : ماهى أهم العناصر التى تعنىها حين تتحدث عن الشخصية العربية الأخصية ؟ أما السؤال الثانى فهو : ماهى أهم العناصر التى تتألف منها بنية الثقافة المصرية ؟ ويقدم طائفة من المقومات الأساسية الضاربة بجذورها فى أعماق تراثنا يقابلها موقف مضاد للحضارة التى نعاصرها (الغربية) ، وحاول أن يبين فى كل حالة من الحالات التى ذكرها كيف يمكن أن تحدث المصالحة بين القديدين فى قضايا تتعلق بالموقف إزاء الله والكون والإنسان وتجاور الواقع السادس إلى ما وراءه

من غيب ، والتعامل مع الطبيعة المكانية ثم لغتنا التي تحمل ميراثنا في أوعيتها . ومن خلال هذه المقومات أو النماذج قدم ركي نجيب محمود - كما يقول - ما يشبه الخريطة لما يمكن عمله، توفيقاً بين الأصالة والمعاصرة .

من هنا المنطلق كان الحديث مع ركي نجيب محمود ضرورياً في نطاق الحوار مع مفكرينا العرب عن موقفنا من الغرب اليوم . ورغم متابعته الصحبة فقد استقبلنا ركي نجيب محمود بترحاب كبير ووافق على أن نجري معه حواراً حول قضيائنا يعلم مسبقاً أنها لا تفترض حواراً هادئاً ، وحاولنا قدر الإمكان أن لا نرهقه بكثير من الأسئلة حتى لا تقطع عليه أسلوبه الجميل في صياغة أفكاره . ولأنه لم يعد في مرحلة صحية تسمح له بالإصغاء العميق للتساؤلات التي تفتح مجالاً للخلاف .

◆ قبل أن أبدأ الحديث عنه طرحت أمامه التساؤل الذي انتهى إليه بعض أقطاب الاستشراق المعاصر من أنه لا توجد دراسات ورؤى من الشرق إزاء الغرب توارى ما أعطاه الغرب من أبحاث ودراسات عن الشرق . طرحتنا هذا التساؤل على مفكرينا الكبير وسائلنا إن كان يقبل ما طرحو المستشرقون أم يتعرض عليه فقال لنا :

● تعميم الادعاء السقائي بأننا هنا في الشرق العربي لا ندرس الغرب بمثيل ما يدرستنا الغرب ، فيه تجاذر للواقع ، ذلك أننا إذا استعرضنا الفكر العربي منذ أول القرن الماضي - عندما افتتحت أبوابنا على الغرب - لوجدنا أنفسنا طوال هذه المدة نقل عن الغرب ما استطعنا نقله ولم يكن هذا النقل مجرد ترجمة لما يكتبهون وإنما هو درس لما يكتبهن ، وبالتالي تحويل وتبديل وتفسير وبث لوجهات نظرنا داخل عمليات النقل هذه . بل إننا لو حملنا ما يعرض على طلابنا في المدارس والجامعات لوجدنا أن الكثير جداً من المادة المعروضة هي ذاتها ما يعرض على الطلاب في الجامعات الأوروبية ، فنحن لم نتردد في الأخذ عن الغرب كل ما يتتجونه من علم وتصور فنية وأدبية والكثير من النظريات السياسية أو الاقتصادية أو حتى الاجتماعية . كذلك الآداب الغربية كالآداب الفرنسية

والادب الانكليزى تجد لها في جامعتنا انساماً خاصة فضلاً عن أن أقسام الادب العربى تدرس لطلابها كل المذاهب النقدية الموجودة في أوروبا وأمريكا . كل فلسفات الغرب أيضاً بجميع تياراتها تجدها موضوعاً للدراسة عند طلابنا بصورة رسمية على أيدي أساتذة أفضل يستقرن شيئاًً ومذاهب . فهناك من يحضن الروحية وهناك من يحتضن الظاهرية (الظواهرية ) وهناك من يحضن البراجماتية ، وهكذا تكون الحصيلة التي يخرج بها طالب الفلسفة هي حصيلة فيها هذه العناصر كلها . فيكون الطالب على دراية بما ي قوله الغرب في هذا الاتجاه أو ذاك . ثم إذا تركنا هذه الشرائح الدراسية الجامعية بمختلف أنواعها وتساءلنا في نطاق الفكر العام والثقافة العامة . ماذَا نكتب نحن في صحفنا ومجلاتنا ذات المستوى المقبول ؟ إننا نكتب في الغالب عن أمم ما يقال في الغرب من مختلف المجالات . فإذا حدث تحول في الرواية في اتجاه ما . يكتب عندها عن مثل هذا التحول الجديد ، وكثيراً جداً ما يصادف هذا التحول هوئيًّا لدى أديب لنا فيحضن هذا الاتجاه الجديد ويشئ عليه هذا الأساس ، فإذا تصادف أن انحراف الفن المسرحي أو فن الشعر انحرافاً حديثاً في بعض الأداب الأوروبية وجدنا بين أدبائنا من ينقطق هذا الخطط الجديد ويصطفعه لنفسه في ما يبدع .

نعلم جميعاً أن ما يسمى بالشعر الحديث في الوطن العربي هو انعكاس لبعض التحولات التي طرأت على الشعر في الغرب وهذا ينطبق على سائر فروع الأدب ، وهكذا فما من ميدان من ميادين السياسة والاقتصاد والتعليم في الغرب إلا وله صدأه عندنا سواء قبلناه أو عدناه . وبالتالي لا يمكن أن نقول إننا هنا - في هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة - في واد والغرب في واد آخر . وليس صحيحًا أن يقال إننا في هذا الجانب من حياتنا على غير وعي بما يتوجه الغرب أو على غير دراسة نقدية لما يتوجه ... وربما كان القائلون من أبناء الغرب وعلمائه بأنهم يدرسوتنا ونحن لا ندرسهنا إنما يقصدون هذا الجانب الذي يمس الرقى الثقافية الخاصة . وهنا نقول : نعم ، قد حدث أن كثيرين من السادة المستشرقين قد تولوا هذا الجانب من بالدرس أكثر مما توليناه

نحو بالدرس في هذا الجانب من الحياة ، الذى يشمل دنيا القيم التى يبنى على أساسها جانب كبير من نشاطات الحياة اليومية العامة والخاصة .

ففي إطار القيم بما تشمله من عقيدة دينية أحياناً وتقاليدنا التاريخية أحياناً أخرى يوجد الاختلاف بينا وبين الغرب ، وهذا أمر طبيعى ، لأن الغرب نفسه إذا نظرنا إلى شعوبه وجدنا بينها زوابيا من الاختلاف حادة أحياناً ومنفرجة أحياناً أخرى فليس الانجليزى فى رؤيته العامة والخاصة كالفرنسى ... وبالتالي فى مجال القيم حدث وب يحدث شيء من سوء التصور المتبادل بيننا وبين الغرب ، في بينما هم يتصورون تراثنا لأنفسهم كما يحلو لهم ، نحن أيضاً نتصور عنهم ما نتصور عن طرائفهم فى النظر والحياة .

◆ هل سوء التصور المتبادل الذى أشرت إليه يطرح أمامنا مشكلة حدود التعايش الممكنة والمستحيلة بين العقليتين العربية - إذا جاز التعبير - والعلقانية الغربية ؟

● الحقيقة التي لا مرأء فيها هي أن الذى وسع هذه الفجوة الخلافية بيننا هو ظن ممزوج بكثير من الوهم عندنا وعندهم على حد سواء . وهذا الظن مرجعه وهم يقول بأن العقلية العربية مختلفة من أساسها عن العقلية الغربية وذلك ما أرفضه رفضاً قاطعاً ، فليست العقلية العربية مغرة في الدروشة الصرفية كما قد يتصورون وإنما يتميز العقل العربى بأن جمع بنطrote بين العقل والوجودان بدرجة انعكست في ثقافته أكثر جداً مما انعكست في أية ثقافة أخرى ، فإذا جاز لـنا أن نقول إن وجهة نظر الغرب إنما هي استمرار للرؤى اليونانية والتي هي رؤى منطقة الأطار ، فيها تحليل وفيها استدلال لنتائج من مقدمات ؛ ثم إذا جاز لـنا في الوقت نفسه أن نقول إن هناك ثقافات قيمة أخرى قامت في الشرق الأقصى وكان قيامها على أساس الرؤى الحدسية المباشرة التي لا استدلال فيها وإنما خبرة حية مباشرة وإدراك بال بصيرة كما هي الحال في إدراك الفنان أو المتصوفة ، أقول بعد ذلك أن العقل العربي كما ظهر في تراثه فقد مارس الرؤيتين معاً

في حياة واحدة ، وإذا كانت هذه المزاوجة بين عقل ووجودان هي التي مكنت العرب من أن يقبل الفلسفة اليونانية بأسرها من جهة وأن ينقل التصور الهندي والفارسي من جهة أخرى ، فمعنى ذلك أنه بهذه القدرة ذاتها يستطيع العربي الآن أن يعيش في الوقت نفسه قدوله وأدابه . هذا هو الأمر الواقع الذي أجد أن كثيرين من مفكري الغرب وكثيرين من مفكري العرب لا يرون على حقائقه ، فيما يظن المفكر الغربي أننا لا نستطيع بطيئتنا أن نهضم حضارته وتقاليفه ، نرى بعض مفكرينا أيضاً يتصورون أن الغربي من جهة أخرى لا يستطيع أن يربانا على حقيقتنا . ولعل بعض السر في هذه المغالطة أو الرؤية الخاطئة من الطرفين معاً هو الظن بأن الإسلام شيء مختلف كل الاختلاف عن المسيحية واليهودية مما يجعل العربي يتصور أننا من الناحية الثقافية على قدر كبير من الاختلاف عنه ، لكن إذا هم أمعنا السظر في هذه الديانات الثلاثة ، ورأوا فيها أوجه التكامل بدلاً من أن يبحثوا فيها عن أوجه التباين لرأوا أنها جميعاً كلمة جمعها كلمة إلهية واحدة جاءت بتغيرات مختلفة وبنفسها أبلانا جميعاً هو إبراهيم عليه السلام .

◆ في بداية الحديث عندما طرحت عليك ما ي قوله بعض المستشرقين من أنا لا ندرسه في الغرب مثلما يدرسوننا في الشرق . إجابتك هي أن ما ندرسه في مدارستنا وجماعتنا هو ذاته ما يدرس في الغربية وأنتا في مجلاتنا وأجهزتنا الإعلامية والثقافية نقل للقارئ العربي صوراً عن أهم ما يقال عن الغربية ، حتى أنه إذا حدث تحول هناك في هذا المجال أو ذلك وجدتنا صاده لدى كتابنا ومفكرينا وفنانيتنا . لكن لأننا نعتقد أن في هذا سوء فهم لأنفسنا باختيارنا ليس في هذا التقليل - الذي طال أمده - نوع من التعبية لثقافة الغربية وسوء فهم له ولنا ؟

- الواقع أن حضارة العصر ، وما يطمعها من وجه ثقافي ، لابد بحكم الضبورة أن تكون بنوعاً موحداً لكل الشعوب التي تعيش في هذا العصر وهو ضرب من المحال أن ينطوي شعب من الشعب على رثاء الحضاري غالباً يصره عن حضارة العصر لأنه حتى

لو فعل ذلك فسيجاً باسلحة العصر تغزوه في دقيقة واحدة ، وبالتالي علينا أن نأخذ من هذا البيواع الحضاري الموحد بقدر طاقتنا على الأخذ ولا أرى عيباً في ذلك لأن الأمر مطروح أمام الجميع ، فالمسألة ليست تبعية وإنما مشاركة حضارية ، وهذه المشاركة لا تمنع شعراً من الشعوب من الاحتفاظ بهويته الشخصية لأن هذه الهوية قوامها فروع أخرى تضاف إلى التيار الحضاري العام ، فالهوية تظهر في ما نفرد به .

◆ لكن كيف يظهر ما نفرد به وأخطار النقل والأخذ عن البيواع الحضاري الموحد ما دالت طاغية وتهدى بإغراق كل الخصائص التي نفرد بها وتشكل هويتنا الوطنية والقومية عبر السنين ؟

● ليس هناك شك . في أن البيواع الحضاري الموحد مركزه الغرب اليوم ، لكن قد لا يجرح هويتنا أن تشارك بالأخذ من البيواع لأن مركزه الغرب . في اعتقادى أن البيوع ليست فى العلم ولكن فى الثقافة التى تشكل الهوية التى يبغى أن ينفرد بها كل شعب ... فالعلاقات الأسرية عندنا لها طابع معين . في إنجلترا لها طابع آخر ، فلو قلدت ما عندهم في أسرتي وكانت تبعية عميماء . لكن إذا درست فلسفة العلم عند «راسل» هل نسمى ذلك تبعية ؟ لا أعتقد ذلك لأن فلسفة العلم موضوع مشترك بيني وبينه ، وبالتالي لا أرى أن هناك تبعية بأى معنى من المعانى في العلوم وإننى أتساءل : هل نستطيع أن نتخرج علمًا وحدنا ؟

◆ هذا عن العلوم الطبيعية لكن ماذا تقول في العلوم الإنسانية التي موضوعها البشر بما تعنيه كلمة البشر من أبعاد متناقضة ومتصارعة ؟

● لا تبعية في العلوم الإنسانية أيضا . تنشأ الاختلافات فقط عند التطبيق العملي لهذه العلوم ، فإذا قلنا إن الإنسان متنافس ومتنازع بفطرته مع الآخرين ، فهذا قول ينطبق على الشرقي والغربي معاً ، لكن عندما نتحدث عن صور هذا التنافس والتنافس نجد هناك إمكانية للحديث عن الاختلاف والهوية .

## ما الذي يشكل هذه الهوية في تصورك ؟

في حياة الإنسان مواقف هامة تقضي بردود أفعال معينة إزاء الميلاد والزواج والموت ، ومثل علاقة ربة الأسرة بأفرادها ، علاقة الجار بالجار ، وعلاقة كبير السن بصغر السن . . . أمثل هذه المواقف عادة ما يكون لها ردود أفعال تقليدية يتعارض عليها كل شعب على انفراد ، ومن مجموعة ردود الأفعال على هذه المواقف تكون هوية هذا الشعب ، أضعف إلى ذلك علاقة الإنسان بالغيب . وبما يسمى بأولياء الله الصالحين ، أو علاقة الإنسان بحاضره وأثراه التاريخية . . . كل هذه الأشياء وغيرها يمكن جمعها وتحليلها فتجد فيها الميدان الذي منه تتبادر الملامح القومية التي تشكل الهوية . . . فإذا كان هناك فرح وما تم في نفس اليوم وفي نفس المبني فمن الذي يدخل السبيل أيام الآخر ؟ من البديهي أن يكون رد الفعل عندنا أن أصحاب الفرح يُجلون احتفالاتهم وصمتون إكراماً لأهل الماتم وليس العكس ، هذه رؤية ورد فعل وقيمة من القيم ربما قد لا يوافق عليها الإنجليزي مثلاً . . . وهكذا فإن أمثل هذه الأشياء هي التي تحدد الهوية في القيم وفي السلوك .

## ◆ ماذا عن دور التراث في تكوين هذه الهوية ؟

● التراث يعطينا عدة أشياء لا غنى عنها في تكوين الهوية ، أهمها اللغة وفي تصورى أنه أهم جانب في هوية الإنسان لأن لغته هي عقله وهي وجدانه ، هي ملتقى الفراعنة معاً ، فمن التراث نأخذ اللغة جاهزة ولا نصنعها ، ونأخذ منه كثيراً جداً من قيم الحياة بمعنى ماذا يكون الأنفضل ؟ ما الذي يجعل الإنسان بطلاً أو نذلاً ؟ ما الذي يجعل الرجل فاضلاً وما الذي يبعده عن الفضيلة ؟ وهكذا نأخذ من التراث هذا المقياسى أى مجموعة القيم المقبول منها والمفترض أيضاً .

◆ من خلال استقراءك لمجمل التروط السياسية والثقافية السابقة في العالم العربي اليوم ، هل تعتقد أن هناك مؤشرات تشير لرؤية جديدة و موقف جديد من الغرب يختلف

## عن الموقف الذي اتخذه مثلاً بداية النهضة العربية والافتتاح على الغرب !؟

● أفراد الجماعات المتطرفة في الدين من حيث المظهر الذي يتخذونه والمنحر الفكري الذي يعادون به الغرب وما إلى ذلك هو في نظرى نابع أساساً عن قهر حضاري ، يعني لم نستطع أن نفترض أن نخرج من بحر الحضارة المعاصرة لنكون مع هذا الغرب تحت سقف واحد فاردونا أن ندافع عن هذا العجز بأن جعلناه مذهبناً واتجاهناً، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية في هذه المرحلة بالذات من حياتنا هناك اضطراب اجتماعي واقتصادي وسياسي نشأ نتيجة ظروف كثيرة من بينها زرع اسرائيل في هذه المنطقة ، وصعوبة التحول من القديم إلى الجديد بسرعة كافية ، ولكن فوق هذا كله في عقيدتي إن هذه الجماعات لجأت إلى ما لجأت إليه صدوراً عن جهل وعدم الاطلاع الكافى بالقراءة والسفر ، ولو علموا بما كان ينبغي أن يعلموا به لانقضى الكثير من هذه الأوهام التي يعيشونها .

**فتحى رضوان**  
**كراهيتنا للغرب مشروعه**



فتحي رضوان من الشخصيات الهامة في التاريخ السياسي والثقافي لمصر . والدور الرائد الذي نهض به على مدار أكثر من نصف قرن لاختلف شأنه الكثيرون سواء قبل ثورة ١٩٥٢ أو بعدها . فعندما تخرج في الجامعة عام ١٩٣٣ انخرط في العمل الوطني ، وقاد مع زميله أحمد حسين تيار " مصر الفتاة " الذي جذب الشباب نحو العمل السياسي والوطني . . . وعندما قامت ثورة ١٩٥٢ كان فتحي رضوان في السجن فخرج منه إلى الوزارة وحمل ولبروا في عدة وزارات من أهمها وزارة الثقافة والإرشاد القومي . وأصدرت وزارة الثقافة في عهد فتحي رضوان مجلة "المجلة" في يناير ١٩٥٧ ، ومجلة نهضة إفريقيا ، وأنشأ مركز الفنون التشكيلية كأول مؤسسة علمية لتسجيل التراث الشعبي بمختلف أنواعه . وفي هذه تم إنشاء " البرنامج الثاني" في الإذاعة وهو برنامج ثقافي . وتم إنشاء معاهد لللبالية والموسيقى والسينما ومسرح للمرأة . وذلك في الفترة من سبتمبر ١٩٥٢ حتى ترك الوزارة في أكتوبر ١٩٥٨ .. ألف فتحي رضوان أكثر من ثلاثين كتاباً في مجال الترجمة والسير ، والدراسات الوطنية والقومية والإسلامية وفي مجال الأدب والفن ، ومن أهمها : غاندي ، محمد الثانى الأعظم ، مصطفى كامل ، هذا الشرق العربي ، الإسلام ومشكلات الفكر ، فلسفة التشريع الإسلامى ، عصر ورجال ، مشهورون ومتبويون ، موسوعة تأليف كتاب ، شائع ونافع ، يوميات محام صغير ، الخليج العاشق . كما كتب فتحي رضوان ، على امتداد نصف قرن ، مئات المقالات الأدبية بعضها صدر في كتب ، وبعضاً الآخر يتمنى من يجمعها ويصلوها في كتاب .

أما موقف فتحي رضوان من الغرب فيمكن رصده من البدايات الأولى لفترة الشباب حين تذكر ، بعد تخرجه من الجامعة ، في عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين من طركيو

حتى الدار البيضاء . ثم بعد ذلك مع تطور وعيه الفكرى والسياسى، حين وصل إلى  
فهم عمق معنى الثقافة القومية، فهو يقول :

... لا أعني بالثقافة، الجامعات، ولا مدى انتشار العلم بين أفراد الأمة، إنما  
أعني الثقافة القومية التي هي خليط من العقيدة والتراكم الموروث، فهو حينما  
تكون نابضة حية ويكون الشعب متancockاً قريباً، لا تغدو إلى الأحداث ولا تهزء المحن،  
بل إن هذه الثقافة ذاتها تدفعه إلى العمل والإبتكار والتجديد ثم تهوى له فرص الفيض  
على غيره من الأمم ... وإذا أردنا أن تحمى أنفسنا من الاستعمار باتواهه الثلاثة،  
السياسي والاقتصادي والعسكري، وأن نحصتها منه، فلهم ثقافتنا وإنجلزها أساساً  
لحياتها، تعكس صورها في أهيادنا، وفي حياتنا اليومية، وفي حياتنا العامة . فالثقافة  
القومية هي خط الدفاع الأساس الذي يسبق الخطوط الاقتصادية والعسكرية، بل هو  
الخط الذي يحمي تلك الخطوط، أو إن أردت الدقة هو الذي يخلوها خلقاً . (الهلال -  
يناير ١٩٥٦) .

ويحدّد فتحى رضوان موقفه من الغرب، في تاريخ لاحق، بصورة أكثر وضوحاً  
وحسماً عندما تحدث عن «عرب الحضارات» حيث يرى أن ما يتلذب به قلب الاستعمار  
الغربي من مطبع هو طمس الحضارة الخاصة ببلادنا والتي نشأت على شاطئ النيل  
ودجلة والفرات، وانتشرت في الدنيا كأنها في عصور موجلة في القدم، وحملت أسماء  
عديدة فرعونية، يونانية، رومانية، عربية، هنانية، كما حملت أسماء أخرى :  
إسلامية، سيسية، يهودية، انتزاع جنور هذه الحضارة، يؤدي بطبيعة الحال، إلى  
القضاء على أقوى عناصر المقاومة في منطقة الشرق العربي، لأن هذه المنطقة بعد  
إنقطاع صيتها ببعضها البعض، تiser إندياجها في الغرب، وذريانها في منطقه،  
واصطدام أساليبه ومناهجه، وانعدام الإحساس بالمعدون العاصل عليها، بإعتبارها امتداداً  
للغرب .

ويرى فتحى رضوان أنه بالفعل «منذ بدأ عملية تفريب العرب»، ونسج لهم  
تدربيجاً، وبدأ واستمرار من أصولهم الثقافية، وسماتهم الحضارية .. وإذا اتخذنا  
مصر، وما تم فيها، نموذجاً لتطبيق قواعد عملية التفريب وفتح أبواب الثقافة الأوروبية  
لتلتهم كل ما هو عربي وما هو شرقي، وتأكيد ترسين كل ما هو أوروبى،

وكل ما هو غربي، وإقامة العقبات والحواجز في وجه إحياء الماضي أو بعثه، فإننا نجد أن الخطورة الأولى في هذه الخطة هي تسيير الجيش وتأليف قوة مسلكية ضعيفة تكون بلا سلاح، قوامها جنود مرضى ومهلة وفترة يرأسهم ضباط لا يمرون من العلم العام إلا قشوره، ومن العلم العسكري إلا السير في المراكب وحمل بنادق فارقة من الذئبة، وسيؤدي لامة لم تستعمل قط ثم ذلك الأسطول المصري، وبعده لشركات أجنبية وتحوله إلى شركة ملاحة تجارية .. (الهلال - بيونية ١٩٨٣).

وتحت رضوان يطلقون عليه، في مصر، لقب «شيخ المناضلين» ويرغب أن اللقب يحمل قدرًا من الإثارة لافتقار مع ماليته الفضائل والكافح إلا أن الذين يعرفون هذا الرجل جيداً، ويعرفون كفاحه المستمر أكثر من نصف قرن، يعرفون أن هذا اللقب استحقه فتحي رضوان عن جدارة، فالرجل طلاق وطنية لم تتعجب بذاته، ولم يمت الرهن واليأس إلى خلايابها حتى في أحلك اللحظات . وكان ثالث زعماء الحزب الوطني المصري الذي أسسه مصطفى كامل في بداية هذا القرن . وشارك في تشكيل ثورة يوليول في بداية انطلاقتها، ولا يزال يتحرك في مصر دفاعاً عن حقوق الإنسان في الوطن العربي.

في لقائنا الأول مع فتحي رضوان دار الحديث في مكتبه عن إمكانات وحدود التغيير السياسي في مصر . وفي اللقاء الثاني كان لنا معه هذا الحوار، في إطار سلسلة الأحاديث حول موقفنا من الغرب اليوم، وكان الحديث مع فتحي رضوان ثرياً ومشتملاً وأمتد ليشمل قضياباً كثيرة يدأنا الحوار بتقديم فكرة موجزة لمحاورتنا من الإطار الذي تدور فيه سلسلة الأحاديث الباحثة عن استقراء موقف جديد من الغرب . فنأمل الاستاذ فتحي رضوان :

● من أي زاوية تزيد أن نبدأ الحديث؟ هل نبحث في ترشيد علاقتنا بالغرب أم نبحث أولاً عن طبيعة هذه العلاقة لكي نعرف عناصرها وكيف تحكم في المستقبل على أنسن مدرسته .

◆ أنش أولًا عن ملامح هذا الموقف الجديد في رؤية الغرب والتعامل معه، وكانت نقطة الانطلاق هي «سوء الفهم» المتضمن في رؤية الشريين لنا ثم رد بعض المستشرقين

بأننا لدينا سوء فهم أيضاً للغرب وأتنا لم ندرس الغرب بصورة مواهية لدراسة الغرب  
لمجتمعات الشرق .

● تحدثت معهم عن «سوء فهم» ، وفي الواقع فإن المسالة هي «سوء نية» أساساً  
لأن لديهم القدرة أكثر منا في الدراسة والوصول إلى حقائق الأمور وبلغة أكثر دقة  
ووضحاً، فهم لديهم الكواكب ومناهج البحث والتبييب، لكن مشكلتهم أنهم لا يريدون  
أن يتعرفوا على الحقائق بسبب الصراعات السائدة بيننا وبينهم بدءاً من قضية فلسطين إلى  
بقية قضايا التحرر ... كل هذه الأمور تجعلهم عاجزين عن أن يصلوا إلى إدراك جيد  
و حقيقي . فالمسألة ليست سوء فهم بل سوء نية .

◆ لكنهم يقولون إن سوء الفهم موجود لدينا، وأننا لا نعرف حقيقة هذا الغرب معرفة  
متعمقة، وكل ما نملكه هو أحكام عامة جائزة وأتنا لم نصل إلى مرحلة الاهتمام والقصور  
بمعرفة هذا الغرب معرفة دقيقة، وإن الإبداعات الكبرى في شئون ميادين النشاط الإنساني  
هي إنجازات غريبة، ولا نملك نحن ما نقدمه أو نضيفه إلى حضارة الغرب .. فهل قبل  
مثل هذا الطرح ؟

● لا أستطيع أن أقبل مثل هذا الكلام . إنهم في الغرب غير مصنفين ومتجمدون علينا  
. إنهم معتدلون علينا، ليس فقط على صعيد إصدار الأحكام الجائزة والظالمة بل أيضاً  
على الصعيد المادي بالغزو والاحتلال ولifetime قرون ... فلا يجوز مطلقاً بعد كل هذا  
التاريخ الاستعماري أن يقول بعضهم نحن متجمدون عليهم لأننا لم نستعمر ببلادهم ولم  
نقتسم ديارهم ولم نخلف الكتب للطعن في آثريائهم وقادتهم، كما فعلوا في الكتابة  
مجلداً وراء مجلداً، للطعن في الإسلام وحياتنا بصورة ساخرة، إنهم ظالموانا لنا،  
وإنكارهم أنهم ظالمونا لنا فيه تجن أيضاً .

وهل نسوا الجزائر التي ظلت محطة أكثر من قرن ونصف، ومصر أقل من قرن،  
وهل نسوا أنهم فرضوا علينا حضارة لأهداف غير حضارية . لو كانوا قد وجدوا أن  
حضارتنا مختلفة وأرادوا أن يأخذوا بيتنا، لكن منطقهم مقبراً، فهل جاؤوا ووجدوا أن  
شعوبنا تأكل اللحم البشري ! ولا تؤمن بالعقل الإنساني . لكنهم جاؤوا ووجدوا دعاء  
سلام ومحبة وإنسانية، وأننا صدرنا إليهم أفضل ما عندنا وهو المسيحية، فاليسchristianity

إنثاجنا، والمسيح هو ابن الشرق العرب، نشأ هنا وتربى هنا، وتعلم هنا، والذين ذهبا إلى أوروبا وغزوا أقضل أنواع الغزو وأشرفها هم بطرس الرسول والقديس مرسى .. وغيرهم، هم أيضاً أبناء هذا الشرق العربي .

نحن أهدينا إليهم شيئاً يتعلّقون به ويتمكنون به ثم يقتلوننا بعد ذلك من أجله، والتاريخ يشهد على ما أقول . الملايين الصليبيون ثلاثة قرون ليحتلوا أرضنا باسم الصليب الذي أرسلناه إليهم، فهل هناك تجنب عن هذا وأسوأ من هذا . هل أرسلوا لنا شيئاً يساوي المسيحية، أو يساوي اليهودية، أو يساوي الإسلام . كل هذه الرسائل صدرت من أرضنا نحن، ومن إنثاجنا نحن . فكان يجب على هؤلاء، لو كانوا منصفين، أن يقولوا : أيها الشرق العربي نحن مدينون لك بأجمل ما لدينا .. ومن ثم، نحن لا نستطيع أن نفهم أبداً بالتجني أو التشويه .

الحقيقة أن اختلاط السياسة بالعلم، يفسد العلم، ويجعل الوصول إلى الحقائق أمراً مستحيلاً، وأنا أريد أن أسأل هؤلاء "العلماء" الغربيين ما الذي جنينا فيه عليهم ؟

نحن لمتنا الغرب لمس اليد ولم نقرأ عنه في كتب، ولم ندرس عن طريق الفلسفات - القديمة أو الحديثة - نحن درستنا الغرب من الواقع وعرفنا أساليبه ودواجه على الطبيعة، عرفنا جيوشه الغازية، ومحاولات المستمرة في مخ عقولنا في المدارس التي كانوا يقيّمونها ويفرضون على أولادنا وبناتها أن يتعلّموا بها ابتساراً ل حاجتنا إلى التعليم، فتحن عندما نرسل أولادنا لمدارس الليسي فلهم يتّعلّمون قدرًا كبيراً من سب وقذف كل ما هو شرقي وغربي ومسلم وذلك في كتب التاريخ .. . ومع ذلك نرسل لهم أولادنا لأننا نسلم بأن العلم الصحيح عندهم . وهذا يدل على ثلاثة أشياء، أنتا أولاً تحب العلم والدليل أنتا ترسل أولادنا لهم، وثانياً أنتا متسمون وأنه على الرغم من الطريقة التي تعامل بها عقولنا على أيدي الذين يعلّمونا كانا نشيد بهم ويدور بهم، ويشهد أولادنا الذين درسوا في مدارس الليسي والغفرير والمدارس الأنجلزية والأمريكية، عن النظام والنظافة واحترام المواعيد وحسن العلاقة بين الأستاذ والطالب، فالإشارة بهم تبدو واضحة في كثير من المواقف، وهي إشارة من القلب مما يدل على أن الشرقي عندما يجد أي مظاهر التقدّم والإنسانية وحسن المعاملة فإنه يقايله

بأضعاف قيمة هذا الشئ الآتى من الغرب، ثم إننا علمنا أولادنا - بل إن أعظم علماننا أرسلناهم ليتعلموا في جامعات السوربون وأكسفورد وكمبريدج والكلوبلج در فرنس . وكلك بقية أبناء الشرق مثل غاندى ونهرو اللذين تعلما في جامعات إنجلترا .

نحن أقدم في الحضارة وأعرق في العلم، ولأننا موطن الرسالات الدينية الكبرى - اليهودية - المسيحية . الإسلام - فنحن أكثر تسامحاً منهم وأشد انجذاباً للعلم منهم، مع أن الآية تفتت بنا، ومع أن المرض يقتلنا، ومع هذا نحن حريصون على العلم وتقدير العلماء وإشادتنا بفضل الغرب تفوق كل تصور، مع ذلك نحن نعرف من حضارتهم الشئ الكبير ونحن نعرف بأن لدى الغرب الكثير من الإنجازات من نهاية وطراحت البحث العلمي المنهجي القائم على التجربة والتطبيق والاستقصاء، وفي كل مجالات نشاطنا تتحدث عن شكسبير وديكتر وفكتور هوغو وسارتر وتشيكوف وشوبيهار وجونه كائهم مفاخرنا، فماذا يراد منا أكثر من هذا ! وما هي الطريقة - التي يفترضونها لنا ! - لكن نعرف الغرب على صورة حقيقة أكثر من قراءة الآثار التي أصدرواها ، وجمعها، وترجمتها، والتاثير بها، والتمتع بما تحتويه، ولا أظن أن يطلب من أي جماعة إنسانية كى تعرف جماعة أخرى أكثر مما علمنا نحن . لم نقصر أبداً، بل هم الذين قصرروا وجعلوا علينا، لأن السبق الحضاري في القرون الأخيرة أعطاهم فرصة أن يحكمونا وتصدروا لنا أسوأ ما عندهم من التصub الشديد للمذهب حتى ولو كان مذهبآ يدعوه للتسامح، فمحرومهم الدينية كانت كفيلة بان تفَرِّقُ الشَّرْقِيَّ المتسامح منهم إلا أنه لا يزال يتحدث عن حضارتهم وعن تقدّمهم . . .

◆ إذا سمحت لي أريد إن أتلو أن موقفنا من الغرب وإدراكنا له يحمل «سوء لهم» أيضاً . وجهة نظرى هذه تختلف جذرياً عن وجهة نظر المستشرق، فانا أرى أننا وصلنا لمرحلة لم نعد نعرف فيها ما يميزنا عن الغير، فالحقيقة لنا إذا كانت قد فتحنا قنوات مع الغرب منذ أكثر من قرنين وكنا نعرف في البداية ما نريده من الغرب، كما نعيش في تخلف ونسعى إلى التقاط ما هو متقدم لدى الغرب، أما اليوم فأعتقد أننا فقدنا تدريجياً، الإحساس بهويتنا، ونقل عن الغرب تقللا لا نعرف منه ماذا نريد، فأصبح لدينا في واقعنا مختلف المجالات نوع من الغرب المحلي أو الاستشراق العرسي، فإذا كان هناك المستشرق الغربي الذي يتضرر إلى واقعى وحضارى وثقافى من الخارج - من خلال

معاييره في النظر والرؤية - فهناك أيضاً المستشرق العربي الذي ينظر إلى واقعه من الخارج أيضاً وكأنه ليس ابن هذه الثقافة أو متبعاً لها أو امتداداً تاريخها، وهنا ما أقصده بسوء فهمنا للغرب من وجهة نظرى أنا وليس من وجهة نظر المستشرق الغربى الذى يسع بالطبع إلى تعميق ظاهرة الاستشراق المحنى لأنه يودى الدور نفسه لصالح الغرب، وبصورة أقل من المستشرق الغربى ذاته، فهل تعتقد، بهذا المعنى، أن هناك سوء فهم للغرب متعلماً من جانب بعض باحثينا وسوء فهم لنا وبالتالي، ويحيط أننا فقدنا ما يميزنا كجامعة إنسانية؟

● نحن نمر بمحنة صحية، على المستوى الثقافى والحضارى، لأننا عندما بدأنا ندرك حضارة الغرب، وعلمنا أولادنا في مدارسنا في الداخل والخارج، في مختلف المجالات، في فروع العلم الحية والعلوم الإنسانية، وحاولنا أن نتحسن هذه المجالات التي كانت محظمة علينا منذ بدأ الاستعمار الغربى منذ عام ١٨٨٢ إلى ما بعد ١٩٣٦ - في مصر، وكان هناك أمر صريح من الغرب بتحجيتنا عن مجالات العلم الحقيقية، مع أن مجالات العلم الحقيقة أخذت منها، فنحن الذين علمناهم، وباحتواهم الأول - روجر فرنسيس بيكون - يعترفون بأنهم نقلوا العلم التجربى من علماء المسلمين فى الأندلس لعلم العلم - لما استطاعوا أن يبدأوا حياتهم العلمية الحديثة وأن الثوب الجامعى فى الجماعات الغربية ليس الا العبادة الإسلامية التي كان يرتديها المعلم فى المسجد . وقد كانت الاكتشافات العلمية فى هذا الوقت وقبله من إنتاج العقل العربى الإسلامى . فنحن أمة علم بالمعنى الحرفي لكلمة علم . نحن الذين أنشأنا العلم . ولا توجد أمة صنعت علمًا بكماله من الآلف إلى الآباء مثلما فعلنا نحن فى علم الجبر . هذه أنسىاء لا يعرفها أولادنا الآن .

◆ إذا كانوا لا يعرفون ذلك فنحن نعيش محنة تراجيدية .

● المشكلة أنه لم تعد هناك مؤسسات ثقافية تصل الناس بجذورهم . أما بالنسبة للأزهر - باختصار - فلا يوجد شيء اسمه كلية طب الأزهر، علوم الأزهر وهندسة الأزهر وزراعة الأزهر، لأنها تحتوى على أضعف الطلباب وأضعف الأساتذة - بالطبع هناك الشهادات فالأستاذ الذى لا يجد له مكاناً وترفضه الكليات الأخرى يذهب إلى كليات الأزهر، والطالب الذى يحصل على أقل الدرجات ولا يجد له مكاناً فى الكليات

يذهب لكليات الازهر، وبالتالي تجتمع هناك أسوأ الأساتذة، وأسوأ الطلاب، برغم أن الازهر هو الجامعة الأصيلة التي علمت العلوم الحديثة، فلم يكن هناك من قبل شئ اسمه علوم دينية وعلوم مدنية، فكان الاستاذ يدرس الحديث أو الفقه ثم الجبر أو الهندسة أو الجغرافية، وكان رأى أن نجعل ثانية الازهر ست أو سبع سنين ونختار الطلبة الأفذاذ وليس الذين لا تؤهلهم درجاتهم لأى كلية جامعية، ونصرف عليهم ونجعلهم يدرسون العلم الاسلامي والعلم الحديث معًا . وعندما ينتهي من المرحلة الثانية ينتقل إلى الجامعة، وبذلك يكون قد ألم بالعلوم الدينية والعلوم الحديثة، وتختار كليات الازهر في هذه الحالة من الطلاب الازهريين الذين عاشوا في ظلال العلوم الدينية ولم ينقطعوا عن علوم مصر، فيصير الطالب عالما ازهريا عن حق . ومن هذا الطريق نصل الحاضر بالماضي صلة حقيقة غير مفتعلة . أنا أزيد الازهر بكل خصائصه وبالعلم الازهرى كاملا وبعد ذلك أعطيه العلم الحديث، فتراثنا القديم ملء بثروات وكثير هائلة من حيث الفكر والوصول إلى أعمق الحقائق، لكن عليك أن تخوض أموراً من أجل إعادة تبويبها ومراجعةيتها وتنقيتها وإعادة بنائها، واستبعد ما لا يلزم منها وإحلال ما هو جديد مكانه .. نحن صلتنا بأنفسنا مقطوعة ومن هنا يجب أن نعيد هذه الصلة مع أنفسنا وإنجاز ذلك لابد أن توجد جامعة، وهي موجودة فعلًا - جامعة الازهر - وتكون مهمتها اختيار أفذاذ الناس من المصريين والعرب الذين يسعون على وجههم النجابة وعلى أيديهم الصحة، للنهوض بهذا المشروع .

◆ هل تعتقد أن الاتصال بلدانا يعتمد فقط على جامعة الازهر؟ ◆

● الازهر هو المثل الذي يمكن أن يحتذى به بعد ذلك، ولا تنس أن جامعات الغرب الكبيرة هي جامعات لاهوت أولًا، السوريون أسمها كاردينال، جامعة هارفارد تحمل اسم قيس، ترك نصف ثروته لتأسيس كلية تعلم اللاهوت فقط، ومع الوقت أضافوا لها كلية لللتربية من أجل إعداد القسس ثم تالت الكليات بعد ذلك، وعلينا نحن أن نبتدئ باللاهوت (الدين) كي يصل بنا إلى الترجمة والأدب، وعندما تكون السوريون وهارفارد وكبردرج بدأت كليات لاهوت تقليداً للازهر ومحاكاة له، فلماذا لا نزيد ما بدأنا به، لماذا لا يدرس النشء العلوم التراثية كلها منذ دخوله المدرسة وحتى وصوله على أعتاب المرحلة الجامعية وحتى يتشرب هذه العلوم بطريقة طبيعية وميسرة وليس بصورة منفرة

كما هو شائع الآن.

إذاً فلنندي نحن بناءنا الخاص بالطريق العلمي الحديثة مع توفير الروح العربية، وهذا هو المطلوب في كافة المجالات، علينا أن نقدم لمواطيننا شيئاً يتعلمون به، وبدلاً من أن نعظهم عن أهمية العلم القديم وعظمته، علينا أن نعلمهم هذا العلم أولاً . فالموطن العربي على استعداد أن يتمتع لذاته مرة أخرى بل هو تواق إلى ذلك لكنه لا يجد سبلاً لأن لا يوجد أمامه سوى دعوات ومقالات صغيرة تتحدث عن الانتماء والهوية ك مجرد كلمات ثم يجد المواطن نفسه بعد ذلك في حالة فراغ، علينا أن نعيد هذا المواطن إلى ماضيه كاملاً ونربطه في ذات الوقت بما هو حديث، أي أن يعيش لحظة الانتفاء بصورة جيدة، وللحظة الحاضر بصورة جيدة أيضاً . وللأسف ما هو قائم لا يكشف عن انتفاء ولا عن استيعاب لما هو حديث، تجد الشخص يحدثك عن كتب من التراث، من دون أن يقرأ عنها شيئاً، وكذلك تجد على الجهة الأخرى من يحدثك في الثقافة، عن شوبيثور هيفيل، سارتر، برنار شو، ومن دون أن يقرأ كتاباً واحداً لا ي منهم، أنه يقرأ فقط أسماء ويعتقد أنه يعرفها جيداً لمجرد أنه حفظ بعض هذه الأسماء وقد تعجب إذ قلت لك إنني قرأت مؤخراً كتاباً عن آل سعود، فإذا بالمتزوج العربي ينقل الأسماء كما هي في النص الأجنبي دون أن يدقق في واقع الكلمة العربية فمنطقة الاحماء بالسعودية يكتبها الإحصاء وأشياء من هذا القبيل . المشكلة أن هذا المترجم لا يعرف أصلاً تاريخ المنطقة العربية ولا أسماءها ولا أقاليمها، ومن هنا أنا أدعوا إلى الإهتمام بالأزهر بوصفه «الممثل» حتى يخرج لي أنساً أدفع بعض منهم للإشارة على لجان التأليف والترجمة والنشر . وبعضهم رؤساء تحرير للصحف، وبعضهم وزراء .. لأنهم يجمعون بين العلم القديم على طريقة صحيحة والعلم الحديث بوسائله المعروفة، وبذلك يستطيعون أن يربطوا بيننا وبين الماضي بأساليب الحاضر، ويصلوا بين هذا الماضي وهذا الحاضر بطريقة صحيحة وليس بالوعظ والإرشاد .

الا تعتقد أنه من شروط الوصول إلى هذه المرحلة المتقدمة أن يكون هناك وعي ذاتي متقدم ومتخلص من حالة الوعي المفترض أولاً، وكى يتم البناء على أصول صحيحة بعد ذلك ؟

الذين يعرفون الماضي قليلاً جداً لذلك لابد أن يكون هناك هذا المشتبه ، ليعلم الناس كيف يفكرون وكيف يكتبون ، لأن الكتابة بالطريقة المفترضة تشوّه الناس ، والكتابة بالطريقة القديمة تنفرهم .

◆ الالاحظ أن نقد وعيينا بالغرب لا يحتل مساحة بارزة فيما تطرحه من آراء إصلاحية، فلكن أبيني بناء أصيلاً - اكرر - لا بد أن أقاوم قليلاً هذا التعلق المريض بالغرب.

● بالطبع يوجد هذا التعلق الشديد بالغرب فانا أحياناً أقرأ بعض الكتب فأجد ان المؤلف يصر على أن يكتب بجوار بعض الكلمات مرادفتها الفرنسية من دون أن يكون القارئ العربي في حاجة إلى ذلك . فسلا تكتب كلمة عقلانية وبجوارها مرادفتها الفرنسية ، من الطبيعي أن تكتب الكلمة بالفرنسية عندما يكون المصطلح الفرنسي هو الأساس ونقل إلى العربية مثلاً يقول السوري مثلاً «شركة مغلقة» وتقول نحن «شركة مساهمة» فهنا من المشروع أن تكتب المصطلح الفرنسي لأن الترجمة العربية قد لا تكون موفقة هنا أو هناك . لكن لا معنى لأن تكتب كلمة باب أو شباك ويتجاوزها ما يرادفها بالفرنسية . . .

◆ إذا سمحت لي أريد أن ألح مرة أخرى في طرح التساول ، في إطار البناء واستعادة الذات ، أريد أن أعرف مدى تصورك لأهمية إدراك جديد للغرب ، ووعي جديد بالغرب قادر على أن يضعه في حدوده الجغرافية والحضارية لا يسبق البناء وعي ذاتي متقدم ؟

● ما هو الوعي؟ أنا ضد استخدام كثير من التعبيرات ، فبدلاً من أن تقول نعلم الأولاد ، يتحدثون عن بناء الإنسان . وأنا لا أعرف ما المقصود ببناء الإنسان ، أنا أرى

هذا اغتراباً في استخدام مصطلحات ذات رونق ... فالذين يتحدثون عن البناء عليهم أن يعرفوا أن القضية هي أن تزيد عدد المدارس، وترتفع مستوى التعليم ومناهجه، ونعالج المرضى ... هذا هو البناء . وأنا رأيى لكي نضع الغرب في حجمه الطبيعي ونتخلص من محاكاته والمحاهاة بأننا تعلمنا في مدارسه وجامعته . علينا أن نجد مناسفاً له في أراضينا ولا يمكن أن أتجمع في خلق منافس للغرب إلا إذا عرف أولادنا الشرق بصورة جيدة وجذابة وممتعة .

◆ لكن وإن أفعل هذا أصطدم بما هو موجود في الواقع الآن، وبالتالي قد يكون الانتظار حتى استطاع الوصول لمرحلة المنافسة والمقارنة أمراً لا جدوى منه وربما قد يظل انتظاراً دائماً !!

● أنا لا أتحدث عن تعليم الناس كلها دفعة واحدة، بل أبدأ بعمل مشتمل يفترز قادة ورواداً في كافة المجالات. مثلما فعل رفاعة الطهطاوى الذى أتى كتابين أو ثلاثة لا تزال تفعل فعلها حتى الآن، وكذلك الذين صنعوا الهيبة المصرية في عهد محمد على وما تلا ذلك - لم يتجاوز عددهم خمسين شخصاً - ذهبوا إلى الغرب وتعلموا وعادوا بعلمهم إلى بلادهم ولم تغلبهم أبداً مجتهم لفرنسا وإعجابهم بها، ولم يصلوا إلى مرحلة التفكير لبلادهم .

◆ من خلال استقراءك للواقع اليوم ولعلاقة الشرق بالغرب.. هل تستعد أن هناك موقفاً جيداً من الغرب يتلور هذه الأيام بصورة مغايرة لما عاصرناه ؟

● هذا بدأ فصلاً مع اندلاع الثورة الإيرانية وظهور الخميني، الذى يعتبر الحضارة الغربية حضارة فارغة وجوفاء وأنه يجب علينا أن نتحرر منها ومن تأثيرها علينا، أي التخلص من الغناء الغربي والعادات الغربية والملابس الغربية، كل هذه الأمور نطارد وتحارب حرباً سياسية وليس حرباً عقلية، لكن هناك من جهة أخرى عودة إلى الشخصية العربية والشرقية والإسلامية وميل إلى مزيد من العلم والمعرفة بأصولنا وهذا

شيء جميل وينتظر أن ينمو . وطبعاً هذا مصحوب في بعض الأحيان بكراهية شديدة للغرب، وهي كراهية مشروع، لأن الغرب لا يزال يطاردنا بطريقة سيئة جداً . لكن أنا بلا شك مدين لهذا الغرب بكل الميكانيكيات والآليات التي تسمى تكنولوجيا، وأنا لا أرفضها أبداً، وقد أرفض ما تتجه من نتيجة عقلية للالة ومصدرها . وتحويل المسائل الإنسانية إلى مسائل مادية خالية من الروح لذلك كل ما تعرفه الحضارة الغربية هو عكس ما قصدته من ماكيناتها، هذه الماكينيات انتهت إلى تقضي ما جاءت من أجله، أنها إذا حضارة غربية بلا روح وشريعة جداً، ولا تجع أبداً إلا للذكك وليس للإسعاد والدعوه، إلى الانتاج في الحضارة الغربية ليست دعوه إلى الوفرة والرخاء وإنما هي دعوه إلى الكسب . ومن هنا تجد انتاجاً أوفر جداً وتجد أيضاً مجاعات لم نسمع بمثلها من قبل .. فلما أعتبر الحضارة الغربية حضارة سيئة وضارة وبلا روح واستعمارية وقائمة على الهيمنة والسطر، فهي أسوأ حضارة عرفها الإنسان مع أن منتجاتها في متنه العظمة لكنها تحولت كلها إلى الشر والتدمير والسيطرة والقهر .

◆ في حديث مع مصطفى صفوان، في إطار سلسلة الأحاديث عن الموقف من الغرب اليوم، قال إن الحضارة الغربية مبدعة في أدوات الانتاج وبمقدار أيها في أدوات التدمير .

● وأنا أرى أنها مبدعة في التدمير أكثر جداً من إبداعها في الانتاج بلا شك، ولم تنتج شيئاً مبدعاً يوازي ما أنتجه على صعيد إبقاء القنابل في هيروشima ونجازاكى، إذا افترضنا مؤقتاً أن القتل إبداع .. فكونها تقتل وتدمير مليون كائن بشري في ثوانٍ فلما لا أرى أنها انتجت شيئاً إيجابياً إنسانياً يوازي كارثة ما أنتجه على صعيد التدمير .

**فؤاد زكريا**  
**الغرب لم يفرض ثقافته**



في نطاق معينا نحو موقف جديد من الغرب اليوم، ونحو موقف جديد أيضاً من الآلات، ومن الطريقة التي أدركنا واستوعبنا بها الغرب في القرنين الماضيين . معينا لإجراء هذا الحوار مع فؤاد ركريا، لأنه من المفكرين القلائل في العالم العربي الذين يملكون رؤية واضحة وثابتة عن الغرب، بل أكد أقول أن فؤاد ركريا تربط كتاباته ومواقفه بنزع من الدفاع عن الثقافة الغربية، منذ كان رئيساً لمجلة «ال الفكر المعاصر » في أواسط السبعينيات في مصر . وحتى هذه اللحظات لم يغير الدكتور فؤاد ركريا قليلاً أو كثيراً من آرائه مع أن كثيراً من المفكرين العرب قد راجعوا أفكارهم بصورة واضحة في الفترات الأخيرة، ولا نعرف في الواقع إذا كانت هذه ميزة تحسب فؤاد ركريا أم تحسب عليه، لكن الشيء المؤكد أن فؤاد ركريا يقدم وجهات نظر تفرض على القارئ أن يتمتع فيها كثيراً قبل أن يصدر حكماً ما . فالقارئ يلاحظ أولاً أن هناك صدقاً وعموماً تدفع هذا المفكر والfilosof إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من الثقافة الغربية . وتقبل أن نبدأ الحوار مع فؤاد ركريا أطلعته على الحوار الذي سبق أن أجريناه مع عدد من المستشرقين والمسؤولين التالي: لماذا لا يوجد استغراب يوازي ما أنتجه الغرب من أبحاث ودراسات عن الشرق؟ وطلبنا من فؤاد ركريا أن يقول لنا رأيه أولاً في هذا التساؤل، فأجابنا:

- هناك بعض العرب الذين يعيشون في الخارج، فضلاً عن بعض المستشرقين، في الحوارات التي أجريتها معهم يميلون فعلاً إلى المعانى المتضمنة في مثل هذا الطرح الذى

يقول لماذا لا يوجد من جانبنا استغراب، وإنما أرى من البداية أن هذا رأى خاطئٍ، بل على العكس فنحن لا نحتاج لاي نوع من الاستغراب لسبب بسيط هو أنه موجود في حياتنا وتعلمنا وثقافتنا منذ القرن التاسع عشر، ومنذلحظة التي كان يعرض فيها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى على الناس الأشياء التي بهرته في باريس، بدأ يحدث نوع من الاستغراب بمعنى محاولة من شرقى لهم هذا المجتمع الفرنسي وتقديمه إلى المجتمع المصرى، ثم بعد ذلك محاولات استقدام الآجانب من أيام محمد على وفتح مدارس لتعليم الطب والهندسة والعلم الغربى بصفة عامة، ثم فترة الخديوى اسماعيل وما تضمنته من اتجاه واضح نحو الغرب، وهناك أيضاً دور المثقفين طوال القرن التاسع عشر والقرن العشرين الذين حاولوا الاقتباس من الغرب، ونقل فنونه وأدابه وعلومه ... أضف إلى ذلك المناهج التعليمية فى المدارس والجامعات، وبالتالي فالطالبة بان يكون هناك استغراب مواد للاستشراق هو أمر يثير الاندهاش - - بالمعنى الشائع للكلمة - فالاستغراب موجود وموجود على نطاق واسع بل أن الذين يتقدون حركة الاستشراق، فى الحقيقة يدعون إلى أن نقلل من كمية الاستغراب الموجودة عندنا حتى نهسم أكثر بحياتنا وثقافتنا الخاصة، وبالتالي لا يوجد معنى وراء هذه الضجة التي تستهدف إظهار أنه لا يوجد استغراب لدينا، أنا أقول لهم لدينا استغراب فعلاً .

من جهة أخرى هناك بعض الأحكام الحضاروية إزاء الغرب أعتقد أنها خاطئة في اتجاهين، هناك مثلاً أصحاب الاتجاهات الإسلامية يحاولون تصوير الحياة الغربية والحضارة الغربية بصورة تضمن قدرًا كبيراً من التشويه، لكن هذه ليست محاولة للاستغراب بل تدخل في نطاق الدعاية الأيديولوجية التي تتبعها الجماعات الإسلامية من أجل الوصول إلى أهدافها الخاصة، ومن أجل أن نصل إلى نتيجة مفادها أنه لا خلاص لنا إلا بالعودة إلى الهوية الإسلامية لأن الغرب منحل وفاسد ومدمر وحياته ضائعة وفي طريقة إلى الضلال وأن الحضارة الغربية هي حضارة تقنى نفسها بنفسها وفي طريقها إلى

الزوايا . . . في اعتقادى أن هذا التصوير يحمل قدراً كبيراً من التشويه لكنه تشوية متعمدة ولأغراض دعائية .

من جهة أخرى هناك محاولة لنقد الحضارة الغربية على أيدي مثقفين علّمانيين تصل إلى نتائج مشابهة إلى ما وصل إليه الإسلاميون، من ناحية أنها تدين الغرب لأنه مغرض وعلمه مغرض وليس موضوعياً، ولا يتربّب من الشرق إلا بهدف السيطرة عليه . وبالتالي يحاولون إقامة نوع من الحاجز بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية قبل الأوان، وقبل أن تنضج الظروف فعلاً لكي يقوم هذا الحاجز بصورة تلقائية . والتبيّنة العملية لذلك هي أن الاتجاهين معاً - النقد الإسلامي للغرب والنقد العلماني للغرب - يصلان إلى التبيّنة نفسها .

#### ◆ ماذا تقصد بالتفصيّل قبل الأوان في هذا السياق؟ ◆

● أعني أننا لم ندرس حضارتنا بما فيه الكفاية، نحن درسنا حضارتنا دراسة تشوهها دائماً فكرة القدسية، بمعنى أنّ اقترب من التاريخ الإسلامي أو الفكر الإسلامي أو حتى الحياة الإسلامية، يكون مشوباً منذ البداية بفكرة إظهار هذا التاريخ بصورة مقدسة، وحتى لو لم تصرح بذلك فأنت تفترضها - هذه القدسية - فلنستعرض الكتب والدراسات المخصصة لهذا، فنجد افتراضاً ضمنياً موجوداً بقوّة. حتى عند الذين لا يصارحوننا بذلك وهو أننا نريد أن نبتعد بتاريخنا الإسلامي وثقافتنا الإسلامية عن «الذينيّة»، وعن العيوب التي قد تلحق بنا من هنا أو هناك، ثم نريد أن نثبت أن تاريخنا مقدس، ومن خلال ذلك يبدأ البحث في الخلفاء والفلسفه والمفكرين . . .

هذه هي المقدمة الأولى وال فكرة المضمرة التي تؤثّر بقوّة - حتى لو لم تصرح بها - في كل كلمة نقولها عند بحثنا و دراستنا لثقافتنا و بطبيعة الحال هذا يؤدي إلى توسيع نطاق المحظوظات والمناطق التي لا تستطيع الاقرابة منها، فمن الذي يستطيع

لدينا أن يعرض لجوانب معينة في السيرة النبوية . . . هذا مستحب . . . من الذي يستطيع لدينا أن يعرض لجوانب معينة في حياة الخلفاء الراشدين؟ من الذي يستطيع أن يصدر أحکاماً موضوعية في ما يتعلق بالعلاقة بين الجماعات الخارجية عن الإسلام السنى والتيار الرئيسي . . . وهكذا هناك جوانب لا تستطيع الاقرابة منها نتيجة فكرة الشدة واعتقاد الناس مناهج عتيقة وبالتالي لم تستطع أن تفهم تاريخها وحياتها فهماً جداً، وبالرغم من ذلك، وبسرور أن هذه هي العادة الخام الموجودة عندنا، وأقصى ما وصل إليه إيداعنا باستثناء حالات حديثة وقليلة جداً، بالرغم من هذا نريد أن نقول أننا لا بد أن نستغنى عن رؤية الآخرين والاستشراق !! بينما أرى أن رفض الاستشراق لا يعني أن يتم بدعوة أو بمعركة، المسألة كلها في تصورى زوبعة في فنجان . . . لنسب بسيط وهو لماذا لا أدرس حضارتي واتبع دراسات وأبحاثاً أفضل منهم، ويوم يحدث هذا ستكون تجاوزتنا الاستشراق عملياً في الواقع ودعني أسأل ما الذي يدفع أي باحث أو مثقف أو شاب عربى إلى الإطلاع على كتب وأبحاث المستشرقين «بلغاتها الأصلية أو مترجمة» إذ كان عنده دراسات عميقة بلغته وبمثقبه بما فيه الكفاية، وبحيث لا تدفعه إلى البحث في «سوم المستشرقين» !! لذلك أقول أن المعركة باكمالها ليس لها معنى وليس لها داع، فإذا أردت أن تعمل فاعمل، هذا كل ما في الأمر .

◆ إذا سمحت لي أريد أن أقاطعك في هذه النقطة لأنني أرى أن المعركة لها معنى على تقدير ما تقول، فالطلب الذي ترفعه فلتعمل نحن لا خلاف بشأنه، نحن نريد أن نعمل فعلًا . لكن كيف؟ عندما نحاول سقطدم برائع عمل قائم، نحن لا نعمل في غرف مغلقة، وكى أدرس واقعى وتاريخى وثقافى أمامى معوقات كبيرة، من أهمها إنتاج المستشرق الغربى والمستشرق العربى على حد سواء، وكى أبدع منهجه الخاص من قراءة ثقافى وحضارى فإنسى أضطر أولاً بالمناهج الغربية القائمة (ماركسية، فينومينولوجية، بنوية، نفسية . . .) وهى مناهج موجودة ومتشرة ولها نظرتها الواقع

بين باحثينا ومتقيننا، بل البعض لدينا يتبني هذه المناهج بصورة متطورة تفوق فكرة القداة التي أشرت إليها في بداية الحوار . . . للذى هذا الفر من الباحثين يكاد يكون المنهج مطلقاً أو صابراً للقارات والأرمان، ولا يستطيع حتى أن يعدل ولو بسبطه قواعد هذا المنهج . . . فلكل أعمل لابد أن أصنع مسافة نقدية - أو إذا شئت معركة - ليس مع الاستشراق العربي المحلى المتشير في أجهزة الإعلام ومراكز انتاج الثقافة والأدب والفنون . . . معركتي إذاً مع الطريقة التي انتقلت وتجسدت فيها الثقافة الغربية في مجتمعاتي، معركتي ضد انتشار «الغرب العربي» المسؤول عن إصحاب الملامح الوطية والقومية وأصحاب فرص الإبداع والارتكاز في بلادي . . . ولا بد أن نعيش مشاكلنا وندع حلولاً لها . . . لا يمكن أن نستورد التكنولوجيا والثقافة والملابس وطريقتنا في الحلم والضحك . . لا يمكن أن تستورد هيتنا .

● فلنحدد النقاش بتعierات أكثر دقة، تقول هناك مناهج غريبة وأساليب غريبة أنت وانتشرت في بلادنا، أنا أتساءل كيف انتقلت إلينا هذه المناهج؟ هل هناك جيش عربي غير يحملها معه، هل هناك نابليون جديد يطبع هذه المناهج في متصرفه وبعلمه على أعمدة المساجد؟ بالطبع هذا لم يحدث، بل نحن الذين ناتس بها. فهل فرضت علينا - باستثناء الفترة الاستعمارية - المناهج الماركسية أو الفيزيومينولوجية مثلاً أم أن هناك ناساً - من صميم ثقافتنا - يمحض إرادتهم ذهواً إلى هذه المناهج وطبقوها عندنا، فالمسألة هنا إذا كنت تريد أن تخوض معركة فإنك هنا تحارب عناصر تتسمى إلى صميم ثقافتك .

◆ وهذا ما أقصده من الحديث عن ظاهرة المستشرقين العرب .

● لا، الحملة الحالية ضد الاستشراق وضد الغرب لا تقول بذلك لابد أن تكون منصفين، إنها تهاجم الآخرين في ما وراء البحار وليس المحليين الآخرين فقط ولو كان الهجوم مركزاً على من هم في الداخل، ضد الثقافة المحلية عندما تخضع نفسها أكثر

ما ينبغي لثقافات أخرى إن هذا شيء م مشروع، لكن الوضع الحالى يشير إلى أن سهام المعركة توجه إلى الآخرين في الغرب، الذين يريدون أن يسمعوا تارينا وأفكارنا - بالطريقة التي تكتبون بها عنا - و أنا صراحة لا أقوى على هذا الكلام باية صورة من الصور، لذلك هذه هي المعركة التي وصفتها بأنها زوبعة في فنجان، لأن هذه الثقافة الغربية لا تأثر علينا بقوة مسلحة، ولا تفرض علينا أنها ثقافة معروضة في العالم كله، معروضة في اليابان والبرازيل ... وذلك أن تقبلها أو أن ترفضها ... هناك بالطبع بعض الأشياء قد تفرض عليك مثل بعض البرامج التليفزيونية وأشياء من هذا النوع لكنها في النهاية تخضع لسياسة حكومات ولا يمكن لأحد أن يفرض على حكومة من العالم الثالث أن تشتري مثلاً مسلسل «دالاس» فهذه الحكومات لها القدرة على القبول والرفض في ما يتعلق بمثل هذه الأمور ... وحتى إذا رجعنا إلى المعركة مع المحليين .

#### ◆ المستشرقون العرب ◆

● لا هم ليسوا مستشرقين، هم أصحاب توكيلات و«بوتيكات» ثقافية من الغرب ... لكن علينا أن نسأل لماذا يفعلون هذا؟ فلنفكر بشيء من المنطق، أليس ذلك راجعاً أيضاً إلى وجود فراغ لا بد أن ترجع الظواهر التي تحدث عنها إلى أصولها ولا نكتفي بالنظر إليها من الظاهر، كيف تعلم أن بعض الكتابات التي تدعى إلى الأصلة والرجوع إلى الذات تجعل ذلك من خلال المنهج الفيسيونولوجي، كيف تعلم هذا التناقض؟ عندما نفكّر في هذا نجد أن ذلك عائد إلى أن أساليب ومناهج الفكر المحلي عتيدة ولم يظهر ما يحل محلها من مناهج ذاتية، فالالأصلية بمعنى أن تبع شيئاً من محيطك الخاص لم تتضح بعد، وهكذا فاتت غير راض عن القديم وليس عندك جديد يكفى طموحاتك فماذا تفعل؟ في هذه الحالة تذهب وتستعير، هذا هو الحل الذي جعل من هؤلاء المستشرقين المحليين يستقلون وينشرون مناهج وأساليب الثقافة الغربية كما هي وبيخضعون لها خضوعاً تاماً، نظراً للعجز الموجود في الثقافة العربية، فالقرارب القديمة

لم تعد تكفى ومن هنا ثانى عملية المبالغة فى الاستعارة من الآخرين لذلك أقول أن المشكلة حالها بسيط، أنت لا تزيد هذا النوع من الانسلاخ عن الذات، حسناً فلتتشيد ذاتك ولو نستطيع الغرب أن يمنعك ولا يقدر أن يمنعك .

◆ هل تعتقد أن الفراغ والخواص الداخلية يفسران وحدهما ظاهرة اللجوء المريض للغرب ؟ بمعنى آخر هل الغرب عندما يسعى ويفرض علينا تبعية اقتصادية لا يفرض أيضاً تبعية ثقافية ؟ ثم ماذا تقول عن بلد عريق فى ثقافته وبيناته الداخلية مثل فرنسا ومع ذلك نسمعهم يتحدثون عن الغزو الثقافي الاميركي فماذا يكون شأننا نحن ؟

● أنت تزيد الآن أن، تتحدث عن من هم وراء البحار بعد أن تحدثنا عن محللين والأسباب التي تدفعهم إلى أن يستعيروا أكثر مما ينبغي من الصنائع والمذاهب الغربية هو الفقر الداخلى في هذا الشأن، أما بالنسبة لمن هم وراء البحار فانا أكرر أنهم لا يفرضون شيئاً علينا . هناك مثلاً الماركسية لن تستطيع أن تخلل انتشارها في العالم العربي بأى حال من الأحوال على أساس من مفاهيم التبعية والهيمنة الغربية، لأن الماركسية في كل تاريخها في العالم العربي غير مشروعة ومرفوضة، ففي هذه الحالة كيف تتسرب تغلغل هذا الفكر منهاجاً وابديولوجية في بلادنا ومن دون أن تكون هناك تبعية وسلطة مؤيدة لذلك !! فتحن الذين تبني ذلك ولا توجد أية قوى خارجية تفرض علينا تبني ذلك وهذا المثل الذى ضربته كاف لتفنيده وجهة النظر التي تقول بها . فتحن الذين تستقدم هذه الأفكار بمحض إرادتنا ونستطع لا نستقدمها والحل فى أيدينا، ولا توجد أية مشكلة من هذا الجانب، لكن لماذا يعتبر هذا الحل صعباً لأن الحاضر فارغ .

◆ إذا فلتتحدث فى تشيد هذه الذات، كيف تنظر إلى الشروط التي تسمح بـ « فراغ الحاضر وإيداع ذاتنا من جديد ؟ وكيف تخرج من هذا المأزق الذى يشير إلى حاضر فارغ وتبعد « عمياً » ؟

● من الصعب أن نحدد شروطها ايجابية لكن من الممكن تحديد بعض الشروط

السلبية بمعنى التحذير من بعض الاشياء المعقّدة، وفي خصوّه هذه المناقشة أنا أحذر من السعي إلى النضج قبل الاولان، بالطبع البحث عن النضج شيء جميل ومتطلب سعى إليه جيّماً حتى نستطيع الوقوف على مستوى الندية مع آية ثقافة أخرى في العالم، هذا أمل لنا جيّماً لكن إذا سعينا وراء هذا الأمل قبل أن تتكامل الشروط الالزامية له، وتصورنا أنها قادرون على تحقيقه في الوقت الذي تكون فيه بعيدين عنه كل البعد هنا تكون الخطورة، وفي تصورى أن مرحلة السعي وراء الغرب وربما كانت مرحلة كان لابد أن تمر بها ثقافة معينة كى تستطيع أن تتفّق على أقدامها بعد ذلك.

◆ الا تعتبر أن مرحلة السعي وراء الغرب قد طال أمدها بحيث لم تعد مفيدة على الإطلاق بالمعنى الذي تقصده !؟

● أنا أرى عكس ذلك، وأرى أنها ليست مرحلة قد طال أمدها كما تقول وذلك لأننا نعيش في ظل أنظمة تعود بـك إلى الوراء، ولأن المستوى العام للثقافة العربية كما يكاد يعترف به الجميع في نزول وليس في صعود، قد تكون مرحلة طال أمدها لو كان تطورنا قد ترك ليسير في مجرأه الطبيعي ولكن تطورنا ضرب، وضرب من الداخل - وليس من الخارج - ضرب بالحكومات العربية وضرب بالاتجاهات السلفية، وكانت النتيجة أن مستوى نقاشنا في كثير من القضايا الثقافية الآن في نهاية القرن العشرين أشد هبوطاً من مستوى نقاشنا من مئة عام خلت مع أن عمرنا الثقافي كله لا يتتجاوز ١٥٠ عاماً، فانتظر عندما يضيع منهم مئة عام في تدهور ... فماذا نقول اليوم عندما تمتليء صحفنا بآحاديث عن : هل تعمّل المرأة أم تبقى في بيتها؟ هل ترتدي الحجاب أم تخليع الحجاب؟ كان هذا يقول به قاسم أمين من مئة عام وعلى مستوى أعلى وأجرأ مما يقال به هذه الأيام ... هناك عمليات ضرب لنفسنا وتطورنا، عمليات ضرب أساسها من الداخل من قبل الانظمة من جهة والرجوية والسلفية من جهة أخرى، لذلك أقول إن الشروط لم تكتمل، تطورنا لم يترك كى يسير في مجرأه الطبيعي، وأدعوا أن لا ننكر في

الأمل قبل فوات الاوان، لأن التسخة الطبيعية للتفكير في هذا الحل قبل نفوج شروطه هو هذه المسخة المنتشرة هذه الايام والتي تدعو إلى رفض الغرب وترك الغرب لكن يقولون هذا يمنهج غرب أيضاً، كما يفعلون جيماً .

◆ أنا لست منهم ...

● أنت مثلهم، ومتبع بالمناهج والثقافة الغربية أيضاً ، ولو لا ثقافتك الغربية ما كتبت تأخذ هذه المواقف .

◆ لا انكر استفاذك الكبيرة من الثقافة الغربية بحكم وجودي في العاصمة الفرنسية منذ سبع سنوات لكن لا يعني هذا اني أحصل مني بالضرورة مناهج وأساليب غربية عندما أدهم إلى رفض التبعية وإعادة تشيد الذات من جديد .

● وأنا عندما أقول هذا الكلام ليس معناه بالضرورة أنت أدعو إلى نوع من العبودية إلى الثقافة الغربية ولكن أقول أن من يفعلون ذلك يفعلونه مضطرين، لأنهم أنفسهم أن يكتفوا بالقديم لكنهم أقل نضجاً من أن يقفوا على أقدامهم وأن يستقلوا لوحدهم .

◆ كيف الخروج إذاً من هذا المأزق الآن وفي اللحظة الراهنة، وفي شروط لم تنضج بعد كما تقول، هل انتظر حتى يتحقق نفوج الاوان أم أن هناك تصورات وخطوات يمكن أن تقترب فيها من تحقيق ما نريد؟

● نستطيع بقرار لو شئنا أن نرفض الثقافة الغربية، خصوصاً في مجال الاستشراق، أنت لا تريد الاستشراق يمكنك لا تقرأ، ما الذي يدفعنا لنفهم مجتمعنا من خلال ما يقدم الاستشراق الغربي، أنهم يكتسبون بالانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، ما الذي يدفعنا إذا إلى الاهتمام بما يقولونه ... نستطيع أن لا نقرأ لا ي من مستشرق وإن لا نفهم مجتمعنا من خلال ما يكتبه عننا لكن في الظروف الحالية لو فعلت ذلك فإنه ستتجدد نفسك مضطراً لأن تقرأ الإنتاج المحلي الذي قلنا عنه أنه مشوه بسبب التحريريات

وأنه أقل من طموحات المستقبل وإمكانات الحاضر .

◆ مرة أخرى أسأك لا يوجد مخرج من هذا المأزق بين الإنتاج المحلي غير الملائم والاستعارة من الغرب غير العلامنة أيضاً؟

● بلا شك المخرج هو أن يكون هناك مشروع قومي ، وأن يكون من أهم بنود هذا المشروع القومي - بل في قيمتها - البند الشفافى أى نهضة ذاتية حقيقة من دون حسابيات تجاه الماضي أو الغرب ، لكن إلى أن تصبح ممثلاً وأن تجعلك هذه النهضة تقف على إقدامك بثقة فإن هذه القيد مستساقٌ تلقائياً .

◆ هل تدعو للنهضة الذاتية الآن أم بعد نصيحة الشروط التي تسمح بذلك ؟

● لم أتحدث عن اللحظة الراهنة إنما أقول علينا أن نبدأ من هنا .

◆ أنا صراحة أنتش عن موقف جديد من الغرب اليوم يسمح لي أن أشيد ذاتي وأعيد تعميرها من جديد .

● عملية النهضة الذاتية أو البناء الذاتي تحتاج منا إلى أن نستجمع قوانا وتكون لدينا الشجاعة أن ننظر لتأريخنا نظرة موضوعية وعلمية من دون أن نتجنن أمام قوى داخلية أو أنظمة حكم تحاول أن تملأ أشد القوى رجعية في المجتمع ... ففي هذا السياق دور الحذر من الغرب لا ينبغي أن نبالغ فيه لأن معركتنا الأساسية في الداخل ، ويوم نسير في هذه المعركة بالشكل السليم ستتحل علاقتنا بالغرب من تلقاء نفسها .

◆ والغرب المحلي أو المستشرقون العرب لا تdemur أيضاً مع القوى الجائرة الرجعية والمختلفة ، وبالتالي ينبغي أن تكون المعركة معهم بالقدر نفسه أو بقدر أكبر !

● هو أحد هذه العناصر لكنه عنصر ناتج عن وجود نوع من الهزل أو الضعف في الداخل وأنا خاسرون على كافة الجبهات ، وبالتالي فإن التحرر الشفافى لا يفصل عن التحرر العام في مختلف الميادين ، فانا أقبل فتح معركة مع المستشرقين أو المستغرين

وأنا مجتمع مفروض في الميدان السياسي والاقتصادي والثقافي وأتصور أنني سأعرض إحساس بالضعف من خلال الهجوم على بعض المستشرقين... أنا أرفض هذا الموقف

- ◆ لا أعتقد أن المستهدف هو بعض المستشرقين - أو الثقافة الغربية ذات القيم الإنسانية - بل الغرب المحلي وأعتقد مساحة الخطر على النهضة الذاتية قائمة في هذا الجانب، وربما أكثر من العناصر الرجعية والمختلفة لأن العناصر الرجعية المختلفة لها شكلها الواقع الذي يمكن مقاومته أما «المشترون العرب» فيغيثيون خلف شعارات برقة عن التغير والتقدم والحداثة ...
- وأنا أقول أن الموقف الجديد الذي يتبغى أن ينسى إليه ليس الموقف من الغرب بل الموقف من القوى الرجعية والمتعصبة لتطورنا وأن خوض المعركة بهذا الشكل سيحمل الموقف مع الغرب حلاً شبه تلقائي .
- ◆ ماذا يعني لك غياب التأليف العربي في مجال العلوم الإنسانية ؟
- يعني أولاً حالة من الشعور الثقافي الذي يكاد يشمل معظم البلدان العربية، وهو تدهور مخيف، ولا يمكن لأحد أن يتصور ما الذي يحدث لثقافة بلد عندما تكون الأجيال المسيطرة الآن وحدها في الساحة .
- ◆ أنت تتحدث عن الحالة الثقافية العامة والشروط الموضوعية الخانقة لتأليف والإبداع لكن لا توجد أسباب ذاتية، وقصص ذاتي من جانب المفكرين العرب ؟
- الإطار الموضوعي يحجب أي شروط أخرى ذاتية أو غير ذاتية، فإذا كان المتأخ نفسه فاسداً وإذا كان التكوين نفسه ناقصاً، وإذا كان الإنسان لم يستوعب بعد الفلسفات الموجدة جيداً، فكيف يمتلك القدرة على التجاوز والإبداع وتقديم الإضافات الجديدة ... هذا مستحبيل، فالعلوم التكربلية هي أهم العلوم، والملاحظ الآن أن هذا الجيل

المسيطر في الجامعات ومراكز البحث هو جيل هش وهزيل ويعيش عاله على الآخرين . وهذه أزمة ثقافية وتعلمية في آن واحد ، وللأسف هي المتحكمتنا في المجالات كافة .

◆ يرغم ذلك فيان هذا لا يمنع بالضرورة من وجود بعض المفكرين الذين يمكنهم تجاوز ذلك نحو تأليف عري في مجال العلوم الإنسانية بصفة عامة والفلسفة بصفة خاصة ؟

● لا ، أنا أرى أن هذا يمنع فعلاً .

◆ أليس هناك محاولات لاختراق هذه الأجيال المسيطرة من قبل بعض المجتهدين ؟

● حدث هذا في الأجيال القديم لكن الجيل الصاعد مستواه هابط بمراحل عن الجيل الذي سبقه ، وذلك على القيد مما زاد في البلاد الأخرى حيث الأجيال الصاعدة تقدم في معرفتها ووعيها على من سبقيها .. المفترض أن الحركة تستمر لكنها متوقفة تماماً .

◆ بالنسبة إليك . كيف تنظر إلى غياب التأليف الفلسفى العربى بصفة خاصة ؟

● أنا لا أقول بذلك ، وإنما أقول أن هناك تراجعاً وتضاؤلاً وأن المجموعة القليلة التي تملك شيئاً من الإبداع والقدرة على التأليف إذا اختفت من الساحة فإنها النهاية المظلمة .

◆ هل ترى أهمية في الحديث عن ضرورة وجود فلسفة عربية اليوم ؟

● يبدو لي من استعراض الحياة الثقافية في العالم العربي ، أن هذا المطلب ذاته قد لا يكون أساسياً بالنسبة للتفكير العربي ، ففكرة أن تنشأ فلسفة بالمعنى الشامل المذهبين المتكمال هي فكرة ذات أصول غربية ، ولا يشعر المفكر العربي بأن الحاجة الأولى الملحة هي بناء المذهب المتكمال ، إنما يشعر أن أمامه مشاكل محددة عليه أن يوظف طاقاته من أجلها ، وهذا هو الحال فعلاً ، وفي هذا الاتجاه نجد أعمالاً لا يbas بها في العالم العربي وهي هادفة إلى حل مشاكل فكرية محددة ، أما النظرة الفلسفية المذهبية

الشاملة فإذا كانت تلبى حاجة ما في المجتمعات الغربية، فلا اعتقاد أنها تمثل حاجة بالنسبة لوضعنا الثقافي وأحوالنا المعيشية، نحن غير مضطرين لمحاكاة الفكر الفلسفى الغربى فى هذه النقطة بالذات، أى بناء مذاهب فلسفية .

◆ ليس بالضرورة بناء مذاهب فلسفية، ولكن أتحدث عن التأليف الفلسفى الذى يمثل إسهامنا الحضارى، يعنى لو أننا قمنا بترجمة الأعمال الفلسفية الرئيسية الصادرة فى العالم العربى فى الثلاثين سنة الماضية إلى اللغات الأجنبية الالمانية والإنكليزية والفرنسية فعل سيد المقارىء ما يكون تاليًّا عربًّا أو فلسفـة عـربـية ؟

● عندما تكون هذه الكتب المترجمة متعلقة بمشاكل مجتمعاتنا العربية يمكن أن يوجد فيها ذلك، لكنى لا أعرف لماذا الإصرار على طرح مسألة وجود فلسفة عربية اليوم أم لا ؟

◆ لأنها قضية محورية فى تصورى وتكتشف عن واقعنا بصورة تسمح لنا بتجاوزه فيما بعد . . . لأنها ما نملك وما لا نملك، ما نحن فيه وما نتظر تحقيقه .

● وانا ارى أنها قضية فرعية وثانوية وأن المهم هو ان نحلل اوضاع المجتمع الذى نعيش فيه، ليس المهم بالنسبة إلى أن ابني نظاماً فلسفياً شاملـاً .

◆ ليس المقصود من هذا الحديث هو بناء أنظمة فلسفية متكاملة بناء المذاهب انتهى في الثقافة الغربية أيـضاً ؟

● أنا اعتبر هذا الحديث أقرب إلى الاحتياجات الفكرية للمجتمعات الغربية وأن احتياجاتنا من نوع مختلف، لأن أي مفكر عربى تحاصره المشاكل من كل النواحي وبعض هذه المشاكل تحاصره من جهة البقاء فى الحياة . المفكر العربى مهموم باستمرار مجتمعه وذاته لأنهما معرضان للنفاذ أو الانهيار أو الاحتلال فى مثل هذا المناخ من الصعب أن نطالب المفكر العربى بانجاز فلسفات بالشكل التقليدى الموروث من أيام البناء وهو أن يواجه الآزمات وقت حدوثها .

◆ في مساهمات المفكرين العرب في حل المشاكل، هل ترى تجدیداً وإبداعاً؟ ◆

● نعم، وربما ما قالوه محق في كثير من الأحيان من كتابات الغربيين عن المشاكل ذاتها . وعندما أقرأ ما يكتبه بعض من الأميركيين أو الفرنسيين عن مجتمعاتنا أجده يصلح كمدخل بالنسبة للأجانب والعديد من أوجه النصوص والقصص على خلاف كتابات المفكرين العرب المفهومين بعمق للمشاكل التي تناولوها .

◆ هل هذه الكتابات التي تتحدث عنها كشفت لك عن طريقة معينة في الفهم والرؤية بحيث تسمع لنا بالحديث عن ملامح معينة لمنهج عربى في تناول مشاكل هذا الواقع؟

● أنت، من جديد تتحدث عما إذا كان هناك منهج مجدد تنسى به هذه المنطقة في حين أرى أن المطلوب هو أن يكون هناك في المنطقة العربية تفكير منهجه بالمعنى العام للكلمة، أنا أتصور أن المطلوب هو أن يكون هناك تفكير منهجه منطبق . وأن يكون هناك منهج محدد خاص بنا، فلا أظن أن هناك منهجاً أميركياً أو فرنسيّاً . هناك شروط عامة لسمنهج إذا توفرت يمكن الفكر منهجه، وإذا لم توفر يصبح ناقساً من الناحية المنهجية، لكن الدعوة لقواعد المنهج كما فعل ديكارت في بداية العصر الحديث، بما يتاسب مع قدرات العالم العربي، فهذه مسألة تجارزتها التطورات أيضاً، ديكارت كان يتحدث في فترة خروج من العصور الوسطى إلى الفكر الحديث، والعلم الحديث . وكان لا بد من التفكير في تغيرات جوهرية، بالنسبة إلينا الأمور استقرت إلى حد كبير لكن لا يوجد شك في أن الحد الأدنى من القواعد المنهجية المتعارف عليها في مختلف المجتمعات غير متوفّر عندنا . وبصفة خاصة عند جماعات الأصوليين، فالحدود الدنيا للمنهج السليم غير موجودة، كما يحدث مثلاً عندما يكتب أحدهم آفواً أو قرارات لغربىن أو مستشرقين بدون أن يذكر اسم المؤلف أو المرجع الذى استقى منه معلوماته فى كتابه، ثم يذهب بعد ذلك ليبنى بناءً كاملاً من الأفكار بدون أى نوع من التوثيق، أفالباء، المنهجية غير موجودة

## ◆ . ما العمل إذا ؟ ◆

- العمل ... نحن ليس مسموحاً لنا في مجال الفكر الفلسفى بالحد الأدنى ممارسة الفكر الحر، المعموقات عندها لا يوجد لها نظير في أى مجتمع آخر في العالم، ثم ثانى لقول : لماذا لا توجد فلفلة عربية !!

## ◆ إذا نعيش في إطار غضب السماء وليس أمامنا سوى أن ترك الساحة ! ◆

- لا، لكن أقول الإرهاب موجود لدينا، افترض أنت كتب كتاباً عن الشيخ الغزالى أو القرضاوى، وقلت أن هناك مدرسة كاملة تفكراً غير منهجه بدليل أنها تتبع آراء فلان وفلان وهم أناس يخطئون في أبجديات المنهج المنطقى السليم، فلو نشرت ذلك فإنه قد يحكم عليك بالإعدام . قيامك بنسخ من التوعية والتثوير البسيط لأهلك ومجتمعك بالقواعد العادلة للتفكير السليم وقولك أن هناك ملاييناً من الشبان يسررون وراء أناس لا يتوفرون لديهم الحد الأدنى من التفكير المنتظم . مجرد قوله هذا يعرضك لأخطر لا نهاية لها . وأنا أحدثك في هذا عن الحد الأدنى فيما بالك لو حارتنا تجاوز هذا الحد البسيط .

## ◆ والحل مرة أخرى ؟ ◆

- أنا لا أعرف كيف تستطيع أن تعمل في هذا المناخ من الإرهاب ، الناس تدور حول نفسها، الفكر المتأخر المتقدم منذ خمسين عاماً يتراجع ويقف الآن على أرضية خصمه القديم . والضغوط تواصل فتراتجع فتسوّل فتراتجع وهكذا، نرى المسألة في نهاية الأمر ترتد إلى مناخ سياسي واجتماعي مفروض عليك وهو المعرق الأكبر .

## ◆ هل هناك امكانية ما للخروج من هذا المأزق ؟ ◆

بما أنتي لست سياسياً فانا لا أملك الحل .

● كمنظر !؟

- هناك فجوة كبيرة بين المفكرين والمنفذين، فالمنفذ لا يأخذ أبداً بأراء المفكر فإذا شئت اطرح لك برنامجاً مثالياً وعظيماً ولن تجد أروع منه لكن قل لي من ينفذ ذلك في الواقع .
- ◆ فلتتحدث إذاً في هذا البرنامج المثالى، ما هي ملامح مشروع النهضة الثقافية فى مصر والعالم العربى فى ظل الظروف الراهنة التي انفست فى وصفها ؟
- فى ضوء الوضع الثقافى الحالى نحن فى حاجة إلى عشرات السنين كى نقر مبادئ التثوير البسيطة، بمعنى حق الإنسان فى أن يفكى بحرية وأن يتقبل الناس أفكار البعض، حتى ولو اختلفوا معها . أن لا يدينوا بعضهم بالخيانة والكفر . وهذه المبادئ البسيطة لا تشكل فلسفة ولا فكراً لأن مهمتها سلبية، أى تمنع عن الإنسان العنوان الفكري، لكنها لا تخلق الجديد، فالجديد يأتي بعد ذلك وحتى هذه المبادئ محتاجة، كما قلت، إلى كفاح عشرات السنين، ولا أدرى إذا كانا مستتصر أم لا الوضع أسود في العالم العربى . وأنت تنظر من بعيد من باريس من مناخ ساد فيه التثوير منذ قرنين من الزمان
- ◆ إذا أساء البعض فهم ما تقول فربما يؤدى ما تقوله إلى أنه طالما لا يوجد الحد الأدنى من التثوير فلا داعى للطموح في الإبداع، طالما الأرض غير مهيأة وابناء الفروروات العقلية غائبة ؟
- لا، كلامي لا يؤدى إلى هذا المعنى وإنما أقول عندما لا تجد الإبداع متحققاً بالصورة التي تنشدها فلا تندهش من ذلك، هذا ما أردت قوله .

#### ◆ والعمل مرة أخيرة !؟

- كما قلت لك لسنا نحن الذين سنحسّم هذه المسألة . الجسم سيكون على أرضية السياسة، وللنسبة من أولها لأنّها لعبة سياسية والدعوة إلى التراجع دعوة سياسية ربّما كان غطاؤها الخارجي دينياً . . . عندما يتحدد من المستنصر ستتضخّص صورة العمل . لكن

إذا تصورت أنتا كمفكرين نستطيع أن نغير شيئاً من الأوضاع الحالية فإنك تبدو لي  
متفانياً، اللعبة الكبيرة في مجتمعاتنا خرجت من أيدينا .

◆ في أيدي من؟ ◆

● في أيدي الذين يلعبون اللعبة السياسية سواء المسيطرة أو المعارضون لهم،  
والذين يرغبون في السيطرة . وانا أحدثك في ذلك من خلال صورة السنوات العشر  
الأخيرة .

◆ والسنوات القليلة المقبلة؟ ◆

● يبدو لي أنها العن وأشد سواداً .  
أشكرك على هذا الحديث المثالي جداً .



أنور عبد الملك  
أنا دائمًا مع ريح الشرق



ما هو موقفنا من الغرب **اليوم** ؟ وكيف كان موقفنا منه **بالأسن** ؟ متى أصبنا وأين انطأنا ؟ ثم هل أن الآوان لبروز موقف جديد من الغرب تتجاوز فيه الخطاء الماضي والحاضر ؟ وكيف تبع هذا الموقف الجديد الذي نصخع فيها إدراكتنا للغرب وقبل ذلك إدراكتنا لأنفسنا ؟ وما هي العقبات التي تقف حجر عثرة أمام من يحاول الخروج من مأزق العلاقة المريضة لمجتمعاتنا مع مجتمعات الغرب ونظمها وقيمها، باختصار : ما العمل ؟ هذه التساؤلات، وغيرها . تشكل الأطار والهاجس الذي تدور حوله سلسلة الأحاديث مع بعض الكتاب والمفكرين العرب، والهدف منها - بعد أن حاورنا بعض المستشرقين - بالدرجة الأولى، هو اكتشاف ذاتنا من جديد وتصحيح الرعن بهذه الذات من خلال التبشير من مكوناتها الأساسية التي غابت وطمس في ظل علاقتنا المريضة بالغرب . ومن جهة ثانية تهدف هذه الأحاديث إلى إبراز حدود التماييز الممكنة والمستحيلة مع الثقافة الغربية وقيمها ومعايرها .

واختيارنا للكتاب والمفكرين العرب راعينا فيه بدرجة أولى أن يكون مع أولئك الذين عاشوا في الغرب وتكونوا علمياً وثقائياً في مدارسه، وبالتالي هم في إطار وموقع اتصال دالمين مع رموز واتجاهات واجهزة الثقافة الغربية، موقعهم هذا له ميزته خصوصاً أننا نتحدث مع أشخاص على دراية حقيقة بما يحدث في الغرب، لكن من جهة أخرى له مساوئه بفعل الأسلطة التي قد تسبب حرجاً ما لبعض من نلتقي بهم، لأنهم مطالبون أماناً أن يتبعوا لغة واحدة، لا أن يحكونا لغة في الغرب تختلف مما يقولونه في الشرق . . . تحدثنا مع مصطفى صفوان أستاذ التحليل النفسي المشهور في فرنسا والغرب بصفة عامة، واليوم أنور عبد الملك الذي يعيش في فرنسا منذ ثلاثين عاماً ومن دون أن تقطع

اهتماماته بمصر والعالم العربي وعموم مجتمعات الشرق، سواء في دراساته أو في البدائل الحضارية التي يشرف عليها من خلال عمله الثاني - بعد المركز القومي للبحوث القرنيةية - في جامعة الأمم المتحدة .

◆ وكانت بداية حديثنا الذي وافق عليه أنور عبد الملك بترحاب - وبعد أن اطلعنا على أحدى المنشورة مع المستشرقين - يبدأ من حيث انتهينا مع المستشرقين الفرنسيين وتساؤلهم - ردًا على انتقاداتنا - لماذا لا يوجد استغراب - بمعنى دراسات من الشرق إزاء الغرب - بوارى الاستشراق . وكان أول تساول وجهناه وأنور عبد الملك هو، كيف يعلق أولاً على هذا التساول؟ هل يقبله؟ هل يرفضه؟ هل يود الإجابة على التساول من زاوية أخرى؟ هل يود أن يعلق على بعض ملاحظات المستشرقين الفرنسيين؟

● في الحقيقة لا أود أن أبدأ من حيث انتهت الرمادل المستشرقون فهذا شأنهم ولنا شأن آخر . نقطة البدء في أي حديث عن الفهم المتباين أو التفاعل المتتبادل للحضارات والثقافات يجب أن تشمل مجال عموم المجتمعات الإنسانية البشرية، وليس شمال وجنوب البحر المتوسط، ليس الغرب الاستعماري والشرق العربي المستعمر منذ عدة قرون. هدفي أن تتحدث بوجه عام عن تفاعل الحضارات والثقافات والقوميات . إننا نلاحظ باستمرار في تفاعل الحضارات والثقافات أن ميزان القوى هو الذي يحدد المجهود العلمي أو «المعلومة» والراكم العلمي . مثلاً في عصر الإمبراطورية الفرعونية المصرية كأكبر إمبراطورية في العصر القديم من حيث الاتساع والتاثير أو في فترة انتشار الإسكندر نحو الشرق، وفي مرحلة انتشار الإسلام شرقاً وغرباً . أو مرحلة ظهور الصين كمركز عالمي حضاري وسياسي ، وفي مرحلة انتشار المغول إلى قلب آسيا ثم أوروبا، نجد أن هناك «معلومات» أي مجموعات معلومات في القطاعين، القطاع المهيمن والقطاع المهيمن عليه، لكن الملاحظ أن المعلومة كانت دائمًا زائدة في القطاع المهيمن سواء في الغرب أو في الشرق . خذ مثلاً الغزوة الأبيوية الإنسانية البرتغالية لأمريكا الوسطى والجنوبية ابتداءً من نهاية القرن الخامس عشر، هناك عشرات بل مئات وألاف من الكتب

والدراسات والروايات الأساسية والبرتغالية تحكى بتفصيل عن المجتمعات الهندية آنذاك وهي مقتبورة بالسلاح . فما هي نسبة المعلومة لدى الشعوب الهندية آنذاك ؟ هذه الظاهرة تتفاوت حسب علاقة القوة المهيمنة والقوة المهيمن علىها . فى الحروب الصليبية، مثلاً، كانت هناك معلومة كبيرة لدى الغرب المسيحي عن الأرضى الإسلامية التي نفتح آنذاك إلى حد ما لكن هناك معلومة لا تقل بل ربما تزيد في بعض الأحيان في العالم الإسلامي خاصة في عصر صلاح الدين، وكذلك أيضاً وبشكل أعمق وأوسع بكثير في إسبانيا فالكتابات التاريخية والطبية والعلمية في إسبانيا ومدى دقة معرفتها بالعالم الذي كان آنذاك قطاعاً هاماً غزيراً من القوة والثقافة المسيحية الغربية، تجده محللاً تحليلاً دقيقاً وعميقاً، على أيدي مفكري وعلماء هذه الفترة . الآن تتحدث عن الفترة المعاصرة وهي بيت القصيد . والمنهج الأساسي لعرض هذه القضية بشكل منصف هو أن ندرس العلاقة المتباينة في المعلومة في محاولة فهم الآخرين بين الدوائر الثقافية الرئيسية في الشرق وبين الغرب المهيمن، وأقصد بذلك إلى جانب الدائرة الثقافية العربية في العالم الإسلامي: تركيا، إيران، الهند، جنوب شرق آسيا، وفي المقام الأول بدون شك الصين واليابان والهند، لو أقمنا دراسات مقارنة- ولو مبسطة- بين الجهود التي بذلت في هذه الدوائر لفهم الغرب المهيمن لدينا أولاً : أنه لم تتم في أي من هذه الدوائر الثقافية إقامة نظرية عامة أو نظام فكري عام يشرح الغرب، وإنما كان هناك موقف انتقائي تقدى تحليلي من الثقافة الغربية لإدراك أساليب هيمتها وكيف يمكن الإفاده منها لكسرها وردها ومن دون الانقطاع عنها، وهو نفس الموقف الذي وقته مصر محمد على وبعد ذلك حتى في عصر اسماعيل، وموقف العالم العربي حول ثورة مصر الوطنية بقيادة جمال عبد الناصر، الموقف التقدي المتحليلي الانتقائي، لن تجد في أي من هذه الدول فلسفة متكاملة لمفاهيم الثقافة الغربية في فترة الصراع، الآن بعد أن ابتعد الصراع عن بعض هذه الدول الشرقية - الصين ، اليابان ، والهند - وأصبحت في مقام الدول الكبرى، بدأ العمل التفصيلي لإكمال ما بدأوه في مرحلة الصدام، أى للحصول على نظرة عامة شاملة لهذا الغرب الذي أصبح نداً - وليس فقط عدواً مهيناً - من الناحية

الجيوسياسية والتجارية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية. هذه الملحوظة هامة جداً من الناحية المنهجية ويمكن أن تضيف لها ملحوظة ثانية، وهي أن الدائرة العربية من الحضارة الإسلامية كانت الدائرة الأقرب إلى خط النار، وأنها هوجمت بالقهر والسلاح بشكل منتظم منذ القرن التاسع وفي العصر الحديث منذ ١٧٩٨ حتى الآن، فالغزو المسلح والهجمات المستمرة لم تقطع، ولم يكن هنا شأن الهند ولا جنوب شرق آسيا بهذه الاستمرارية ولا الصين أو اليابان، هذا مهم جداً لإدراك كيف تشكل ترسانة المعلومية، وفي تقديرى - وهذه هي النقطة الثالثة - أن دراسة الغرب لا تأتى بتأليف نصوص مثل وصف الغرب، ووصف إنجلترا أو فرنسا باللغة العربية أو الهندية أو الإبرانية فليس هذا هو المطلوب، وإنما عملية جدلية، يمعن أن كل الجهود التي بذلت لإقامة ثقافة وطنية وفكر وطني اجتهادى هي جهود بدأت بفقد المطروح ومحاولة لإحياء التراث الحى بالتفاعل مع إيجابيات ذلك الذى هو آت من الخارج . أى أن عملية صياغة الفكر والثقافة الوطنية هي عملية فهم جدى للإيجابيات التاريخية المسقطة على أرض الوطن .

نقطة رابعة وأخيرة.. هناك، رغم هذا كله، فى مختلف الثقافات الشرقية مجموعة كبيرة هامة من المسؤوليات فى الفكر والفلسفة والتاريخ والاجتماع والسياسة، تتناول بشكل تجددى تماماً نقد الغرب وما يقدمه، وقد أسهمنا فى هذا المجال مع نخبة من زملائنا المفكرين الرواد فى مختلف أقطار الشرق وخاصة فى مشروعنا حول الجدلية الاجتماعية الذى بدأ نشرة فى ١٩٧٢ ومازال مستمراً فى قطاع المشروعات الدولية الذى تولينا إدارته فى جامعة الأمم المتحدة ابتداء من ١٩٧٦ - ١٩٧٧ حول «البدائل الاجتماعية - الثقافية فى عالم متغير» وهى مشاريع جمعت نخبة من مئات رواد الفكر والعلم وعشرات من مراكز البحوث على امتداد العالم .

لكن ما يلفت النظر أن هذه الجهود تطمس دائمًا فى الغرب . وكأنها لم تقم - ما هو مقبول من الكتابات الشرقية فى الغرب الذى يتذكر لوجودنا أو ينقل رؤيه إلى

مجتمعاتنا، فيترجم بلغات قومية المعرفة المتاجة في عواصم الغرب إلينا، لكن بعناوين عربية أو شرقية .

◆ هم من أسمايهم " المستشرقون العرب " !!

- هؤلاء هم المستشرقون، الشرقيون هذا واقع الأمر كما نراه ونعلمه ولا داعي للإطالة في هذا الموضوع، وأرى- كما يقول بعض الزملاء- أنه ليس علينا أن نبدأ من حيث انتهى الغرب بل أن نبدأ من حيث تتحرك كلنا في دوائر الشرق المختلفة، في دوائر العالم الذي يقال إنه هاشي، في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، أي أن نتعرّف على المجهودات الفكرية التقديمة الهامة، وعلى الإبداع الفكري الذاتي وعلى الريادة الفكرية في العديد من المجالات وأن نحاول اختصار طريق التسميم ونختار التقدم بهذا النهج في الوقت نفسه الذي نظر فيه على تفاعل مستمر مع الثقافة والفكر المستقبلي في مختلف دوائر الغرب .

- ◆ هل الغرب مسؤول عن الصورة التي رسمناه له . وهل شجع نعمطاً معيناً وطريقة معينة من إدراكنا له ؟

- موضوعياً ميزان القوى التاريخي مسؤول عن الرؤية الناقصة غير المستكاملة التي يشكو الغرب منها .

- ◆ الصورة التي أدركنا بها الغرب كانت ناقصة . هل يمكن أن تحدث بصورة تفصيلية أكثر لنصرف وجهة نظرك في هذا الشأن، وكيف أدركنا الغرب فعلاً . أين نجحنا، ومني انعطانا . ولماذا أدركنا الغرب بصورة انتقائية ؟ وما هي الأسباب والدوافع ؟

- أنا لا أرى هناك دواعي للتفصيل، لأن ما أدركناه - شعوب الشرق - من الغرب هو إيجابيات الغرب .

◆ هل هذا حقيقة ؟

بدون شك ، الفكر العلمي ، الفكر المنطقى ...

◆ هل هذا ما أدركنا فعلاً؟

بالطبع .

◆ يبدو لي أنت أدركنا ما يريد لنا الغرب أن ندركه به أدركنا ما انتهى في الغرب أو ما يريد الغرب أن يتلخص من وصيته لنا، كما يصدر أحياناً أدوية فاسدة التهشّي مغول استخدامها !

● متفق معك في هذا لكن دعني أحده وجهة نظرى . في فترة التحرر الوطني في الدول الشرقيّة . مثلاً في مصر محمد على كان إدراكنا للفكر الغربي ، هو إدراك لإيجابيات الفكر الغربي ، تذكر رفاعة الطهطاوي وعلى مبارك ... .

◆ أى في الفترات التي لم يكن فيها استعمار؟!

● كلاً ، في الفترات التي تأكّدت فيها سيادة الدولة الوطنية الاستقلالية، أما في فترات انزواء الاستقلالية وسيادة جو السمرة والتبعة السياسية والاقتصادية في الدول الشرقية وعموم الشرق، استطاع الغرب أن يسقط علينا ثقاليات فكره وثقافته وكل البنيان الفكريّة السالبة، كما حلّتها في «الجدلية الاجتماعيّة» وفي «سوسيولوجيا الإمبريالية» كل ما هو مرتد ويهدّ إلى كسر الإيمان بالمبادرة التاريخية تحت عنوان البنية، مثلاً كل ما يمثل فكراً راقداً أو فكراً عديماً باسم الطليعية وهو نهاية الثقافة الغربية تحول إلى الأرضيات الشرقيّة بشكل براق إلى «طليعية» و«ريادة» فكريّة و«تحرر» من الجمود الفكريّ وهذا بفضل عملية نقل المعرفة نتيجة ضعف الدول الوطنية المستقلة وبالتالي ضعف الثقافة الوطنيّة المستقلة، المسألة كلها تتحصّر في ميزان القرى .

◆ عندما يكون منطق القوّة لصالح الغرب، وليس لدينا «المعلومية» التي تحدث عنها . كيف يمكن الخروج من مأزق ثقافة غربية لها بعد إنساني في كثير من الأحيان وبين توظيف هذه الثقافة في إطار هيمنة الغرب ضدّنا؟

● لا يوجد مفتاح سحري، إنما كرد اتجاهى أولاً وقبل كل شئ: ثبّة جمّيع قوى

الثقافة الوطنية بمختلف مدارسها الفكرية والعمل حول مشروع وطني حتى في فترات ضعف الاستقلالية في مختلف الأوطان . ثانياً في فترة الضعف التي تمر فيها الآن يجب أن نعتمد في المقام الأول على التعاون العضوي الوثيق مع القطاعات الطبيعية - وهي جبارة - في دول الشرق الأخرى اليابان والصين والهند، وأمريكا اللاتينية وخاصة البرازيل بالإضافة إلى القرى الموجودة في الدول العربية والإسلامية . في المقام الأول ينبغي أن نعتمد على التعامل مع كل ما هو جاد وأصيل - ولا أقول «تجديد وبراق» - في الثقافات الغربية، بدون أي تردد إطلاقاً وخاصة في القطاع العلمي والتكنولوجي .

◆ من متظور انتقائي أيضاً، أم أن هناك معايير جديدة ؟

● من متظور نقدى انتقائى لكن بالتفكير التحليلي وربط المعطيات بما نستطيع أن نستفيد، من دون أن يزيف ذلك خصوصية الشخصية الوطنية والثقافة الوطنية التابعة منها والتراث الحى في عملية التجديد، بيت القصيد هو : الحفاظ على سيادة واستقلالية القرار الوطنى، أى أن الموضوع سياسى بمفهوم حضارى اولاً، وقبل كل شئ .

◆ حتى الآن لم يدرس الشرق الغرب في إطار نظرية أو من خلال فهم شامل...  
لماذا لا توجد فلسفة كاملة في تصورك في التعامل مع هذا الغرب ؟

● علاقة القرى هي التي تكون الأساس والإطار العام . النصر الذاتى واجتهادات ومدارس المفكرين الوطنيين في مختلف الدوائر الثقافية الشرقية تلعب دوراً هاماً . داخل هذا الإطار . وفي تقديرى أن المعرفة والمعلوم أكثر من المنشور . لا توجد «ansklovidya» للغرب في الشرق لكن هناك فهم عميق جداً لقطاعات هامة من الشرق بما في ذلك العالم العربي في بعض فتراته بطبيعة القوة المتحركة أمامه ونكرها وفلسفتها ومنهاجها . لم يتخد هذا شكل تصورات متكاملة . وسأضرب في ذلك مثلاً محدداً - في إطار العالم العربي - «في أصول المسألة المصرية » لصحي وحيدة تجد فهماً وإدراكاً عميقاً ورائعاً لأركان الفكر الغربي ولصياغة هذا الفكر من الناحية التاريخية في صفحات قلائل . المسألة ليست في بعدها الانسكلوبيدي ولكن في عمق التفكير وتاثيره

في القرار السياسي وهناك كتب ومحاولات أخرى كثيرة ذكرت صحيحة وحيدة كمثال واضح معروف .

◆ ما الذي يمنع من انتشار عمق التفكير هنا، ويحيث يمكن إدراكا علمياً متشاراً على نطاق واسع وليس كشلوات عند صحيحة وحيدة أو غيره .

● أنا لا أفهم صراحة ما هو المطلوب هنا، وما الذي نطالب به أنسنا . هناك أولاً الموقف الدولي لأننا نعيش في مجتمع السوق الدولية . ولأن الدولة الاشتراكية الأولى في العالم ولفترات قريبة جداً كانت تتحرك في إطار اللحاق بمستوى معيشة الند الأمريكي وهي لا تزال تعيش في نظام ثانوي من التألف إلى أن جاءت تجربة الصين الرائدة وفيها لأول مرة محاولة لإنشاء مجتمع متعدد القطاعات يتسم بالتجددية الاقتصادية، وهو نفس النهج الذي نهجه النظام الياباني الرأسمالي حيث تجد نظاماً ظاهراً رأسمالياً وباطنه مختلف تماماً، ومني على التضامن الاجتماعي بل على ما يمكن أن تطلق عليه الإقطاعية العسكرية التي تحرك النظام الرأسمالي في مستوى متقدم من التضامن الاجتماعي والوثام بين مختلف فئات الشعب .

ثم هناك مجموعة كبيرة واسعة من المبادرات والمواقف لمختلف قطاعات الشرق لا يمكن أن تكون قد حققت هدفها إلا على أساس فهم عميق بعيد الرؤية لحقيقة وتحرك الغرب . ثورات التحرير والتحول الاشتراكي في الصين وكوريا وفيتنام وكوبا وغيرها، حركات وحروب التحرير الوطني، السويس، الجزائر، اليمن، أثيوبيا، الهند، إيران، التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في مصر محمد على، وكذا في اليابان والهند والبرازيل والصين اليوم، المبادرات المستمرة لمجموعة دول عدم الانحياز للبقاء على مجال من الحرية في القارات الثلاث والتوسط في المنازعات العالمية الكبرى . إن فكر مدرسة رفاعة الطهطاوى، إبراهيم باشا، ثم دائرة الإمبراطور ميجى في حركة التجديد في اليابان، وكذا أفكار الرئيس مارتن لوثر كينج، والتفكير الاستراتيجي لحروب التحرير في فيتنام والجزائر ثم «فلسفة الثورة» ورسائل باندونج، ثم انجاز تأميم السويس

وعبور أكتوبر العظيم، والشورة الكوبية وانطلاق رجال الكنيسة في أمريكا اللاتينية إلى لاهوت التحرير، والفكر الذي أدى إلى مقاومة «صندوق النقد الدولي» في البرازيل وببرو وتتحدى أمريكا الجنوبية في زيمبابوي ودول أفريقيا في خط المواجهة، والعقلية الصناعية المهيمنة على آسيا الشرقيّة في مواجهة التحدى الأمريكي... مئات الأمثلة والإيجازات كلها تشهد على أن هناك فهماً عميقاً للغرب، وقدرة فعالة على المحاوره والانجاز على أرفع مستوى، ويعد هذا يسائل الشرق: أين وصف الغرب؟!... أليست العبرة في العمل؟ في تغيير الواقع؟ في تشكيل مجتمع عالمي جديد؟ أليس كذلك؟

◆ أنا أطالب أولاً على مستوى علاقتنا بالغرب أن تدرك أولاً الأخطار الناجمة عن الصورة التي أدركناها بها الغرب حتى الآن والتي أدى إلى ما كان الغرب مسؤولاً عن إدراكتنا له بهذه الصورة وحتى إدراكتنا نحن لصورتنا في كثير من الأحيان، فلو أخذتنا نسوجاً تصعيدياً لما نعايشه مع أجهزة الإعلام الغربية ووكالات الأنباء الغربية نجد في بعض الأحيان أحداثاً تجري وقائعها في بلادنا، فينقلونها بالصوت والتعليق ليقمعوننا بعد ذلك بهذا الحدث بما ينافي، مما توجهاتنا، ولكن، تسلك في النهاية كما يريدون لنا.

● أنت تقول ما أقوله لكن بعبارات أخرى . لكن هذا كله نتيجة ماذ؟ .. نتيجة وهن القوى الاستقلالية الوطنية . اليوم في القطاع الشرقي الذي يعنينا بما يحدث في الصين واليابان والهند لا يأتينا إلا من خلال وكالات الأنباء الغربية ، بل حتى غربلة أقوال هذه الوكالات من خلال "الهيبر الدنريبيون" التي أصبحت مرجع الطيبة السياسية وسائر المثقفين في بلادنا بدلاً من أن يكون مصدر المعلومة كبرى الصحف ووكالات الأنباء في الصين واليابان والهند واليورق . بالعكس .

◆ هل هناك ما يدفع الغرب نحو تصحيح صورته عن بلدان الشرق عموماً ومساعدة هذه البلدان في الخروج من مأزقها الحالى نحو طريق التنمية والقدم ؟ ما أن المواجهة والصراع يختلف اثنكاناه هو الطريق الوحيد لتصحيح علاقه الشمال بالجنوب أو الشرقي بالغرب ؟

● سأتحدث بصرامة . منذ بداية هذا الحديث وأناأشعر بعدم ارتياح لكثير من الأسئلة التي تطرحها يان القضية هي علاقة الغرب بالعالم العربي والعكس بالعكس ، أنا أرى عكس ذلك وأن المسألة هي العلاقات المتباينة بين مختلف الثقافات والحضارات وأعتبر أن الدائرة الثقافية العربية داخل الدائرة الإسلامية جزء هام من الدوائر الحضارية التي تكون منها الحضارة الشرقية في آسيا والقطاع العربي الإسلامي من أفريقيا وبعض امتداداتها في أمريكا اللاتينية ، أنا لا يهمنى العلاقة بين المغرب والعالم العربي على وجه الحصر ، يهمنى العلاقة بين مصر والعالم العربي من ناحية والدائرة العالمية الشاملة من ناحية أخرى . ما أطروحه هو : كيف يمكن أن نجدد إدراكنا لحركة العالم بما في ذلك الغرب ؟ والوسيلة ليست في تعديل نمط علاقة مع أوروبا أو الغرب . والوسيلة هي في تعديل وجهة نظرنا أو باتجاه الرؤية العربية نحو حوار جنوب - جنوب أي الارتباط أساساً بعموم عالم الشرق في المقام الأول . لو عدلنا هذه الدفة وهذه هي دعوتي في «ريح الشرق» والتابعة من فلسفة مؤتمر باندونج ، ولو عدلنا هذه الوجهة سندرك أن المبادرة التاريخية اليوم في تغيير موازين القوى في العالم تأتي أساساً من الشرق وخاصة من آسيا ، وحتى الرد على سؤالك لا يمكن أن يبدأ إلا من تغيير تشكيل النظام العالمي الذي يجري تحت أعيننا ، تغيير هذا التشكيل سينقل مركز الصدارة من الغرب الصناعي إلى الشرق ، حول محور الصين - اليابان في علاقة وثيقة مع القطاع الآسيوي لأوروبا . مع سيبيريا ، مع الهند ، مع الدائرة الأفريقية الآسيوية وامتدادها إلى أمريكا اللاتينية وخاصة البرازيل ، هذه هي وجهة نظرى . . .

◆ أختلف معك بصرامة في مسألة حوار الجنوب - الجنوب لأنني أرى أن هذا الحوار يعني أن يكون أساساً في مواجهة الغرب . وكما تعلم شال باندونج الذي استشهدت به كنموذج لحوار الجنوب - الجنوب كان موجهاً أساساً ضد هيمنة الغرب . وبالتالي حتى مع الاعتراف بأهمية توسيع حوار الجنوب - الجنوب في هذه المرحلة فإنه لا يعني أن ننسى أن وجهة الحوار ، والمواجهة الرئيسية هي مع الشمال أي مع الغرب أساساً .

● حوار الجنوب - الجنوبي وجهه نهضة شعوب الجنوب وشعوب الشرق .

◆ عندما نقول جنوب فإن هذا يعني «جنوب في مواجهة شمال» !

● المواجهة تعنى نقل مركز ثقل المبادرة التاريخية إلى المنطقة التي تمارس تحريك العملية . أين هي ؟ كانت قبل القرن الخامس عشر في إطار الإسلام والصين . تحولت بعد هذا إلى أوروبا الرأسمالية، ثم الولايات المتحدة الأمريكية . الآن هذا المركز بدأ ينتقل إلى القطاع الآسيوي من العالم الشرقي . هذا تبسيط شديد وهذا لا يقتضي حرباً عالمية بحال من الأحوال .

◆ لم تتحدث عن حروب عالمية بل عن حدود التعايش بين الثقافات . فعندما أنتج في نقل مركز الحضارة، هنا معناه أن ذلك يتم في تغيير ميزان القوة الموجود حالياً بين الشرق والغرب، لأننا إذا عمقنا حوار الجنوب - الجنوب الذي تدعو إليه، فإن ذلك، لن يتم إلا على حساب الشمال أو الغرب . وبعد مواجهة حقيقة مع العلاقة المقلوبة مع الغرب الآن، وإلا كيف سيتقلل مركز المبادرة التاريخية ومركز الحضارة إلى القطاع الآسيوي من العالم . هل يتم هذا الانتقال بتصریح سلمي من الغرب إلى هذا القطاع الآسيوي !! وكى ننجح في نقل مركز المبادرة التاريخية ينبغي أن يكون لدينا مستوى من المعرفة والوعي والتفكير له استقلاله الثاني . بمعنى أن تخلص من حالة الاستناد إلى مراجع غربية وكانتها الحكم والفصل في ما نقوم به من نشاط . . . ينبغي أن نخرج من حالة عدم وضوح الوهم الناتج، والمسخ والتشويه الناتج عن علاقتنا بالغرب .

● هذا هو ما أقوله .

◆ إذن الخطوة التالية أن تخلص من آثار هذه الحالة المستترة . حتى الآن مشقونا ينطرون، أو يكتبون، كلمة أو اثنين وتكون الثالثة استشهاداً بمرجع غربي يثبت صحة الكلمة السابقة . ويدرون أن يكون بين مثقفينا وبين المصدر أية مسافة نقدية . . . وهل ترى أن هناك خلافاً في هذا، وقد سبق أن عبرت عنه في كثير من دراساتي؟!

- ◆ أقول ذلك لأنني أخشى أن تحمل دعوتك لحوار الجنوب - الجنوب نعماً من تخفيض الضغط عن الغرب، لابد أن تكون المواجهة صريحة مع الذات، مع الآخر.
- أنت تتحدث اليوم عما أسميتها في السبعينيات باسم «العملاء الحضاريون» هذه الفئات المتغيرة التي تتصرف في إطار من القتل والمحاكاة ...
- ◆ وما دالت هذه الفئات لها الكلبة والاشتار حتى الآن .

هذا جزء من الهجمة الحضارية المضادة التي بدأت بعد حرب أكتوبر (تشرين) لإجهاض نتائج الحرب : مستطلة في ذلك وباء العقود الدولارية المعروفة !

◆ وقبل حرب أكتوبر (تشرين) أيضاً .

● بعد أكتوبر (تشرين) يشكل أكثر شراسة ... في تقديرى أن هناك منهجهن، منهجه المواجهة والشهير والصراع، ومنهج ثان هو نقل أرضية المعركة. في تقديرى الآن أن المنهج الشانى هو الأقل، نتيجة وجود المنطقة العربية في خط النار، فى ما يمكن أن نطلق عليه حرب المأمة عام، وهي حرب حضارية وليس تكتيكية، والعمل هو أن نرکز الجهود بشكل بناء نحو إعادة الدقة إلى إقامة ثقافة وطنية اصيلة جديدة في عالمنا العربي، في علاقة وثيقة عصرية ذكية بالثقافات الوطنية المتقدمة في مختلف الدوائر الشرقية، ليس المسالة إذا عملية صدام داخلي، وإنما تحديد موقف ثم دفع القوى الرئيسية إلى هذا الموقف. وهذا هو الذي سيقدر الطاقة الداخلية .

◆ تحديد هذا الموقف، هل تعتقد أنه يجرى على أحسن وجه هذه الأيام، أم أننا لا نزال نعيش فى عصر «اللخبطة» والاختلاط وضياع الملامع فى تواصلنا المشوه مع الغرب، فلا نعرف من نحن، ما هي مقوماتنا الأساسية التي تستند إليها في عملية الصراع ...

● نعم نحن فى خليط وتواصل مشوه كما تقول، هناك ملامع للتغيير واضحة لكن يوجد أيضاً فهم متزايد نابع من مؤتمر باندونج الذى كان هو النهج الغالب في بلادنا في

فترات طويلة، وهذا النهج الآن هو النهج الأقوى في أهم دول الشرق، وبدأ ينشر بشكل واضح في مناطق واسعة في أمريكا اللاتينية رغم جذورها الغربية وخاصة البرازيل . فال موقف موقف جدلاني، هناك صراع بين الموقف التقليدي الذي وصفته وبين الموقف الجديد الذي بدأ مع محمد علي، على مستوى عالٍ، وليس مستوى مصر فقط، لكن في النهاية هناك خلط بين المنهجين ، والغلبة في أحيان كثيرة في العالم العربي هي لموقف المحاكاة وعدم الوضوح وعدم الاعتنان إلى النفس . وبالمناسبة هل يمكن أن تذكر لي في إية دولة عربية وفي إية جامعة عربية توجد أقسام لدراسة لغات وأداب وواقع شعوب الشرق في اليابان والصين والهند، بينما في جميع كليات الآداب في الجامعات العربية توجد أقسام لتدريس اللغات اليونانية واللاتينية الكلاسيكية، أليس كذلك ؟ صحيح هناك بدايات ، بدأنا ندرس هذه اللغات، وبدأتنا نتعرف على هذه البلاد نتيجة حركة عدم الاحياء التابعة من باندونج ، لكن ما زلنا متخلفين جداً على هذا الصعيد، وما زلنا نعتمد على منطق المحاكاة والتقليد ونقل المعرفة وال الحوار مع الشمال فقط . وأنا أقول مرحباً بالحوار مع الشمال ، ومرحباً بتجويد معرفتنا بالشمال ، ولكن الواجب أن نقوم أنفسنا أولاً ونطور المشروع الوطني في علاقة وطيدة مع القطاعات المتقدمة في مختلف ثقافات وحضارات وقوميات الشرق وهي في غاية الشراء .

◆ لماذا تستخدم تعبير الشمال للدلالة على الغرب؟

لأننا استخدمنا تعبير الجنوب .

- لماذا لا نستخدم تعبير الشرق والغرب خاصة أننا تحدث أساساً عن الأبعاد الثقافية للصراع وليس فقط الأبعاد الاقتصادية؟

انا شخصياً في كتاباتي لم أستعمل مصطلح الشمال والجنوب، وقد يكون اليوم هو أول مرة استخدم فيها هذا التعبير ، وعادة أستخدم تعبير الشرق والغرب أو القارات الثلاث والمركز المهيمن، لكن لم أستخدم من قبل مصطلح الشمال والجنوب، واستخدامي في الحديث لهذا المصطلح غير مقصود، وأفضل أن يوضع مكان

استخدامه في هذا الحديث كلمة الغرب والشرق، أو القارات الثلاث.

◆ هناك من يزعمه استخدام مصطلح شرق وغرب، ويعتبر أن ذلك قد تم تجاوزه من زمن، فلماذا العودة إلى هذا المصطلح . وهناك من يزعمه هذا التعبير لأنه يوجد بين الغرب ولا يميز بين غرب رأسمالي وغرب اشتراكي . هل هناك غرب واحد، أم مجموعة متباعدة من هنا الغرب ؟

● كتب عشرات الدراسات حول هذا الموضوع، الغرب إطار حضاري تكون تاريخياً ابتداء من جلور معروفة، ثم تشعب خلال ثورات وخاصة منذ ثورة أكتوبر إلى نظمتين مختلفتين اجتماعياً وسياسياً وأيديولوجياً، وكذلك في الشرق أيضاً، هناك عدد من الدول والأنظمة الاشتراكية، وعدد آخر من الدول الرأسمالية التابعة والمستخلفة ليس كذلك ؟ وكل حضارة يمكن أن تشكل سياسياً حسب ظروفها. وإن ظلت متستة في إطارها التكيني العام.

◆ في التعامل معنا، هل يكون هناك غرب واحد ونظرية غربية موحدة في النهاية ؟

● فهم الحضارة الغربية على توعتها بشكل موحد ليس موقفاً سياسياً وإنما هو موقف ناتج من إقرار واقع ، هو نتاج لعملية تكون تاريخي طويل استمر بالنسبة للغرب ٢٥ جيلاً ... الناتج عناصره واحدة، لكن تقطيم هذه العناصر في الاجتماع والسياسة لإنتاج مجتمع من طوارئ كذا هو نتيجة الحركة السياسية هناك أنظمة اشتراكية وهناك أنظمة رأسمالية، هذه الأنظمة تستعمل العناصر التكينية بشكل فيه ديمقراطية اجتماعية متقدمة جداً، وفي نفس الوقت مارست الهمينة السياسية بأساليب مغایرة عن أساليب الغرب الإمبريالي التقليدي. وتدل التجربة أيضاً على أن العديد من الدول الاشتراكية قد تعاونت مع الدول الوطنية المستقلة في مرحلة استقلالها بشكل إيجابي ساعد في التخلص من الاستعمار وفي بناء الاقتصاد الوطني، وهذا واقع تاريخي ، لكن في نفس الوقت لا يمكن أن ننكر أن هناك معطيات كثيرة ثقافية وعلمية وتكنولوجية جاءتنا في مراحل سابقة

من الغرب قبل أن ينقسم إلى مسكونين . إنما جاءت تأكيداً لهيمنة الغرب ... وهذا شيء طبيعي في آية علاقة بين قوى مختلفة، هناك قوى مهيمنة، وقوى تابعة. ثم إن التفرقة بين الشرق الحضاري والغرب الحضاري موضوع تاريخي - فلسفى في حاجة إلى حديث آخر وقد عرضنا له بالتفصيل في دراسات سابقة ومعروفة .

- ◆ إنه بغيض بالنسبة لنا لأننا نشكل جانب القوى التابعة .
- إذا ندرك هذه كظاهرة تاريخية، ندركه كنتائج لعلاقة قوى .
- ◆ لكن ونماهى من أثار هذه الهيمنة الناتجة عن ميزان القوى .
- لكن لا ننظر إلى هذه المسألة من منظور «إخلاتي» .
- ◆ في بعض الأحيان الروية الأخلاقية ضرورية ومطلوبة ومقدمة خاصة عندما نسمع متطرفين الغرب وهم يتحدثون دوماً عن حقوق الإنسان والحربيات ... يريد أن يقول لهم في هذا الحوار أنتم كاذبون وتحذلون عن حقوق الإنسان في مكان، وتتناقلون عنها في مكان آخر !!! يتحدثون عن حقوق الإنسان بصورة نقية لا صلة لها بمفهوم الحقوق أو الإنسان .
- لا، علاقة القوى يتبعها أن ننظر إليها بعين باردة للتحليل التاريخي الموضوعي للعلاقات القوى . وبعد هذا يأتي الموقف الأخلاقي، فالعمل هو دوماً بيت القصيد .



على فهمي خشيم  
الغرب يرفض الاستغراب



على فهمي خشيم أحد المفكرين البارزين في ليبيا، وأحد القلائل المهتمين بالفلسفة العربية تدریساً وتالیفاً. وهو من المتخصصين في فکر المعتزلة وله : الترعة العقلية في تفکیر المعتزلة، والجوابيان أبو على وهاشم، غير الكثير من المؤلفات الأدبية والتراثية، ويعمل في الجامعة رئيساً لقسم الفلسفة (أمين قسم التفسير في ليبيا). وساهم في إصدار عدد من الصحف والمجلات أهمها : «الفصول الأربع» كما أن اهتماماته لا تقتصر على مجال الفلسفة بل تمتد إلى التاريخ والاجتماع والأدب والنقد وقرض الشعر دراسة اللغات القديمة . . . بذاته معه الحوار بهذ التسائل الذي دار على السنة بعض المستشرقين لماذا يوجد استشراق ولا يوجد في مقابلة استغراب؟

● فلتتحدث أولاً عن الاستشراق والمستشرقين . البعض يرى أن الاستشراق بدأ مع الاستعمار، لكن الأمر الصحيح أن الاستشراق بدأ قبل الاستعمار . لكن من المؤكد أيضاً أن الارتباط بين الاستشراق والاستعمار مسألة محسومة بالأدلة والوثائق . فاهتمام المستشرقين بالشرق في بداياتهم الأولى لم يكن حجاً في الشرق العربي أو الإسلام . المستشرقون الأوائل في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانوا ينقسمون إلى قسمين : قسم جاء لمهد السبيل ويقدم المعلومات، وهو عمل لا يختلف عن عمل الاستخبارات عندما يكتبون عن مجتمع ما، عن طريق رصد كافة المعلومات عن هذا المجتمع . وكثير من المستشرقين كانوا يعملون مباشرة لدى

دواوين الاستخبارات الفرنسية والإنجليزية والألمانية وغيرها، هذه بديهييات مزكدة بالأدلة والرسائل . لكن منهم بعض الناس الذين ذهلوأ أمام هذا التراث العربي الإسلامي، وأحبوه عن صدق ودافعوا عنه، لذلك لا يتمنى أن تنسى لهم حسنة حفاظهم على هذا التراث في المكتبات الغربية، ولو لم يحفظ هذا التراث في فترة الركود والانهيار العربي لضاع منه الكثير، هذا فضل يحسب لهم، ثم منهم من كان على علم كبير فابدأ ، ومنهم من لم يكن على علم ... المستشرقون الآن في العصر الحديث في حالة تراجع، لم يعد هناك الشيء الكثير مما يهتمون به نتيجة الصحوة في الوطن العربي والإسلامي، لكن للأسف الشديد عندما يكتب المستشرقون الآن فإنهن يكتبون من منطلق الطعن ومحاولة التشويه، وأذكر منهم على سبيل المثال ، برناود لويس الذي لا يختار من الموضوعات إلا الشائكة، فاذكر دراسته له كانت عن الزنوج أو السود في الإسلام، فكان لا يختار في دراسته إلا النماذج التي تسيء إلى السود كمحاولة منه لتشويه العلاقة بين الأفارقة السود وال المسلمين ، كان يركز على نماذج من بشار بن برد تسيء لهم، وينسى النماذج المضادة، ينسى أن بلال كان مؤذن الرسول، لم يتتبه إلى قصة عترة بن شداد وتأثيرها العميق في التراث الشعبي العربي وفي الوجدان العربي والفالوكور العربي، لم يذكر البطولات الخارقة لهؤلاء السود . كان يعرف كل هذه النماذج لكنه لم يشر إليها . يختار المستشرق موضوعات يعلم أنها تثير الحساسية ، يختار ثورة تو باعتبارها تعبرياً عن رفض الزنوج الأفارقة للحكم العربي، وهذا غير صحيح لأن قادة الزنوج كانوا عرباً . ويختار المستشرق الشخصيات التي يدور حولها الكثير من الجدل مثل ابن الحجاج أو ابن سبعين في التصوف ، وتجدهم لا يهتمون بالقيم الصوفية الحقيقة المتأثرة بالمنهج الإسلامي ، لأن التصوف إسلامي

المنهج والتصور، وبالتالي يحاولون التشويه إما عن طريق بث المشكلات في داخل الفكر الإسلامي أو عن طريق الفكر الصرفي. المستشرقون اهتموا أيضاً باللغات، وأسأرب مثلاً: ما الذي فعله شمبليون؛ اضطر إلى قراءة اللغة العربية وتعلمها ليحل رموز اللغة المصرية القديمة، وقاموسه الأول كان مقابلة اللغة العربية إلى اللغة المصرية، ومن جاءوا بعده حاولوا ونجحوا في أبعاد اللغة المصرية القديمة عن اللغة العربية، باعتبارها لغة منفصلة واعتبروها لغة حامية وبالتالي غرقنا في هذا الخضم وخدعنا فيه.

المستشرقون أدوا دوراً سياسياً وجاسوسياً ضخماً في شمال أفريقيا، يجب أن نعرف بذلك، وعملوا كذلك على إثارة الفتنة الطائفية عبر نشر كتب معينه وتحليلات معينه وعبر تشويههم للتراث الإسلامي والتاريخ العربي، وهو ما أدى إلى ما نشهده اليوم من حرب طائفية في لبنان، وأيضاً ما نشهده من محاولات وزرع الفرقة بين أقباط مصر و المسلمين بشكل مفتعل حتى يهددوا بها عروبة مصر وإسلامها، ثم من الذي نشر التزعة البربرية في شمال أفريقيا؟ أليست المدارس الفرنسية، بروفنسال وجماعته، لاوست وجماعته، وكثير من الأسماء التي اهتمت بدراسة اللغة البربرية والعمل على فصلها عن اللغة العربية، كي ينحرموا لقسم من شمال إفريقيا ذاتية ثقافية، وبذلك يحصل إنشقاق في صفوف الأمة. لقد دمروا فعلاً التكوين والوحدة الحضارية للمثقفين . هم الذي يبنون الآن الكتب التي تدمر الكيان العربي الإسلامي أو التي تنهج منها يمضي مع تفكيرهم . دور النشر الفرنسية هي التي تبني أسماء لا داعي لذكرها، وهم فتاقيع أو توامة لك ما في الأمر أنهم يشتمون القرآن أو يشتمون فقهه القرية ويسيرون من المسلمين، كمحمد شكري وغيره، الذين يظنون أنهم اقتربوا من جائزة نوبل، عليهم اللعنة . . . المستشرقون، للامض، وأنا عشت مع أغلبهم من

المحدثين هم جهله، أغبىهم جهله... .

◆ هل تذكر لنا نماذج ؟ ◆

- كتابات برناود لويس نفسه، إنه يدعى المعرفة ويكتب عن جماعة «الحشاشين» ويلوي الحقائق... مرجليوث هو الذي مد طه حسين بالعبث والكلام الفارغ الذي قاله في كتابه الشعر الجاهلي... عندما أقرأ لمستشرقين محدثين أجدهم يفسرون الأشياء بطريقة... أذكر جاك بيرك وهو أستاذ جليل وقدم خدمات جليلة، لكنه لا يحسن العربية كما أحسنتها أنا وأنت، وأنا استمع إليه في محاضرة بالكورسنج دوفرانس ...

◆ مع أنه من أفضل المستشرقين الذين يتحدثون باللغة العربية .

- كان لديه الكثير من الترقيات المزعجة، وهذا لا يقلل من أهمية الجهد الذي بذلوه... حفظهم لتراثنا يعني أن نقدره ولكن نأخذ عليهم أن أغلبهم كانوا أتباعاً لل拉斯خبارات ويخدمون أوطانهم، ولا ترب.

◆ لكنهم يقولون : وماذا فعلتم أتم ؟ ◆

- حضرت مؤخرأ حلقة نقاش في جامعة الفاتح عن الدراسات العليا... عندما نرسل طالباً إلى إنجلترا ليتخصص في التقنيات الحديثة لمعالجة الحديد والصلب يرفض طلبه، لكن نقدم رسالة عن تشكيل مصنع الحديد والصلب في مصراته قبل، فجميع الدراسات التي يكتتبها طلاب عرب عن العالم العربي تقبل في كافة المجالات ويرحب بها، لكن إذا أردت أن تكتب شيئاً عن الغرب لا يُقبل، بينما الرسائل الأولى تقبل لأنها موثقة وملبنة بالمعلومات التي تمضي مباشرة إلى دائرة المخابرات

وينبرم . يقولون وماذا عنكم ؟ نحن لم ندرسهم لأنهم لم يسمحوا لنا أن ندرسهم . أنه غير مسموح لنا إطلاقاً القيام بذلك . أتمنى أن يدرس طالب عربي تركيبة الأسرة البريطانية المالكة لن يسمح لطالب عربي دراسة أصول العائلة المالكة ، لكن بينما يسمح للطلاب دراسة تركيبة الحكم في العراق أو سوريا أو ليبيا .

◆ قمت بإجراء تحقيق صحفي عن هذا الأمر ووجدت الآسئلة في فرنسا يقولون أنت السبب ، وأنت الذين تبحثون عن دراسات سهلة عن الطهطاوى أو الحزب الاشتراكى فى لبنان حتى يحصل الطالب على الدكتوراه بسرعة ويعود للعمل فى بلاده .

● لا ... هذا الكلام غير صحيح .. هم يشجعونه لمعرفة الأفغانى وعبدة ، أو تركيبة السكان فى مصر وليبيا ، يرجحون بذلك لأنها معلومات ، ووفقاً لها تخطط دوائر الاستخبارات الغربية ، لذلك ناقشا الأمر فى ليبيا واتخذنا هذا القرار : الذى يريد أن يدرس موضوعاً عن ليبيا فليدرسه فى ليبيا ، أما إذا أراد أن يدرس موضوعاً عن فرنسا فليذهب إلى هناك ، إذا أراد الطالب أن يدرس فلسفة ميجل أو سارتر فليذهب إلى هناك ، وإذا رغب فى دراسة الكندى والفارابى فليذهب إلى جامعتنا ، أما إذا كان الهدف دراسة اللغة والاحتكاك بالآخرين ، وهو أمر محمود ، فيشرط أن يدرس سنة ثم يعود لإعداد دراسته هنا .

◆ يقولون: لا يوجد لديكم استغراب .. كم قدمتنا نحن الاستشراف ؟

● نحن لستا مقصرين ، بل بالعكس لدينا أحمد فارس الشدياق الذى كتب عن أوروبا . أليس هذا محاولة لدراسة الغرب . والعلماء الذين ذهبوا إلى الغرب فى بداية النهضة كتبوا عن أوروبا . لكن الأوروبيين منعوا هذا لأننا بدأنا نعرف ... الآن نحن مقبلون للتتعرف عليهم أكثر وبدراية أكثر ، فهل يسمع لنا بذلك ؟ لا أعرف لماذا

يضعوننا في موضع الاتهام، كأننا نحن المقصرين ؟ أهم الذين يعتمدون ذلك حتى يظل الاستشراق قائما ... المستشرقون جاءوا مع الاستعمار، وأنحدروا آلاف الكتب والوثائق، تجدوها في مكتباتهم الوطنية . كل دولة سرقت حصتها من تراثنا المكتوب . نحن دائمًا نلام، على العرب أن يستيقظوا . . .

#### ◆ لماذا لا يستيقظ العرب أو بمعنى آخر: لماذا لا يوجد لدينا فللسفة عرب اليوم ؟ ◆

● لست متفقاً مع هذا السؤال . فإذا كان مفهوم الفلسفة الذي تستخدمه معياراً للحكم على وجود الفلسفة العرب أو غيرها هو المفهوم التقليدي للفلسفة أي أن يضع الإنسان منهياً متكاملاً في مناخ الحياة، فهذا المفهوم لم يعد قائماً لا في الشرق ولا في الغرب . أما إذا كانت الفلسفة هي الفكرة الجوهرية المعينة التي يدور حولها فكر المفكّر أو الفيلسوف فهذا موجود، ونحن لدينا كثير من الكتاب يفوقون كتاب الغرب أمثال عبد الرحمن بدوى، عبد الهادى أبو ريده، توفيق الطويل، زكى نجيب محمود وغيرهم من بلاد المغرب والشرق العرب الذين قد تتفق أو تختلف معهم، لكن لا نستطيع أن نذكر فلسفيتهم، لكن المشكلة تائى من أن هناك فيلسوفاً ما تسلط عليه الأضواء ويجد من يهتم بأدكاره ويدعيمها فيصير فيلسوفاً . . . وأنا في تصورى أن هناك فلاسفة عرباً معاصرین لكن حظهم سيء لأنهم لم يُعرفوا بعد في الغرب !! ونحن فقط مأخوذون بما يأتى إلينا من الغرب ودعایته فى حين أن لدينا فلاسفة عرباً كباراً لكنهم لا يجدرن فرصة أن يُعرفوا وأن يُعرف بهم في الخارج كما في الداخل، حيث لا يستطيعون أن يعبروا تعبيراً حقيقياً عما يدور في أذهانهم نتيجة الطغيان السائد في الوطن العربي . لا يزدهر الفكر إلا في جو من الحرية، والمعروف أن الوطن العربي، محروم من نعمة الحرية هذه .

◆ حسناً .. لكن الا تلاحظ أنك لا تقيم فرقاً بين الفيلسوف والمنظر . فالثاني قد يكون مجاله الفكر السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي ، بينما الاول فمجاله محدد هو الفكر الفلسفى . بالطبع لا اعني بذلك ان مجال الفلسفة يغفل المجالات المعرفية الأخرى ، لكن الالاحظ ان لدينا منظرين وليس فلاسفة يبحثون في قضيابا فلسفية من منظور جديد ، استناداً إلى تراث فلسفى عربى .

● أنا لا أعتقد في مشروعية التمييز بين الفيلسوف والمنظر كما تقول ، وكثير من كتب الفلسفة تتناول سocrates وأفلاطون وأرسطو لوصفهم مفكريين . أنا في تصوري وأصر على ذلك أن هناك كثيراً من المفكريين العرب لكنهم مغبونون وغير معروفيين أو معترف بهم ، أما الفلسفة بمعنى التأثير الخاص في مجال محدد فأعتقد أنه لم يعد لهذا النوع من التفكير مجال حقيقي ، لأن الحياة أصبحت أكثر دفقة . نحن محتاجون إلى أفكار متصلة بالحياة ... أعود إلى سؤالك : هل في الوطن العربي فلاسفة ؟ أقول : إذا الفيلسوف بمعنى ذلك الذي يفكر في قضيابا وله موقف - كلمة موقف في التعبير الحديث هي مذهب في التعبير القديم - فاجيب بنعم ولدينا منهم الكثير لكن لا يسلط عليهم الضوء .

◆ يبدو لي أنك حضرت النقاش في قضية «تسليط الأضواء» فقط في حين أن غياب الفلسفة العرب المعاصرین ربما يكون تابعاً من غياب منهج ورؤية ذاتية تميز مولاه الفلسفة العرب عن أقرانهم الغربيين .

● لا ينبغي أن نقول بأن هناك انفصلاً في المعرفة الإنسانية ، فالذى فكر فيه الفيلسوف لا يبتعد فكر فيه من قبل فلاسفة عرب . هناك تفسير إنساني مشترك وهذا شيء طبيعي ... فالشك المنهجى الذى قال به ديكارت ألم يكن موجوداً في كتب

الجاحظ، كل ما في الامر أن هذا الشك المنهجي نسب إلى ديكارت لأنه ظهر في بداية النهضة الأوروبية فسلطت عليه الأضواء، بينما الجاحظ جاء بعد انهيار حضارى فمات فكره ...

◆ بالطبع هناك بديهية تقول إن المعرفة عامة ومشتركة وإنسانية، لكن هذا لا ينفي أن العالم منقسم إلى حضارات وثقافات، الأمر الذي فرضي بالضرورة إلى وجود فلسفات مختلفة ومناهج في الرواية مختلفة أيضًا.

● المنهج في التفكير أو الرؤية واحدة في تصوري . منهج كتابة التاريخ في أمريكا لا يختلف عن منهج كتابته في ليبيا . فالعلوم واحدة والمنهج واحد لكن التطبيق يخضع إلى ظروف متعددة .

◆ لكن لا يغير اختلاف الظروف من قواعد المنهج . وهل المنهج اجراءات تقنية فقط تصلح في أي زمان ومكان أم أن به جانبًا نظرياً تحليلياً يرتبط بمفهوم الثقافة أو الحضارة التي تنتهي إليها؟

● أنا مؤمن بالتنوع وليس الانقسام داخل الأسرة الواحدة . أنا مؤمن بوحدة الأصول في كل شيء، وأؤمن بهذا الاختلاف الذي لا يؤثر في وحدة الأصول، وأعتقد أن المنهج - كوحدة أصول - هي واحدة في كل أنحاء العالم .

◆ التحليل النفسي كمنهج في معرفة الذات البشرية والغوص في أمرارها على سبيل المثال ، لا يمكن النظر إليه على أنه منهج عالمي يصلح في الغرب كما في الشرق ؟

● أولاً: هناك ردة فعل ضد التحليل النفسي في الغرب ذاته، وثانياً ينبغي أن

نسماء أولاً: هل نقبل نحن التحليل النفسي أم لا ... المشكلة هي متى نصل نى  
العالم كله إلى حقائق ثابتة تطبق في أي زمان ومكان؟!

◆ قبل أن نصل إلى تلك الحقائق الثابتة بين الحضارات والثقافات،ليس من  
المشروع أن نتحدث أولاً عما يميز هذه الحضارات، ثم نبحث بعد ذلك في القراءات  
المشاركة بينها . فإذا كانتنا نتحدث عن المناهج فما هي مناهجنا الذاتية في الرواية  
والتحليل؟

● إذا أخذنا الحضارات الإنسانية باعتبارها تعيش في صراع فإنه ليس من  
المطلوب مني أن أتبع مناهج الآخرين. أما إذا قام بين الحضارات والثقافات حوار  
فيتمكن الاستفادة من الثقافات الأخرى والمعطاءات الأخرى، وبالتالي لا أمانع في  
استخدام المناهج إذا أفادتنا، وليس هناك ما يمكن حدوث العكس أيضاً إذا وجد  
الغربيون في مناهجنا ما يفيدهم .

◆ إذا تركنا جانبًا مسألة الصراع أو الحوار بين الثقافات . فما هي مناهجنا  
الذاتية في الرواية والبحث اليوم والتي يمكن للغرب أن يستفيد منها؟

● كمربى مسلم فإن منهجي واضح جداً ولست لدينا مشاكل في هذا ...  
منهجنا العقلي موجود وهو الأساس الحقيقي لثقافتنا . العقل هو أساس المنهج  
الإسلامي في التفكير وهو مبني على أساس منطقية تتفرع بعد ذلك إلى مجموعة هائلة  
من الفروع التي تتسع حسب المعطيات وظروف الزمان والمكان . وليس هناك ما  
يوجب فرض المنهج العقلي على غيرنا. كما لا اطلب من أحد أن يفرض مناهجه  
لدينا ... وأعتقد أنه قد آن الأوان لكي نترى الثقة بأنفسنا . نحن في الوطن العربي  
في حاجة إلى الشقة بأنفسنا ومبادئنا والعودة إلى تراثنا - والتراث لا يؤخذ كله

بالمناسبة - ومن ناحية أخرى ينبغي أن تستفيد من تجارب الآخرين على أساس الند للند، وأن نتعرف أولاً بمفكرينا الذين لا يقلون أهمية عن فلاسفة الغرب ... وهم يهتمون في الغرب بمفكريهم وعلينا أن نهتم بمفكرينا . خذ مثلاً راسل إلا يعتبر فلسفوا؟ - لكن ما هو الإسهام الفلسفى الذى قدمه راسل ، له كتابات أخرى فى السياسة؟ أليس هو شغله فى الرياضيات مع وايتهيد ! لكن راسل له كتابات أخرى فى السياسة والاجتماع والدين وكل شيء . هل كان يتع موفقاً معيناً موافقاً لمنهج الرياضى فى كل هذه الشطوطات التي كان يقوم بها؟ لا يمكن تأكيد ذلك . كان يأخذ مواقفه الاجتماعية نتيجة تفكير مستقل . عندما كتب لماذا لست مسيحيًا؟ لم يكن لموقفه هذا علاقة بفلسفته فى الرياضيات ، وكان آخر عمل له بيانه عن فلسطين قبل أن يموت بشهر واحد فقط . لكن جملة المواقف السياسية والاجتماعية والفكيرية هذه هي التى جعلت من راسل فلسفوا . فلماذا - انتلاقاً من هذا المعيار- لا تتحدث عن المفكريين العرب بوصفهم فلاسفة لماذا لا تقول الفيلسوف العقاد؟ فالعقاد أضخم وأشمل وأكثر منهجة مع نفسه . العقاد كان يؤمن بقدرة الفرد وانطلاقاً من هذا الأساس أنتهى أعماله الأدبية والفنية والإسلامية . العقاد إذا فلسف وتراثه أضخم من تراث راسل ، فلماذا نعرف براسل فلسفوا والعقاد غير ذلك . أم أن كلمة فلسف هي جمالة عندما نقرنها باسم راسل وهي غير جمالة عندما نقرنها باسم العقاد . طه حسين أيضاً كتب في كل المجالات: في الأدب ، في السيرة ، في التقد . وخلف لنا آلاف الصفحات فلماذا لا نعتبره فلسفوا؟ هل لأنه مفكر عربى لا يستحق كلمة فلسف؟ وأنا أقول إنه فلسوف (بحده) وله موقف من الحياة والناس والمجتمع والفن والتاريخ ... وحتى الفلسفة الكبار في العالم لم يصفوا أنفسهم بأنهم

فلاسفة كالفلاطون وأرسطو بل الشراح الذين درسوا أعمالهم هم الذين قالوا هذا مذهبه مثالي وهذا مذهبه وائقى . . . ما يبشر حيرتى هو أننا نضع الكتاب العرب دائمًا فى مرتبة أقل، وذلك راجع فى تصورى إلى أننا لم نعد نؤمن بأنفسنا، ونرتى دائمًا فى أحضان الآخرين !! الغربيون يصنعون فلاسفتهم ونحن ندمى فلسفتنا !! هيجل، كانت، شوبنهاور، سارتر، ويتحمسون لهم ويعطونهم حقهم من الاهتمام والدراسة والتجيد . أما الأمة العربية فهي الأمة الوحيدة التى تحطم مفكريها . فلو ظهر العقاد فى الغرب لاصبح فيلسوفاً بالمعنى المحدد للكلمة . نحن لم تعد تحمل لنا سوى الأسماء الغربية التى نطن وترن . . لكن الأسماء العربية مثل زكي نجيب محمود وعبد الرحمن بدوى وفؤاد زكريا وغيرهم فهو أسماء لا نطن ولا ترن كأسماء الغربين !

◆ حتى تكون منصفين أيضاً يتبغى الاعتراف أن كثريين من المفكرين العرب لا يوجد فى إنتاجهم ما يميزهم كعرب وكل ما يقومون به هو ترجمة وشرح نصوص الفلسفة الغربية أو تكرار شرح النصوص الكلاسيكية فى الفلسفة العربية، فليست المسألة فقط عائدة إلى عدم الاهتمام بمفكرينا !

● ليس هناك من تربى فى الأخد من الغرب، فلافلسفة الغرب اخذوا منا . الميتافزى توماس الأكرويني . بيكون، ديكارت، بابن رشد وابن سينا ولم يمنع هذا كونهم فلاسفة من الغرب .

◆ لكن الأمر بالنسبة إلينا فى العصر الحديث أننا نأخذ من الغرب مع تجاهل الأسس والمقومات الذاتية للفلسفات العربية .

هذه تهمة تساق فى الغالب للتحطيم! العقاد غير معترف به كمنظر فى البلاد

العربيّة، وبعضاً الأقلام تهاجمه بصفة أنه رجعى أو يعبد الفردية والبطولة، لكن كارليل عابد البطولة، هو فيلسوف . . . أعتقد إذا بدأنا دراسة العقاد كفيلسوف يمكن أن تتوالى الدراسات بعد ذلك ونجد من يدرس عبد الرحمن بدوى كفيلسوف، وزكي نجيب محمود كفيلسوف، وفؤاد زكريا كفيلسوف . هؤلاء مختلفون مهمون في الآراء لكن لا أنهما فلسفتان في نمط حياتهم وتفكيرهم، أما مسألة التأثير فهي مسألة بديهية وطبيعية . . . الغريب أننا ندرس أنفسنا . هل تتصور أن هناك فلسفتان فأقررت مهمين ولا يوجد فلسفتان عرب مهمين؟ أم أن اطلاق كلمة الفيلسوف العقاد، الفيلسوف عبد الرحمن بدوى، ترعيتنا . . . هناك مفكرون في الشام والعراق ومصر وربما في اليمن وبقية البلاد العربية ولهم منهج في الحياة وأسس وموافق. هذه هي الفلسفة . . . مواقف، سواء كانت نظرية أو سياسية أو اجتماعية .

◆ الا تعتقد أن غياب فلسفات عرب معاصرین - وإنما أصر على ذلك - يعود إلى وجود انقطاع بين الفلسفة العربية الإسلامية الكلاسيكية وبين الإنتاج الفلسفى المعاصر في العالم العربي؟

● أنا أقول - وأصر أيضاً - أن الفلسفة العربية موجودون لكننا لم نبدأ في اكتشافهم ولم نعرف بهم، وهذا يحدث إحياطاً ويقتلك الإحباط إلى آخرين . فهل من المعقول بعد خمسين عاماً من الكتابة والتاليف أن يجد المفكر نفسه غير معترف به كمثقف، ويهزأ به ويُسخر به ويُحطم ويتم تدميره . نحن نتضطهد فلاسفتنا ومفكرينا، نتيجة أوضاعنا وعصر التردى الرهيب الذى لم يمر على الأمة العربية مثله اليوم .

اليوم أحمد عدوية أحسن من أي فيلسوف في العالم العربي، طبعاً هذا نتيجة

عوامل سياسية واقتصادية وحضارية وعمل دووب من الآخرين لتدميرنا من الداخل، بحيث أنسدنا الشقة في أنفسنا، ولا يمكن لنا أن ننهض من جديد إلا في مناخ من الحرية، علينا أن نعلم الطفل العربي ما تعنيه الحرية، نحن للاسف من المحظى إلى الخليج في حاجة إلى الحرية. نحن في الوطن العربي لا نزال نعيش تمسكنا بسلوكياتنا وفكارنا وإذا عنا وصحقنا . . . هناك مطالب أخرى للهبة كالعدالة الاجتماعية والوحدة والصناعة، لكن هذا يأتي بعد الحرية وأعني الحرية السياسية أولًا ثم الحرية الاجتماعية ثم حرية الإنسان في تحقيق وجودي، وبعد ذلك تزدهر الفلسفة، إذ كيف يوجد فلاسفة عرب، والمفكر يكتب وهو يفكك في الرقيب والشرطى ! كيف يبدع وهو لا يستطيع أن يفك ويقول رأيه . أقول: ما نحتاجه اليوم وقبل أي شيء آخر . . .

الحرية . . .



لويس عروض  
دائما... الغرب غرب



يشغل لويس مكانة هامة في الحياة الثقافية في مصر والعالم العربي، وهو منذ عقود يشكل نافذة كبيرة تطل منها على جوانب من الفكر والأدب في أوروبا، ولويس عرض مؤرخ وناقد أدبي خاص الكبير من المعارك الشائكة في الداخل والخارج . ومنذ كتابه « المؤثرات الأنجليزية في الأدب المصري الحديث » ثم « تاريخ الفكر المصري الحديث »، ثم كتبه الأخرى التي تناول فيها عصر النهضة الأوروبية حتى كتابه الأخير « مقدمة في فقه اللغة العربية » وهو يحمل معه هذا التصور الخلائق إلى ي匪يس إيداعاً ومعرفة، كما يتضمن في بعض الفترات معارك صراعية تركت آثارها الواضحة على موقفه وآراءه .

التقيت لويس عوض، المرة الأخيرة، في باريس صيف عام ١٩٨٦ ، وتجلو لنا في مكتبات الحى الالاتيني ثم جلستا في مقهى ويدانا حواراً مسجلاً باسم بالحدة أحياناً، لكنه في النهاية حوار حلقل إلى عقل مع الاحترام والتقدير الذى نكتنه دائمًا للدور الهام الذى نهض به لويس عوض في ثقافتنا المعاصرة والتي كان أحد فرسانها في دفاعه عن التعليم العام في وجه سماسترة الانفتاح الاقتصادي وغيرها من القضايا التي تهم الوطن بأسره، وإن كان ذلك لم يمنع الخلاف معه في قضايا أخرى كثيرة .. بدأت الحوار معه بالتساؤل التالي:

◆ كيف تفسر استعادة الحوار من جديد عن شرق في مواجهة غرب، وعن جنوب في مواجهة شمال؟ هل تعتقد أن هذا حوار مقتول أم أن هناك وعيًا جديداً بمسألة العلاقة مع الغرب اليوم؟ ماذا يعكس هذا الحوار في رأيك، هذه الأيام؟

● يعكس هزيمة منكرة . الملاحظة التي أستطيع أن أبديها، هي أننا في أزمة القراءة والنهضة نحاول أن نضرب الحواجز التي بيننا وبين العالم الخارجي قدر الإمكان، والتوجه نحو الحضارات الأخرى السراويل، ليس فقط من الناحية المالية لكن أيضاً من الناحية الفكرية . وعاشت مصر هذه المراحل، مراحل القراءة والنهضة، في عهد محمد

على وعصر إسماعيل وثورة ١٩١٩ . لكن عصر عبد الناصر أحدث البلبلة الكبرى عندما أرسى دعائم الفلسفة التوفيقية بين الانغلاق على النفس وبين استيعاب وجوه من الحضارة الغربية، تصور أنها مفيدة لنظام المؤسس على استعادة القوة . . . نظام عبد الناصر لم ينشأ من فراغ . . كان يحتوى دائمًا على المتصار المحافظ، وكانت ثورة عبد الناصر، والشباب نهاية الأمر، هي ثورة الشبان المحافظين، أي أنها كانت تجمع بين الشباب، والشباب بطبيعته يسعى للتغيير، والعقلية المحافظة التي تطالب بالانغلاق . ومن هنا أدار عبد الناصر ظهره لنظرية استيعاب الحضارة الغربية إلا من وجهها التكنولوجي . لم يكن الأمر كذلك في عصر محمد على، لم تكن هناك حواجز مرجودة، كان محمد على، إلى جانب محاولاته في بناء الترسانة المصرية ببناء الجيش المصري على أحدث طراز، كان يسمح بظهور مفكرين وخروج مصر الحديثة من العصور الوسطى مستمدًا في رجلين من أهم رجالها هما رفاعة الطهطاوي، بدرجة أساسية، والجبرتي بدرجة فرعية، وأحمد فارس الشدياق . بالطبع رفاعة كان الثورة الكبيرة التي خرج منها التفكير الحديث، ولا سيما عبر الصدمة الحضارية الأولى التي تلقاها عند زيارته لأوروبا . ولم يكن الطهطاوي نفسه خارجًا من فراغ لأن أستاده كان الشيخ حسن المطار، وكان من المؤمنين بالتحديث في الفكر والمؤسسات القومية عن طريق استيعاب الحضارة الحديثة بجميع معانها، والدليل على ذلك أن الشيخ حسن المطار عندما كان شيخاً للأزهر في عهد محمد على، أراد إدخال العلوم الحديثة إلى الأزهر ودخل في معارك مع شيخ الأزهر، وكان يعمل على تطوير مناهج التدريس والتعليم في الأزهر . . وعندما جاء الطهطاوي إلى (باريس) أحسن بجوبه المجتمع الغربي وقد انعكس ذلك بوضوح في كتابه الشهير *تخليص الإبريز* في تلخيص باريس . . .

◆ قلت في بداية حديثك إن نظام عبد الناصر أدار ظهره للثقافة الغربية بينما شهد فترة الستينيات على وجود حركة نشطة تجاه الاهتمام بالثقافة الغربية والترجمة عنها .

● في الحقيقة الذى أنقذ نظام عبد الناصر من العودة إلى القيم التقليدية هو أنه ورث جيلاً من المثقفين، لم يكن هو الذى بناه، ورثه عن فترة أواخر عهد الملكية. هذا الجيل كان يتوجه إلى اليسار، كانت قيادات هذا الجيل : فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله، أحمد بهاء الدين، كامل زهيرى، فتحى غانم، الذين تكونوا فى الأربعينيات وكأنوا متعلمين لتطوير المجتمع المصرى باستيعاب المناهج الأوروبية المادية والفكريّة، وكانوا حلقة الوصل بيننا وبين العالم الخارجى فى عهد عبد الناصر، ودخل عبد الناصر فى تناقض معهم، فى أول عهده، لكنه كان لديه فضيلة أنه دائماً مع الأحداث، ومن أجل أن يحدث التغيير، وأنه لا يمكنه الاستغناء عنهم، بدأ المصالحة الوطنية، ونتج عنها ازدهار حركة الترجمة التى أشرت إليها فى كلامك، والتى جاءت كنتيجة طبيعية لنمو النظام الناصري وتخلصه درجة درجة من الاتجاهات البيئية التى كانت مهيمنة . أذكر أن شخصاً مثل كمال الدين حسين بعقليته التقليدية المحافظة كان الكل فى الكل لمدة عشر سنوات كاملة فى الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٢، أي فترة إعلان الميثاق الوطنى . وبعدها استطاع عبد الناصر أن يتجاوز هذه القيم التقليدية، واستطاع أن يطعم المجتمع المصرى بالأفكار الجديدة على أساس علمى جيد، وذلك فى الوقت الذى ظل فيه أفراده كما هم (محلك سر) ولم يفهموا حركة التاريخ فى المجتمع المصرى. أذال حصل الانشقاق فى المجتمع المصرى، وفى داخل النظام الناصري نفسه إلى الدرجة التى أعتقد فيها أن ذلك أدى إلى الهزيمة، وبعد ١٩٧٦ كانت هناك تيارات متعارضة، وفى كتابي «أقنعة الناصرية السبعة» وصفتها بأنها أشبه بسارة تسير فى اتجاهين متعارضين . هذا التناقض كان موجوداً منذ بداية الثورة، فكيف تقام ثورة وتطالب بتصفية المصالح الأجنبية فى مصر وتبدأ بمصادرة أملاك الأجانب وتؤمنها أو تصرها، وتؤمم قناة السويس ، وما تلاها من تأميم البنوك والشركات الأجنبية، كيف تفعل كل هذا، وتحاول فى الوقت نفسه أن تقمع الغرب بأن يأتي للاستثمار فى مصر؟! هذا يدلل على أن جرثومة هذا التناقض كانت موجودة مع نظام عبد الناصر منذ البداية. وجود هذا التناقض

من البداية كان من عورات النظام الناصرى، ثم اكتشف عبد الناصر أنه لا بد أن يختار فاختار طریقاً قومياً، عندما عرف أن الغرب لن يأتي برؤوس الأموال لحل مشاكله واتجه نحو الشرق مع الاتجاه أيضاً إلى تأمين رؤوس الأموال المصرية .

◆ تشير في حديثك دائماً إلى التيار المخالف الذى يقيم الحواجز بيننا وبين الغرب، لكن المشكلة أنه ليس فقط هذا التيار هو الذى صنع هذه المسافة مع الغرب، وهناك بعض الأسماء والاتجاهات الأخرى تتحدث عن الرغب اللاتى فى مواجهة الهيمنة الغربية .

● عن أى وعن ذاتى تتحدث؟ أين ومتى؟

◆ أنت تعرف أن أغلب طبقة المثقفين المصريين والعرب مناهجهم ومواجعهم غربية تماماً ولا يعرفون شيئاً عن تراثهم وتاريخهم إلا فيما ندر.

● لا يبني أن تفرق في عموميات، أنا تحدثت عن أمثلة محددة .. عبد الناصر كان يتحدث عن الاشتراكية ويقول إنها نابعة من تجاربنا العربية، لكن قل لي منذ متى ونحن لدينا تجارب عربية في الاشتراكية . بعض الناس يذكرون أيام ذر الغبارى ويحاولون قراءة الاشتراكية بغير تقليدي . لكن هل الاشتراكية نوع من الشحادة، أو نوع من الإحسان الفردى؟ وهل يمكن حل المشاكل الاجتماعية عن طريق الإحسان، المسألة ليست مرهونة بسوابا فردية وإنما بمؤسسات مثل التأمينات الاجتماعية، هذا ما تتبه له عبد الناصر وقام ببنائه في النظام المصري وتحول من فكرة البر بالفقراء من الناحية الفردية التي يقوم عليها المجتمع والقيم التقليدية، إلى فكرة العدالة المتناثلة في مؤسسات الدولة . وبعد عدة سنوات من الثورة نفذ عبد الناصر مجانية التعليم، لكن منذ سياسة الانفتاح عبرنا إلى المجتمع الطبقي، وبعدات الطبقات الجديدة الضاربة في عدائها للمدالة الاجتماعية تحاول إلغاء مجانية التعليم، ليس فقط على مستوى التعليم الجامعى، لكن أيضاً على مستوى التعليم الثانوى والعام .

◆ هذه الطبقات الجديدة الفاربة في عدائها للعدالة الاجتماعية، أليسوا أقرب إلى الغرب؟

● هم عملاء للغرب، وارتباطهم به ليس ارتباطاً حضارياً، انظر قصة التلوث الشعاعي الذي حدث في روسيا، ستجد أن ما كتب عنه في الصحافة المصرية أكثر مما كتب عنه في الصحافة الغربية.

◆ بماذا تخرج من هذه الملاحظة؟

● المسألة بساطة أنهم يلعبون دورهم في مقاومة الشيوعية!

◆ لسألاً لا ترى الرجل الآخر للصورة، أي أنهم يفعلون ذلك لأن هويتهم غابت واندثرت ملامحهم الذاتية.

● ماذا تعنى بذلك؟

◆ أعني أن الحديث عن جنوب وشمال وشرق وغرب، في هذه الأيام، قد يكون نتيجة طبيعية لوجود هذه الطبقات والclasses المختلفة في مجتمعها، فحدثت بقطة تفتش عن الملامح الذاتية وعن الهوية الثقافية.

● هل تذكّر عليها؟ أين هي هذه الهوية؟

◆ هي تلك القواسم المشتركة بين الناس في أرض معين.

● أين هي؟!

◆ تجدها في الواقع لأنها محصلة اتفاق الناس في فترة تاريخية واستناداً إلى أصول

...

● السائد هو السرقة .. والاستغلال ..

- لكن هذه الأمور ليست قواسم مشتركة بين الناس . ◆
- رأنا أنكمل عن صورة المجتمع المصري كما تجدها الآن .
- ما هو موجود على السطح ليس بالضرورة هو ما يعبر عن هوية الناس، هناك لحظات عابرة لا تغير عن شيء .
- أنت تتحدث أين؟ وفي أي فترة؟
- ◆ أتحدث عن ما بقي للناس من تاريخ .
- عن أي تاريخ تتحدث؟ وفي أي فترة؟ حديثي عن التاريخ المصري متى كان تاريخي؟
- أليس لنا تاريخ فرعوني، قبطي، إسلامي، ترك بصماته على المصريين؟
- أخبرني متى كان حق التعليم بالمجان حقاً لجميع أفراد الشعب؟
- أنت تأخذ نموذجاً عملياً في قضية محددة، لكنني أتحدث عن ثوابت تاريخية .
- لا، أنا أتحدث عن قضية من أحضر القضايا . العالم العربي قبل الحرب العالمية الثانية إلى فكرة التعليم بالمجان، وأعتقد أن ذلك صلب العملية الديمقراطية، بينما الآن نتراجع إلى الوراء . فالمجتمع التقليدي في مصر لم تدخل فيه فكرة التعليم المجاني حقاً للمواطنين إلا حديثاً ثم نتراجع عن ذلك كما ترى الآن .
- اليست هناك لغة خاصة بهذا المجتمع،
- أرجوك . لا تتحدث معى بتلك اللغة التي يتحدث بها البعثيون .
- لا، ياسيدى، أنا أنكلم اللغة التي ينطق بها العقل السليم، أو ما أراه كذلك .
- لا، هذه هي اللغة التي يستخدمها البعثيون .

فلتدرك البعضين جانباً .. وسأحدثك عن الغرب، الا تقرأ في الصحف والمجلات الغربية أنهم دائماً يتحدثون عن الرسم الغربي، والنحت الغربي، والقيم الغربية، أى أنهم يحددون دائماً هويتهم بمعزل عن الآخرين أو في مواجهتهم، تقبل أن يقال، الرسم الغربي والشعر الغربي والموسيقى الغربية ولا .. .

● نعم .. .

◆ لماذا لا تقبل الأمر نفسه بالنسبة لشكافة العربية من دون توجيه الاتهامات بأن هذا كلام البعضين !؟

● لأنك لا تملك شيئاً إيجابياً تشير إليه .. .

◆ ليست المسألة مسألة ما هو إيجابي وما هو سلبي .. إنها مسألة وجود بكل ما يتضمنه .. أنت، هكذا، لا تقبل أن يعترفوا بذلك لهم وهو يفهم ولا تقبل لنا بذلك لأن لدينا سلييات كما تقول، في حين أن الموقف السليم يفترض أولاً الاعتراف بهذه الذات ومقوماتها الأساسية ثم العمل بعد ذلك على تقويم وإصلاح ما أخرج منها .. .

● تفضل، فلتتعمل إذا كنت ترى أن المجتمع به قيم إيجابية تصلح كأساس للعمل والبناء .. .

◆ هذه القيم، وهذه الأسس، إذا لم تكون ظاهرة واضحة، علينا أن نكتشفها ونبعد تجديدها، لكن المشكلة أن الواقع الذي غير موجود أصلاً حتى نقيم البناء .. .

● أنت تذهب بنا إلى أمور ميتافيزيقية، أنا أحدثك في قضايا محددة وملمومة .. أنا أسائلك : هل الحوار كوسيلة للتقدم الاجتماعي أفضل من الدكتاتورية أم لا ؟

◆ نعم .. هذا مؤكد .. .

● أين تجد ذلك في المجتمعات الشرقية ؟

- ◆ غير موجود، في أغلب هذه المجتمعات .
- اليس من الأصلح لهذه المجتمعات إذاً أن تقتبس من الغرب فلسفة الحوار بدلاً من فلسفة القمع ؟ فإذا سلمنا بهذا، فإن الطريق متشرح أمام الحضارة الغربية .
- ◆ نعم، لكن ليس من يقول بفلسفة الحوار وحقوق الإنسان هو غربي بالضرورة .
- لا، حقوق الإنسان جزء لا يتجزأ من الحضارة الغربية منذ أيام عصر النهضة .
- ◆ هذا الكلام يقوله الغربيون كنوع من التمجيد الذاتي لهم، بينما لو دققنا النظر سنجده أن الصورة ليست بهذا الشكل المثالى، ومنجد أن فلسفة الحوار وحقوق الإنسان على الصعيد العملى مليئة بالثغرات . ومن جهة أخرى لدينا تراث هام في هذا الشأن .
- لماذا تريد أن تنقل هذه التغرات لدينا ؟
- ◆ لم أقل بذلك . وإنما أشرت إلى أن فلسفة الحوار الغربية وحقوق الإنسان ليست ببريئة وأن تقيياتها قد لا تتواءم مع واقعى ومجتمعى، وربما يكون لدى تقييات أخرى أكثر تجارباً مع ثقافة هذا المجتمع . سأضرب لك مثلاً باستطلاعات الرأى أو مناهج الاحصاء، هل تعتقد أن المواطن المصرى والعربي يكتشف عما لديه من آراء وأرقام !؟
- بسبب الإرهاب .
- ◆ لا، هناك أكثر من سبب .. لكنني أريد من خلال هذا المثل الإشارة إلى أن ما قد يكون صالح هنا قد لا يكون صالحًا هناك .
- في كل قضية أعرضها، تذهب لتنفيذها من وجهة نظرك، تقول استطلاع الرأى غير ممكن وتتسنى الأسباب التي تجعل ذلك غير ممكن . أنا أسألك سؤلاً محدداً، ما الأسباب التي تجعل الناس يخفون آرائهم، أو يقولون الشيء الذي يريدون السائل وليس ما يريدون قوله حقاً .

- ◆ الأسباب كثيرة ولا يمكن حصرها في سبب واحد، منها النفس، ومنها الثقافى، ومنها التشكك فى قيمة وجودى مثل هذه الاستطلاعات، والشكك بها .
- لماذا ؟ لأن كل مرة يستدرج فيها المواطن للحوار يكون ذلك وسيلة إلى القبض عليه ..
- ◆ إذا كان هنا هو واقعى، وانا أعمل على تغييره، فإنه من الضرورى أن أعتمد على تقنيات من هذا الواقع .
- ليس بالضرورة، أنا أتكلم عن ميادى هامة . أتكلم عن الحوار، هل هو الوسيلة الاسلام لضمان صيانة المجتمع ؟ هل تأخذ بمبدأ الحوار، أم الصوت المفرد؟
- ◆ نعم، لكن كيف نوسع هذا الحوار في ظل شروط المجتمع القائمة وتاريخه ومقوماته الرئيسية، هذا هو السؤال الصعب !؟
- هم قاموا، في الغرب، بشورات وحروب أهلية إلى ان انتصروا، وكانت لديهم ديكانتيريات فظيعة إلى أن انتصرت فكرة الحوار على أنفاس الانظمة الإقطاعية والارستقراطية والإرهاب والظلم والحكم المطلق .
- ◆ وفقا لمعنى كلامك، الآن، فإن هناك غريبا له سماته وتاريخه، وهناك ثقافات أخرى غير ذلك .
- ثقافات أخرى ! أين هي ؟ وماذا يمكن أن تأخذ منها اليوم إذا كنت تححدث عن الحصيلة المتبقية من هذه الحضارات والثقافات .
- ◆ أريد التأكيد أولاً إذا كنت تتفق بشأن وجود ثقافات مختلفة وحضارات مختلفة .
- هناك مستويات مختلفة للحضارة . فاريق مراحل في الحضارة الإنسانية ينتقل إلى الحضارة التالية لها، ويستروع كل هذه الطبقات من الحضارات السابقة، فالحضارة

الغربية الآن ليست إلا الحصيلة النابعة من التجربة الإنسانية منذ أيام الفراعنة وما قبلها . وكل ما هو إيجابي في الفنون والعلوم هو عبارة عن تركيب من كل ما هو إيجابي في الحضارات السابقة . هذا هو رأيي، لذلك ليس لدى عقدة بالنسبة للموسيقى الغربية، التي هي ملك الغرب كما هي ملك لي، كذلك الفتوحات العلمية . فانا لفترة طويلة، نظراً لظروف التخلف وأسبابها، ليس لي نصيب في الحضارة الحالية . هذه هي المشكلة

- ◆ أنت تصف غرباً متقدماً مادياً وفكرياً، وفي الجهة الأخرى يقع الشرق في تخلفه، ما هي حدود التعايش والاختلاف، في هذه الحالة، بين الثقافة الغربية والثقافة العربية؟
- عندي ليس هناك فرق بين المدنية المادية (الألية) وبين المدنية الفكرية لأنهما جنحان لنفس الشيء، لأنه من العبث أن تقول لي إن من يتعاطى الحشيش يمكن أن يفرد طائرة، لأن الإحساس بالزمن مختلف . ولك أن تخيل من خلال هذا المثال حدود وإمكانات التعايش والاختلاف .
- ◆ إذا كنت ترى أن مجتمعات الشرق مختلفة، وليس لديها الإمكhanات لصنع المدينة المادية كما ذكرت، وأنها لا مفر أمامها من التعامل مع هذه المدينة، لكن لماذا تريد سحب هذا الموقف على الجزء العتيق لنا من التاريخ، ومن قيمنا وأخلاقنا؟
- أنت تتحدث عن أي قيم؟ الآلة نفسها لها روح، ولا يمكن أن تفهم معنى السيارة أو الطائرة إلا إذا كانت عقلية ونفسية يتوفّر بها إحساس: الزمن معاير للإحساس التقليدي الموجود عندنا، عندما يتفق شخص مع آخر، في بلادنا، على تحديد ميعاد يقترح عليه الالقاء «بعد الظهر» في مقتني كذا، وبعد الظهر يتضمن مساحة كبيرة من الزمن . انعدام الإحساس بالزمن هنا هو من العلامات التي تربطنا بالقررون الوسطى، وتمنع عورتنا إلى المجتمع الحديث .

- ◆ كيف تنظر إلى مسألة البحث عن الهوية، الثانية الانتشار في الفترات الأخيرة .
- هذا البحث قائم على حالة من الضياع . نحن نتكلم عن الهوية كائنا أولاد سفاح، هذه حالة من يبحث له عن أصل . هذا الموضوع لا يورقني لأنني أعرف من أنا .
  - ◆ أنت تعلم أن الناس تبحث الآن، في أماكن كثيرة، عن الهوية والذاتية .
  - هذا هو الاستعمار، وهذا هو عصر الاننكاس .
  - ◆ ولماذا لا تقول إنها حالة من البقطة، ومحاوله لترشيد تعاملنا مع هذه الحضارة وحدود ما يبقى لنا أثناء وبعد طرق التعامل مع هذه الحضارة ؟
  - ماذا يبقى لنا ؟ ماذا تريده ؟ عن ماذا تبحث ؟ أنت لا تعرف عن ماذا تبحث ؟!
  - ◆ أنا أبحث عن الملامح الوطنية والذاتية التي غابت من مجتمعاتنا ؟ وأبحث عن أسباب ومبررات هذا الغيب .
  - من الذي يقول هذا الكلام ؟
  - ◆ أنا الذي أتحدث معك .
  - لا، هذا كلام جاك بيرك وبقية المستشرقين .
  - ◆ أنت تعلم جيداً أن جاك بيرك لا يقول هذا الكلام .
  - لا، بيرك هو الذي ابتعد الحديث، في مصر، عن الأصالة والمعاصرة، أبحث لى عن الأصالة اليوم أين تجدها في مجتمعاتنا ؟
  - ◆ أنت نفسك جزء من هذه الأصالة . السنت قبطياً وتحمل في داخلك تراثاً ما ؟
  - لماذا تقول قبطي ؟ هل لم تر في غير ذلك ؟ أنت تكرر كلام اليهوديين والمتحفظين في مصر الذين كلما تكلمت عن الحضارة الغربية، قالوا إنه مسيحي .

◆ عندما وصفتك بأنك قبطي، كان ذلك ردًا على سوالك، ولم يكن وصفي يحمل صفة سلبية، وإلا لما كان هناك مصداقية لهذا الحوار منذ بدايته . عندما قلت ذلك فأنا عنى خصائص ومقومات معينة للأقباط،ليس هناك مرحلة قبطية في تاريخ مصر قبل أن تعقبها مرحلة إسلامية لها خصائصها ومقوماتها، وليس هذا القول من قبيل اللهم وإنما من قبيل وصف ما هو موجود . الا توجد كنيسة شرقية مختلفة عن الكنيسة الغربية ؟

● ماذا تعنى الكنيسة الشرقية ؟!

◆ ييلو لى، من خلال معلوماتي المتواضعة، أن هناك ما يسمى بالكنيسة الشرقية الأرثوذكسية وهى مختلفة إلى حد ما عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية، وهناك تاريخ قديم لهذا الاقتسام .

● أمال أي قبطي ماذا تعرف عن الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ؟ ماذا يعني هذا الكلام ... فكرة الأرثوذكسية القبطية هي مفهوم لاهوتى نشأ في القرن الثالث الميلادى عندما حصلت المجتمع الدينية وحصل خلاف حول علاقه الآب بالابن بالروح القدس، وكانت هذه هي الفتنة الكبرى في العالم المسيحي، ومن هنا نشأت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي تقول بالطبيعة الواحدة للهрист، فالغرب يعتبر أنها كفار لأنها تقول لا يوجد شيء اسمه لاهوت وشيء اسمه ناسون وإنما طبيعة واحدة للهrist .

◆ حسناً أليست هذه ملامح ذاتية وملامح اختلاف مع الغرب .

● ليست ملامح ذاتية وإنما فكر فلسفى ... أنا لم اكتشف هذا إلا وأنا عمرى ٣٥ سنة، فهذا التراث الذى تتحدث عنه ليس تراثي، بل طقوس شبه بطقوس السحراء ... عندما تقابل بروتستانتى وتسأله ماذا يعني لك كالفن ولوثر أو كنيسة إنجلترا يجيبك كذا وكذا، وعندما تسأله قبطياً ماذا تعنى لك كلمة الأرثوذكسي والأرثوذكسي لا يعرف .. إنها مسألة طقوس ...

- ◆ كائنك تصر على رفض الاختلاف والتباين عن الثقافة الغربية على كل الأصنعة بما فيها الصعيد الديني، وكائنك غير مقتنع بانقسام العالم إلى حضارات وثقافات مختلفة؟
- أنا لا أشعر أنتي "خواجة" ، وإذا كان هناك أي إنسان يستطيع أن يقول أنا مصرى فهو أنا، ولا أشعر بهذه "العقيدة" التي تعمل منها قضية البحث عن الذات. ت يريد أن تبحث عن الذات . . . ابحث عنها وسترى .
- ◆ كيف تنظر إلى المجتمعات والثقافات الغربية باتجاهاتها المستقلة والحداثية والعلمانية والتي تبحث بدورها عن ذواتها، وتحاول حماية ثقافتها من الغزو الخارجي، وليس فقط من تصفهم بالتيار المحافظ لدينا والذي يقيم العواجز ويغلق الحدود .
- هم يقرون من بذلك عن طريق الحوار . هل تفعل ذلك أنت ؟ في هذه البلاد الأوروبية التي تتحدث عنها، يحدث دائما في كل فترة تاريخية حوار بين أنصار القديم والحديث، ويتصار أنصار الحديث أو يحدث تأليف بين الاثنين بينما في بلادك لا يحدث ذلك عرف لماذا ؟ لأن فكرة التأليف غير واردة، ولأن التأثير المتأثر بالثقافة الغربية لا تريده ذلك وتريد طمس كل ما يتعلق بتراث هذه الأمة وتاريخها .
- هذا غير صحيح، الانجمادات الرجعية الضاربة هي التي تجهض كل محاولات الانتقال إلى الحديث والتقدم، ما تقوله محض اتهام من جانبك ؟
- ◆ سيدى أنت تذهب بعيدا في تحويلي التيار المحافظ المسؤولية كلها وتبرىء التيار المتطرف إلى درجة غير مسبوقة في أي ثقافة أخرى .
- أنت سعيد بالقديم، فلتبقى معه .
- ◆ ليس هذا ما أردت قوله، أنا غير سعيد بالقديم البالى والمترنمت، وأبحث عن التغيير للأفضل، لكن عندما يأتي فريق ويختلف عن خصائص ومقومات المجتمع الذى يعيش فيه فإنى أشعر بأنه مسؤول إلى حد كبير عن الحالة الراهنة .

- أنا لا أرى ذلك، أنا أرى الغلة للفكر الميئي المحافظ، وأحمله المسؤولية كاملة .
- ◆ أنت لا تخضب بنفس القدر من النخب المستقرية في بلادنا رغم أنها تحمل مسؤولية أكبر فيما وصلنا إليه من أحوال بسبب ابتعادها عن التأليف الوطني الحقيقي ...
- خلاصة الأمر . إنك في مجتمع فرنسي لن يعترف بأنك جزء منه . وهذه عقدة جميع المثقفين المصريين في الخارج، أنور عبد الملك لم يقبل تماماً رغم إقامته الجديدة، وأنت تستفيد من انجازات الحضارة الغربية ولا ترد العودة إلى البلاد بينما الرجل الذي يكلمك الآن عن ظروف التحدث مقيم هناك في أسوأ الظروف وليس لديه الثقة في مغادرة بلده إلى أوروبا أو أمريكا رغم أنه تابعى عروض للبقاء هناك . وأنت من المستفيدن هنا ولديكم نوع من الحنين إلى مجتمع وهى وأنت سعداء بذلك ! ماذا أقول لكم ...
- ◆ قمت بإجراء حوار مع المستشرقين الفرنسيين استمر عامين ، وكان من بين القضايا الجوهرية للحوار أنهم يبحثون عن الدراسات والمعلومات المتعلقة بمجتمعاتنا لكنهم لا يسمحون لنا بدراسة موضوعات غريبة . بعضهم اعترف بذلك وبيان هذا جزء من سياسة تعليم غريبة ، البعض الآخر قال هذه مشكلتكم ؟ بعضهم قال لماذا لا توجد دراسات شرقية عن العرب . هل نحن مسؤولون عن غياب هذه الدراسات ؟
- المسؤولية تقع عليهم هم . هل اهتم غربى بأعمالى عن الغرب ؟ هل حاول أن يدرس رؤية حسين فوزى للغرب ؟ كتابى "مقدمة فى فقة اللغة العربية" لم يتناوله مستشرق واحد بالتعليق قبل أن يتصادر، لم يلقي واحد منهم على الكتاب بكلمة واحدة، لأنه يحتوى على نظرية من أخطر النظريات . هل هناك شيء من أهم من أنك تقول له أن اللغة العربية تتشمن إلى نفس المجموعة الهندوأوروبية التي يتبعون إليها، هذا اكتشاف قارء

بأكملها ولم يحظ باهتمام أحد منهم . وفي كتبى الأخرى عندما درست ابن خلدون وحاولت الربط بينه وبين ذاتي وغيره من المفكرين الغربيين هل اهتم أحد منهم بذلك . كتب عن المعرى وفكرة العالم الآخر ، وحاولت أن أربط بينها وبين بعض مفكري أوروبا هل اهتم أحد منهم بما فعلت ؟

◆ إذا تجاوزنا الإهمال الذى تعرض له كتاباتك وكتابات حسين فوزى عن الغرب هل تعتقد أن لدينا تراثاً بحرياً عن الغرب ؟ هل هنا قصور من جانبنا أم أن ميزان القرى لا يسمح بإنجاز مثل هذه الدراسات .

● هو من البداية يريد أن نظل فى عالمك ، وستقrouch داخله ولا تخرج منه ، ويقول لك فلتبتعد عنى ولتظل فى عالمك ، وفي كل مرة تحدث شرارة الاتصال بين مجتمعنا البشرية ومجموعته يقفز عليها بالفشل . هو يريد أن أبقى خادماً له ، كي أعطيه ما يريد ، هو يريد إقامة حاجز أو عازل لا يمكن عبوره بينك وبينه . في أمريكا يقسمون الناس إلى مجموعات إثنية ، يطلبون من الجاليات الموجودة التمسك بشقاوتها القومية : عرب أمريكا ، أرمن أمريكا ، زنج أمريكا ، والغرض من ذلك في النهاية هو أن نظل أمريكا للأوروبيين الأنجلو ساكسون . . . فعندما يشجعون كل جماعة على التمسك بشقاوتها القومية الموجودة يتسمى ذلك في نهاية الأمر إلى الابتعاد عن مجال التأثير في الثقافة الأمريكية ، لأن هذا الأمر هو من اختصاص الأصلاء ! وفي فرنسا يقيسون من وقت لآخر مؤشرات لل المسلمين الفرنسيين . ما معنى هذا ؟ هل أنت فرنسي أم غير فرنسي ، لماذا يصررون على التمييز بين المسلم الفرنسي والمسيحي الفرنسي ، هل يريدون أن تستمر في إطار الحديث في افق معين وتصبح مواطناً من الدرجة الثانية . . حتى لو منحك الجنسية وحقوق المدينة العادلة ، لكنه يشعر دانياً أنك غير فرنسي ، وفكرة الشرق شرق والغرب غرب ، جزء لا يتجزأ من تذكيرهم . أنا أعرف جيداً الغرب ولست لدى أرهام عن المجتمعات الأوروبية .



محمد عزيز الحبابي  
لدينا الاستغراب الملائم لنا



من الشخصية الواقعية إلى الشخصية الإسلامية إلى «الغدية» (علم المستقبل) قطع محمد عزيز الحبابي مسيرة من التأمل الفلسفى تعبر من العلامات البارزة في الفكر العربى المعاصر . و محمد عزيز الحبابي معروف أيضاً بكتاباته الأدبية التي صدرت باللغتين الفرنسية والمعربية .

ومحمد عزيز الحبابي مفكر جسور ، لا ينساق بسهولة وراء الموضوعات الثقافية والفكيرية التي تشيع في فترة ما تم سرعاً ما تخبوا ، فهو في كتابه الرائد و «حرية أم تحرر» - الصادر بالفرنسية عام ١٩٥٦ - يتجاوز النظرة التي تجعل من الحرية مجرد حرية ذاتية محضة خالية من أي محتوى مجتمعي وتاريخي ، ويدعو عوضاً عن ذلك إلى فكرة التحرر التي تحتوى على كل الحرفيات وتجاورها وتغيرها من حيث الكم والكيف في وقت واحد .

وعندما صارت الشخصية - كذهب فلسي - حديث الدنيا ، وبدأ المفكرون يتبنونها من هنا وهناك ، كان لمحمد عزيز الحبابي موقف متيمز في كتابه «من الكائن إلى الشخص - دراسة في الشخصية الواقعية » ، وكتابه «الشخصية الإسلامية» لم يكن مقلداً كفيراً لأراء بعض المفكرين الفرنسيين وإنما صاحب وجه نظر مبدعة وأصيلة .

ومحمد عزيز الحبابي من المفكرين العرب الذين شنوا حملات شعواء على الأفكار المسبقة بوصفها عدوة الشعوب والثقافات الوطنية وعدوة الحضارة الإنسانية وحاربها في الشرق كما في الغرب . وكان كتابه «من المغلق إلى المفتوح - عشرون حديثاً عن الثقافات القومية والحضارة الإنسانية» - الصادر بالفرنسية عام ١٩٦١ - هو أقرب كتبه لموضوع كتابنا «من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب» حيث يرى الحبابي أننا نتكلم عن الثقافات القديمة والثقافات الشرقية أو الغربية استجابة لمقتضيات تعبيرية بينما الواقع الذي نحييه هو أن الانحرافات والاكشافات، مهما اختلفت، والابحاث والتجارب بكل أنواعها ، لم تسع تحمل الطابع الإقليمي ، بل ترمي كلها إلى إثبات الذخيرة العالمية ، عن طريق إثمار الحصيلة الثقافية الوطنية ، وكل قارة تسهم بقليل أو

بكثير في هذا التيار المولد لحضارة القرن العشرين .

وكنا نود أن نبدأ حديثنا مع الحبابي من هذه النقطة لولا أنه من المرشحين العرب لجائزة نوبل - مع أديبنا نجيب محفوظ - لذلك بدأنا الحديث المسجل معه بداية تتعلق بهذه المناسبة وإن لم تبعد كثيراً عن فحبتنا الرئيسية .

◆ لماذا لم يحصل أديب عربي على جائزة نوبل حتى الآن ؟ هذا السؤال طرح مراراً، وهناك قناعات لدى الكثيرين بأن منع هذه الجائزة يخضع لضغوطات واعتبارات سياسية، لكن مع الإقرار بذلك مسبقاً هل تعتقد أنت أفسفنا شيئاً نستحق به الجائزة ؟ وهل أعطينا اليوم إلى ثقافات العالم وأدابه ما يستحق به هذا التقدير العالمي ؟

● أنا لا أعرف كل الذين يتوجون في العالم العربي في مجالات الفكر والأدب والفلسفة ، لكنني أذكر أن اسم طه حسين قد رُشح في الماضي لنيل هذه الجائزة ، لكنه على ما يظهر إن «عبد الأدب العربي» ، وما أتى به قد أسمهم في تطور النقد العربي ، لكن بالنسبة للتفكير الإنساني في شموليته ، فإن طه حسين في نظر البعض لم يقدم الكثير ، وأنا إذا سالت نفسى من يستحق هذه الجائزة لقلت كامل حسين في روايته «قرية ظالمة» . في الحقيقة أعطى كامل حسين بعده إنسانياً حقيقياً كان يستحق أن يحصل به على هذه الجائزة لأن روايته كانت تلائم الاتجاه العام الذى من أجله أمست الجائزة . إنها رواية جيدة تمتلىء بمضامين عالمية شاملة عن العدل والمحبة . . . وفي اعتقادى أنها أحسن ما كتب باللغة العربية في هذا القرن .

◆ ماذا عن ترشيحك أنت إلى هذه الجائزة ؟

● في الواقع تقدم بترشحى إلى الجائزة أجنب . وقد تم قبول هذا الترشيح ، وهذه هي المرة الأولى باستثناء السادات التى يفتح فيها الباب أمام العرب ، وهذا هو المهم ، ليس المهم من سيأخذ هذه الجائزة مغربي أو جزائري أم تونسى أم مصرى . . . هذا لا يهم . . . المهم أنها خطوة أولى يتيح أن تتبها خطوات أخرى .

◆ عندما تمنح هذه الجائزة إلى أديب في الشرق أو الغرب فإن أول تساول يخطر بالبال هو تساول عن الأساطير أو الميراثات التي بمقتضاهما حصل هذا الأديب على الجائزة . فما هي الإضافة التي قدمها المرشح العربي لتلقي هذا التقدير خاصة أنك مرشح لها

١٩

● إذا تحدثت عن نفسي فأنا أشير فقط إلى أن : الشخصية الواقعية التي دعوت إليها يوماً قد كتبت عنها اطروحات كثيرة وتحدث حولها ضجيجات فكرية والآن تشكل دعوتي إلى «الغدية» - من الغد - تياراً جديداً على المستوى الإنساني أيضاً ، هذا من الناحية الفكرية أما من الناحية الأدبية ، وبصفة خاصة أشعاري التي نشرتها بالفرنسية كان لها صدىً كبير ، ولا أدرى من أجل الشعر الذي كتبته أم القصة أم الرواية أم الفلسفة تم ترشيحـي . المهم أن مجموع هذه الأعمال نال إعجاب بعض الناس هنا أو هناك . لكن ما هي الإضافة التي قدمتها أعمالـي ، وما هي قيمتها ومستواها الإبداعـي ، أنا لا أستطيع أن أحكم على ذلك ، إنه خارج نطاقـي فأنا لا يمكنـ أن أكون حـكمـا ولا عـابـا في الوقت نفسه ، فعندما تبدأ المباراة فإن الحكم حـكمـ واللاعب لاعـبـ . . . أليس كذلك ؟!

◆ بما أنك ضررت مثلاً من عالم «الكرة» فأنا أريد أن أسألك سؤالـاً بدورـي لكن بمصطلحـاتـ هذاـ العالمـ «الرياضيـيـ» أيضـاً : أـيـ رـىـ تـرـتـدـيـ ؟ وهـلـ سـتـمنـحـ لـكـ الجـائزـةـ بـوـصـفـكـ مـفـكـراـ عـرـيبـاـ ، إـسـلـامـيـاـ ؟ـ أمـ كـلـ ذـكـرـ مـعـاـ وـيـنـفـسـ الـقـدـرـ ؟ـ باـخـصـارـ أـيـنـ تـضـعـ نـفـسـكـ فـيـ السـاحـةـ الثـقـافـيـةـ الـمـوـجـوـدـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـيـوـمـ ؟ـ

● هذا سـؤـالـ لاـ أـطـرـحـ عـلـىـ نـفـسـيـ وـلـمـ أـفـكـرـ فـيـ يـوـمـ آـنـفـسـلـ بـأـوضـاعـ مـعـيـهـ وـأـنـفـاعـلـ مـعـهـاـ وـأـفـكـرـ فـيـهـاـ .ـ أـحـيـاـنـاـ تـكـوـنـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـمـغـرـبـ وـأـحـيـاـنـاـ تـكـوـنـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ وـأـحـيـاـنـاـ تـكـوـنـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـعـالـمـ .ـ وـأـيـنـاـ تـرـيدـ أـنـ تـضـعـنـيـ سـتـجـذـنـيـ .ـ

◆ أنتـ إـذـاـ موجودـ فـيـ كـلـ مـكـانـ ١٩

● لمـ أـقـصـدـ هـذـاـ .ـ مـاـ اـعـنـيـهـ هـوـ :ـ إـذـاـ كانـ الـمـعـيـارـ هـوـ الـرـاقـعـ الـمـغـرـبـيـ فـسـتـجـدـ عـنـدـيـ

جوانب تؤكد أنني مغربي صميم .

◆ لكن في مجال الثقافة يمكن الحديث عن شخصية غالبة وليس جوانب متبااعدة في ما بينها ؟ أليس هناك من هو فرنسي الثقافة والجنسية !؟

● أنا مزدوج اللغة والثقافة فأنا أكتب بالفرنسية كما أكتب بالعربية وكل ما كتبه بالفرنسية انتقل إلى اللغة العربية وهكذا ...

◆ في آية لغة تجد نفسك أكثر ، العربية أم الفرنسية !؟

● هنا يعود إلى الانطلاق الأولى . فعندما اسمع لفظة عربية فقد توحى إلى بان أكتب باللغة العربية وأحياناً اسمع كلمة فرنسية فتتوحى لي بان أكتب باللغة الفرنسية . ليس لدى قواعد ثابتة مسبقة في الكتابة بهذه اللغة أو تلك . فالإبداع يكون وليد ظروف خاصة .

◆ بوصفك مرشحاً لجائزة نوبل ، وبوصفك مزدوج اللغة والثقافة أيضاً ، هناك تساؤل يتردد كثيراً في الغرب عن الإسهامات والإضافات التي قدمناها إلى ثقافة العالم اليوم ، ومفاد هذا التساؤل هو أن الشرقيين والعرب يتقدون رؤية الغرب لهم - الاستشراق - ومن دون أن يكون لديهم دراسات شرقية عن هذا الغرب . كيف تعلق على هذا التساؤل !؟

● أنا أتفق مع هذا التساؤل في جانب واحتللت معه في جانب آخر وأقول : إذا كانت دراسات المستشرقين لا ترضيكم أنها العرب والمسلمون فلماذا لا تقوسون أنتم بتحليل أوضاعكم ودراسة آثاركم وتراثكم ؟ وإذا كانت تلك الدراسات الغربية لا تتضمن رؤية موضوعية فلماذا لم تبدعوا أنتم الموسوعة الإسلامية والعربية لبلادكم . نعم نحن ننتقد الآخرين ونسى أن نقوم بالنقد الذاتي لنرى عيوبنا ونعمل على إصلاحها ، ولكن نسجل ما يستحق أن يسجل ونعارض ما يستحق أن يعارض من تاريخنا ، فمن لا يكون موضوعياً عندما يحلل أوضاعه لا يمكن أن يكون محل مصداقية عند الآخرين عندما

يتكلّم عن الاشياء الإيجابية لديه ، ومن جهة أخرى فإن المستشرين ليسوا مدرسة واحدة ، هناك مدرسة أمست لتهبي طرقاً للاستعمار وهناك مدارس أمست من أجل البحث عن المعرفة والحقيقة ، لذلك حينما نحاكم الاستشراق علينا أن نفرق بين مستشرق ومستشرق ، أما أن نطلق أحکاماً عامة على الاستشراق فهذا ليس إنصافاً وليس وسيلة إلى بلوغ الحقيقة . أما ما اختلف فيه مع هذا التساؤل هو أننا لدينا استغراب ، وهناك محاولات لدراسة الغرب ، لكننا لا ندرسها برمنه بل نختار منه ما يلائمنا وما لا يمكن أن يكون استلاباً لنا ، بالطبع ليس كل الذين درسوا في الغرب واطلعوا على مجردات علوم الغرب يقومون بهذا الاستغراب لكن اعتقاد أنتي شخصياً أصدرت كتاباً بالفرنسية بعنوان : «العالم الغد» ... العالم الثالث يفهم . في هذا الكتاب أظهرت الجوانب السلبية التي وجدناها في الغرب والتي عرقلت مسيرتنا التاريخية ، كذلك أصدرت في كانون الأول (ديسمبر) الماضي بالفرنسية كتاباً بعنوان : «أزمة القيم» ، وكان يبغى أن يصدر هذا الكتاب باللغة العربية عن دار «المعارف» منذ سنوات ، لكن النص الفرنسي صدر ، ولا أعلم متى سيصدر النص العربي . وفي هذا الكتاب دراسة وتقدّل للايسن التي قامت عليها حضارة التصنيع المعاصرة والتي باسها جاء الاستعمار إلى بلادنا ليحدثنا ويدفع بنا إلى طريق المدينة !! ولكن القيم التي بني عليها الغرب حضارته أصبح هذا الغرب يتذكر لها اليوم ، وبالتالي فقد الحق في دعوه بأنه يحضر الإنسانية وأنه يقدم الحضارة مملوءة بالخير والسعادة . كيف يحق للغرب اليوم أن يقول ذلك وهو ليس سعيداً ولا متّماً بخبرات حضارته . إنه يتخطى في السليميات ، في الأزمات ، وكل أزمة تجر أخرى ، وهكذا لم يعد الغرب يتقى بحضارته . إنه الآن في مفترق طرق ويبحث عن البديل ، هل سيجد؟ لا أدرى ، وهو نفسه لا يدرى هو يتساءل الآن : كيف الخروج من المأزق؟ ... عندي كتاب آخر سيصدر قريباً بعنوان : «أزمة النماذج» وهو أيضاً دراسة للنموذج الغربي وأطرح سؤالاً : هل ما زال الغرب صالحًا لأن يقتدى به كنموذج أم لا؟ فالغرب يعيش في أزمة أخلاقية ونفسية واقتصادية ولا يجد حلّاً لمشكلاته . إذاً كيف يكون الغرب؟ ما هي القيم التي يبغى أن تبني عليها حضارة ما بعد التصنيع أما كتابي

الذى سبلى ذلك فأعطيته عنوان : «من أجل مقولية جديدة» والمقولية كلمة مصطنعه ..  
لا توجد في القاموس الفرنسي .

◆ ولا العربي أيضا !!

● وأريد في هذا الكتاب أن يعاد النظر في مقولات العقل البشري . وفي هذا الكتاب  
تناولت أكبر المفكرين الغربيين أمثال ديكارت ، كانت ، لايتزير . استنوا . وأظهرت أن  
مقولات هؤلاء الفلسفة مليئة بالتناقضات والعيوب التي يهتمون بها عقلية العالم الثالث .  
فالغرب يفهم عقلية العالم الثالث بأنها تناقض تناقضاً لاعتمادها على معتقدات لا  
عقلانية ، وأن الغرب هو صاحب العقل والعقلانية ، فاظهرت أن اللاعقلانية عنصر  
يسارزمه وجود العقلانية وأعطيت أمثلة عديدة على ذلك من قلب الفكر الغربي وأثبتت  
طريقة أخرى كيف نتصور نحن العقل ، وأنا لا يمكن أن نعتقد كحطنة لأنه لا يوجد  
عقل مطلق ، فالعقل محدود ويجب أن نتعرف بمحدوديته . وكتبي الأخرى هي بصورة  
أو بأخرى دراسات حول هذا الغرب . . .

◆ لا تعتقد أن هناك عودة إلى الحديث عن الغرب والثقافة الغربية في مقابل الشرق  
وثقافة الشرق أو الثقافة العربية . . .

● أنا لا أظن أن هناك عودة إلى هذه القضية ، بل أقول أنه لا وجود لها أصلاً. هناك  
غرب غير متحالف مع نفسه ويتناقض مع نفسه وكل بلد من بلدانه يتتجسس ضد الآخر .  
وهناك مزاجمة على الأسواق الاقتصادية ، وهناك حروب اقتصادية ، وهناك حروب  
اقتصادية صامتة بين بلدانه ، والمثال الدولار الذي يقصد وبهبط أبلغ دليل على ذلك .  
أضف إلى ذلك أن اليابان بلد متقدم صناعياً ، ومع ذلك ليس غرباً ، كذلك كوريا  
الجنوبية وتايوان . إذا القضية لا يمكن حصرها بشرق في مواجهة غرب ، لكنها قضية  
صراع بين أمم على السيطرة واستغلال مناطق جديدة .

◆ إذا كان هذا هو الأمر بين الدول الغربية ذاتها فما الذي يمنع في هذه الاجراء ان

يتمد الصراع إلى بلدان الشرق الضعيفة ، ولماذا تفضل كلمة العالم الثالث على الشرق أو العالم العربي ؟

- أنا أفضل كلمة العالم الثالث لأنها تتضمن أبعاداً أكثر اتساعاً وتشمل دولاً مختلفة تجمع بينها أشياء كثيرة ، من بينها أنها كانت أرضًا مستعمرة فيما مضى .
- ◆ لا تعتقد أن استخدام كلمة الشرق قد يتضمن الأبعاد الثقافية لهذا الصراع والتي قد لا تبدو واضحة عندما نستخدم تعريف العالم الثالث ؟
- لا أفضل كلمة الشرق لأنها كلمة غامضة ولأن اليابان شرق كما قلت وكوريا الجنوبية شرق لكن ، العالم الثالث ينطوي على آمال وألام مترفة ، فالتناقض هو بينما كان عالم ثالث وبين الغرب المهيمن والذي يريد موادنا الأولية وخيراتنا ليأخذها ثم يبيعها لنا بشمن أعلى لا نقدر عليه في ما بعد .
- ◆ ما زلت ألح في السؤال على موقع الثقافة في هذه العملية ، إذ لم يعد يفيده كثيراً أن يقوم المثقفون بمشروعات الاستغلال والهيمنة طالما أن أبعاد هذه الثقافة التي تقوم غير محددة المعامل . فلية ثقافة عربية تتصدى ؟ وما هي حدود انتراقتها أو تعايشها مع الثقافة الغربية ؟
- في هذا الشأن أصدرت كتابا بالفرنسية بعنوان : «من المتعلق إلى المنتفع أحadiث عن الثقافات الوطنية والحضارة الإنسانية». وقد استخدمت ثقافات بالجمع والحضارة بالفرد ... فكل شعب له ثقافاته ، وهناك ثقافات وطنية عديدة ، لكن هناك حضارة واحدة هي التي تصب فيها كل الثقافات الوطنية ، وإن أقول ليس من حق الغرب أن يدعى أنه الحضارة . فالشعوب التي تعطى اليوم بكثرة لهذه الحضارة ، لم تكن في ما مضى هي التي كانت في مقدمة العطاءات الإنسانية وقت أن كان هناك السومريون والفرعون والقرس . أمريكا لم تكن موجودة في العالم عندما كان العرب يعطون الحضارة إلى العالم ... فالشعوب التي تعطى اليوم أكثر ، إنما تعطى في نطاق تراكم من

العطاءات السابقة عليها ، وبالتالي الحضارة هي مجموع هذه العطاءات وليس ملكاً للغرب وحده .

◆ الطريقة التي أدرك بها ثقافتنا الغرب منذ عصر النهضة حتى اليوم ، هل كانت صافية ودقيقة دائماً أم أن الأوان كى نبدأ مرحلة جديدة في إدراك الغرب وثقافته المت荡عة ؟

● قبل أن أجيب عن هذا التساؤل أريد أن أعرف عن أي نهضة تتحدث ؟ ومتى نهضنا نحن ؟ وما هي مظاهر هذه النهضة ؟ كنا مستخلفين ومارلنا ، وما زالت الآمية هي السائدة بيننا ، كانت لدينا صحفة منذ فترة طويلة لكن هل هذا الحديث عن وجود صحافة كاف للحديث عن النهضة . فإذا لم تشمل النهضة كل الشعوب فإنها ليست نهضة . فمن نهض في هذه الحالة ؟ حفنة من البشر يقضون يومهم في الكلام ولوجيا -أى الحديث الرائع المنعم - ثم ماذا بعد ذلك ؟ ماذا يبتنا؟ متى سعدنا ديوينا ؟ الآمية كيف حاربناها ؟ بعض دولتنا قطعت بعض الخطوات لكنها لم تتغلب على كل العقبات ولم تدخل عتبة التصنيع . شيدنا بعض المصانع لكننا لا نزال نستعين بالخبرة وبرؤوس أموال أجنبية .. النهضة تبدأ حينما تقضي على مدن الصفيح ، وحين نمحو الآمية ، وعندما يكون كل أطفالنا في المدارس . وعندما تكون هناك مستشفيات في القرى كما في المدن وحيثما تتمكن من توظيف ثرواتنا لصالحتنا ... هذه هي النهضة أما أن تقول جاء إلينا نابليون حاملاً معه المطبعة والعلماء فبدأت في أعقاب ذلك النهضة ، فناناً لست متأكداً من ذلك .

◆ أنت ترى أن النهضة لم تتحقق بعد وتندم إلى تحقيقها وأنا أسألت في هذا النطاق أيضاً عن الكيفية التي أدركنا بها الغرب منذ قرنين من الزمان . اليوم ماذا تقول عن هذه المسيرة من إدراك الغرب ؟

● البعض منا - وهم الأقلية - أدرك الغرب أحسن إدراك لكن الجماهير لا تعرف عن

◆ وكثير من المثقفين أيضاً !

● نعم هناك الكثير من المثقفين يقلدون الغرب تقليداً أعمى وأصبحوا يؤكدون ما قاله ابن خلدون من أن المغلوب يقلد الغالب في عاداته وأعرافه ، ولدينا فعلاً من يقلد الغرب ويأخذ عنه حسنه وسيئه . بينما كان علينا أن تأخذ ما يمكن استئثاره لبناء الحاضر والمستقبل وأظن أننا على عتبة الدخول إلى مرحلة الإدراك السليم حقاً وليس مجرد الكلام الإنثاشي العابر . . .

◆ بوصفت أحد المثقفين البارزين في حقل الفلسفة في العالم العربي - ثمة قضية اثنانها واستجوبنا حولها بعض المفكرين العرب تدور حول تمازو بسيط ومزاعج في الوقت نفسه وهو : لماذا لا يوجد فلاسفة عرب اليوم ؟

● في الواقع عندنا أسماء كبار في تدريس الفلسفة ، وعندنا محققون للتراث الفلسفي العربي الإسلامي وعندنا باحثون في تاريخ الفلسفة الغربية ، أما فلاسفة عرب لهم فلسفة ونسق وطرق جديدة من البحث ، فأظن أن الجيل الحالي يبحث عن ذلك وسيصل لا محالة ، على الأقل من بين الذين تعرفت إليهم في الجامعة المغربية وفي مصر . هناك مؤشرات تبشر بمستقبل واعد لكن حالياً على ما أعلم - والمرء يعلم أشياء وتغيب أشياء أخرى - لا يوجد فلاسفة عرب معاصرون .

◆ في لقاءات سابقة مع بعض المفكرين العرب كانت إجابات بعضهم تسم برواية دفاعية وتقول لدينا فلاسفة وتذكر بينهم اسمك وفؤاد زكريا وعبد الرحمن بدوى . . . كيف تعلق على هذا ؟!

● في هذا المعنى يمكن أن أشير إلى أسماء كثيرة ، من حيث المتنطق هناك زكي نجيب محمود ومن حيث التفكير الفلسفى هناك فؤاد زكريا وحسن حنفى وآخرون ،

وهناك الجابرى الذى يعمل فى مجال الفكر الإسلامى من خلال منهج علمي مقتدى يسعى إلى تجديد كيفية التعامل مع التراث العربى . وهناك طه عبد الرحمن الذى يقتبس من المتنطق العربى القديم ويعمل من أجل منطق جديد وكذلك على أومليل . . .

◆ هل تعتبر هؤلاء فلاسفة أم مفكرين أم ماذا ؟

● أنهم يفكرون ويبحثون ، ولا محالة أن بعضهم سيصل إلى تحديد فلسفية جديدة ، متى وكيف ستكون ؟ هذا شيء آخر .

◆ ربما لو تسامنا عن الآسياب المعيبة التي حالت دون وجود فلاسفة عرب معاصرین أتول ربما كان ذلك بداية حقيقة لظهور ما يميزنا عن غيرنا .

● نحن الآن في مرحلة الأخذ وبعدنا ستائى مرحلة العطاء . هذا أمر طبيعي في تطور الفكر وتتطور الثقافات .

◆ لا تعتقد أن مرحلة الأخذ والتقليل والشريح وهي مرحلة مهمة وضرورية قد طال أمدها وأن هذا قد أثر بدوره سلبيا على هؤلاء المفكرين وحال دون تمكنتهم من تقديم رؤية ومنهج يعبران مباشرة عن الواقع المحيط بهم ولدى يتسمون إليه ؟

● علينا أن نتذكر أن الانطلاقات الأولى كانت لابناء الأعيان وهم الذين كانوا يذهبون إلى المدارس «المزدوجة» والبعثات إلى الخارج التي بدأت في مصر والبلاد العربية . وبالتالي لم تكن هذه الاستقرارية ممتدة بالشعب ولم تكن تعرف همومه وهذا ما جعل أولئك المثقفين بعيدين عن هموم شعوبهم وقضاياهم ، وعندما اشتغل بشئهم بالسياسة آنذاك أخذ الكفاح السياسي من وقتهم الكثير على حساب التفكير السياسي .

◆ لكن حتى في تلك اللحظة النادرة التي يعتمدون فيها عن الشاطئ السياسي والترجم إلى الناحية الفكرية الممحضة فإنهم يمارسون غرية مزدوجة ، إذ أن أغلب جهودهم الفكرية نابعة من روى ومناهج بحث غربية كالتحليل النفسي ، المادية التاريخية الالتبسة

والبيوية .. الست هذه علامات توكل أتنا لا يمكن أن تكون لنا فلسفة طالما لم نطور مناهج للتحليل والرواية نابعة من أعماق الثقافة العربية ومشاكلها ..

● لا أظن أن المنهج يسبق الفلسفة ، وإنما التفكير يخلق منهجه ، يجب أن لا نضع العربية قبل الحصان .. هناك أشياء تسبق أشياء أخرى وتستلزمها ، ونحن عندما يكون لنا فكر خاص بنا من المؤكد أنه سيخلق معه المناهج المعاصرة عنه ..

◆ كتابك نحو «مقولات جديدة» هل تشا في إطار البحث عن مناهج ذاتية للمعرفة أم في نطاق يتجاوز هذا الأفق؟!

● أظن أن الوحدات الإقليمية غير كافية للشمولية ، أنا أفكر "ثالثياً" أي انطلاقاً من العالم الثالث الذي يتم بالتألف ، وبالفعل هو مختلف ، لكنهم في الغرب يفسرون ذلك خطأ ويقولون أنه مختلف لأن تفكيره لا يقوم على مقولات مقبولة عقلانياً ، وأنه يدخل في حسابه الوجديات أكثر من التفكير المنطقى ويقسمون العالم إلى قسمين : العالم الغربي الذي يعتمد المنطق ، والعالم الآخر الذي يعتمد تفكيراً سابقاً على المنطق أي العقلانية ، لذلك أردت في هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطاً إن أظهرت أولاً أن العقلانية المحضة لا توجد وأن كل تفكير يقوم على عقلانية ممزوجة بللاعقلانية . وأن هذا ليس خاصاً بالعالم الثالث ، بل بكل تفكير في كل مكان وزمان ، وأخذت فلسفة كبار الفلسفه الغربيين وأظهرت أن لديهم بعض التناقضات وبعض الانحرافات عن العقلانية كما يتصورونها ، فالإنسان ليس عقلانياً محضاً ، وإنما يفكر بعدهس أو ذوق كما يقول المتصوفة .

◆ لكن لا تعتقد أن نسبة المعرفة "الحدسية" أو "النوعية" لدينا أكثر مما هو عليه الأمر في الغرب؟!

● المسألة نسبية بطبيعة الحال ، ولا توجد لدينا وسيلة كي نقارن بها لنقول النسبة هنا

٥ بالمرة وهناك ٢ بالمرة . على سبيل المثال ، فقط أقول هذا موجود وذاك موجود، بل أقول أحياناً تغلب على الفرد ذاته في الوقت نفسه الحدسيات أكثر من العقليات ، وأحياناً العكس وفقاً للأوضاع وتأثير الوسط والشروط الملازمة للتفكير والطاقة الإرادية ، ما أريد أن أصل إليه هو أن في الغرب كما في غير الغرب توجد المقلانية ويوجد فكر بداعي أيضاً .

◆ أنا لا أريد أن أخذ موقف المدافع عن الغرب لكن إنصافاً للحقيقة هناك مؤشرات يمكن من خلالها إدراك أن الأطر المقلانية في الغرب أكثر مما هي عليه في بلادنا ، وذلك يعود بالطبع لأسباب تاريخية عديدة بل إنهم وصلوا في الغرب إلى مرحلة من المقلانية بدأت تزعجهم إذ كل الأشياء مرتبة ، منظمة ، مبرمجة... هكذا ...

● لا ... أنماط الحياة في الغرب شيء آخر ، وهذه الأنماط جاءت مع تكيف الغرب مع مرحلة التصنيع ، كما أنهم عندما يذكرون ديكارت يذكرون أيضاً باسكال وعندما يذكرون فولتير يذكرون معه روسو ولا يوجد لديهم صنف واحد من التفكير .

◆ عندما قررت أن تبني «الشخصانية» ما الذي ميزها عن تلك الشخصية السادسة في فرنسا البلد المستعمر لبلادك في هذا الوقت !؟

● أولاً: كانت الشخصية عندي واقعية ، كانوا يفكرون من الناحية الفلسفية في الزمان كخلود ، وكنت أذكر في زمان نسي ، كما نعيش في إهانة فرضها علينا المستعمر الذي لا أعرف له بالخلود ، وكانت أريد أن تعيد الأشياء إلى مستواها الإنساني ، كنت أريد أن افرض شخصياتي في مواجهة هذا المستعمر كبشر مسالمون وكانت أود أن أثير فيه عقدة المجرم في حقه وأنه حينما يخاطبني وهو يبتخر بمركب الكمال كنت أريد أن أقول له أنت مخطئ ومحروم وأن لدى وعيًا يماثل وعيك وأنت مساوٍ لـك .

◆ وهلفهم من محاورتك في هذا الإطار الذي شرحته توا على أنها كانت محاولة لإثبات اللات في مواجهته أم لمحاكاته !؟

● أية محاكاة أنا اتهمنه فكيف أحاكبه ، هو لم يستعمل هذه اللغة . كان يظن أننا نعيش من دون وعي وأتنا خلقنا كى نخدمه ، في حين أنا أقول له عكس ذلك وأتنى لا أرضى بما فعله في الوقت الذى كان يظن أتنا راضون عما يفعله .

◆ بما أن محور حديثنا هو العلاقة مع الغرب وثقافاته ، وهو محور الأحاديث التي أجريناها مع مفكرين آخرين ، أريد أن أعرف كيف تتناول "الغدية" العلاقة مع الغرب في هذا الغد الذي تبشر به ؟ وما هو الجديد في ذلك ؟

● الفلسفة التي مررت بها بدأت حين كانت بلادي مستعمرة و كنت أشعر بخلاف تاريخي مهين وبمضايقه في ذاتي ، حينما استقلت بلادي لم تعد قصبيتي هي إثبات شخصيتي أو ذاتي أو ثقافي بل إثبات وجودي كمساشرك في الحضارة ، فحينما تأملت حضارة التصنيع وجدت أنني مهمش فيها ، وهذا هو شعور العالم الثالث . ومن ثم شاع في الآن داخل بلدان العالم الثالث بضرورة إعادة النظر في مواقفنا من الغرب ومن أوضاعنا التاريخية وأنه ينبغي أن نفك عربة العالم الثالث عن قطار الغرب لتبني نماذج لأنفسنا ونكون قوة يمكن أن تدخل في حوار مستمر مع الغرب . وهذا هو السؤال الذي ينبغي أن نفك فيه في الغد لأن المسالة التي تفصلنا عن هذا الغرب أصبحت شاسعة ، فإذا بقينا في مكاننا نطلق صيحات الاحتياج والمعوبل سزاد المسافة بيننا وبين الآف السنين وتسع الهوة بين إنسانيتين: إنسانية التخلف وإنسانية ما بعد التصنيع . لهذا يجب أن نفك في الغد وأن نتعى واقعنا من دون أن نكتذب على أنفسنا ونقول أنسنا بلاد نامية . نحن لا ننمو ، بل التخلف هو الذي ينمو ... ينبغي أن نعيد النظر أيضاً في سلوكنا وثقافتنا ..

◆ سؤال آخر : ما الذي قلته في هذا الحوار وترى في النهاية أن تضيف إليه أو تتقص منه او تقول ما لم تقله بعد ؟!

● أظن أنني قلت كل ما أؤمن به دائما إلى درجة أنني أسيء إلى نفسي أحيانا لأنـ لا أجامل . وأعتقد أن ما سجلته ولم يكن مكتوبا صدر عن صدق .



**مصطفى صفوان**  
**الاستقرار يؤدي إلى التحرر الوطني**



مصطفى صفوان يعتبر من أبرز المشتغلين في مجال التحليل النفسي ، ويقيم في فرنسا منذ أكثر من نصف قرن . درس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة الاستاذية في فترة الحرب العالمية الثانية ، وتخرج منها عام ١٩٤٣ وفيها تلّمذ على أيدي ثلاثة من كبار الاساتذة آنذاك : يوسف كرم ، أب العلا عفيفي ومصطفى زبور ، ويعود لهذا الأخير الفضل في توجيهه نحو دراسة التحليل النفسي في باريس . ولأنه كما يقول آزاد أن يختلف من خلال علم مرتبط بالواقع .. حيث كان يشعر بأن هناك مشاكل بلا حل لأنها أبواب مغلقة ، كالشغور بالذنب بسبب وبدون سبب والاستعداد للعقاب الذاتي

...

ومن باريس تعرف على جاك لakan ، وتتابع محاضراته ثم في فترة لاحقة طور أفكاره وعمقها خاصة في مسألة العمليات الأولية في الحلم والتي يبني عليها تكوينه ، والاعراض النفسية المصاحبة له مثل النقل والتكتيف التي وجد جاك لا كان أنها في صنيعها ذات طبيعة لغوية شأنها شأن المجاز ، وكتب كتاباً في هذا الشأن ولوه أيضاً إضافات في مسألة التمييزات الابوبية والاب المثالي كقدوة . وصدر له بالفرنسية : دراسات في الأدريب ، اللاشعور وكابوه ، الكلمة أو الموت ، ونظم وجمعيات التحليل النفسي ، لا كان ومشكلة تكوين المحتلين ، وبعد حاليماً كتاباً يتضمن تقديم المشكلات التي طرحتها جاك لakan في السيمinar الذي استمر ثلاثين عاماً . وفي هذا الكتاب يحاول صفوان تقسيم إنتاج جاك لakan وحصر ما تبقى منه . وفي مجال الترجمة إلى العربية قدم ترجمة فريد لكتاب فرويد تفسير الاحلام . ومقال في المبودية المختارة لإثنين دى لا برييه .

أما فيما يتعلق بقضايا كتابنا فمصطفي صفوان ، يرى أن المغرب هو الأقوى ، والأقوى يستخدم دائماً قوته في استغلال الضميف ، وأتنا نعيش في عصر صليبية بروتستانية أمريكية أشد قسوة من صليلة العصور الوسطى . لكنه في الوقت ذاته يعتقد دائماً عدم إدراكنا للغرب بصورة دقيقة . ويستند صحف وعشواته وندرة ترجماتها عن الغرب مقارنة بالأمم الأخرى .

ويحكم معايشاته للثقافة الغربية ، ومن واقع معاملاته اليومية مع كثير من مرضاه ، أجرينا معه هذا الحوار لمعرفة حدود وإمكانات التعايش مع الثقافة الغربية ، وإمكانات الخروج من مأزق العلاقة السائنة مع الغرب .

◆ طرح بعض المستشرين سؤالاً محدداً : لماذا لا يوجد استغراب كما يوجد استشراف فماذا تقول :

- لا يوجد مدينة إلا وقادت على ما تركته مدينة أخرى .. فلا يمكن تصور حضارة اليونان من دون خبرات المصريين في البناء ومسح الأراضي ومن دون علم الفلك ونظام العدد عند الآشوريين والبابليين ، والعرب أنفسهم لا يمكن تصور حضارتهم من غير حركة الأخذ عن اليونان خاصة في ميادين العلوم والفلسفة ولكن كل مدينة تأخذ تراثاً غيرها برغبتها ويرثي من حركتها الثقافية الخاصة ، بينما المقهور ليس لديه وقت لبناء مدينة وحضارة وأخذ ما تركته الحضارات السابقة عليه . ونتيجة تفوق الغرب منذ بداية عصر النهضة الأوروبي والحركة الصناعية وغزو أسواق العالم الثالث . أخذت علاقتنا بالغرب مع الاستف شكل علاقة الغالب والمغلوب . في البداية كانت الغلبة للغرب لها شكل الوجود العسكري في بلادنا ، وهو الشكل المألوف للاستعمار منذ أيام الرومان وحتى نهاية الإمبراطورية ، حالياً تطورت غلبة الغرب ولم يعد هناك الوجود العسكري المباشر بل شكل استعمار جديد ، فلا وجود للثكنات العسكرية التي كان نجيري وتقذفها بالحجارة في فترات شبابنا ، نحن نعيش اليوم في ظل استعمار جديد مكنته شاشات التلفزيون والسينما والعقول ، وهكذا يتبدل شكل الاستعمار لكن بقيت المسألة هي مسألة علاقة الغالب بالمغلوب ، ومن هنا أجد من الصعب في هذه الأوضاع أن يطلب أحد من مواطيننا أن يقبلوا في مختلف المجالات على الغرب بشيء ، وأن يتلقوا عنه كما فعل أسلافنا . يصبح أن يحتاج النايل إلى فهم ومعرفة المغلوب ، ويقال أن معرفة قوة وتحكم بينما المغلوب لا يفهم أن يفهم الغالب فإن مسألة فهم الآخر وعدم فهمه تعتبر التكافؤ في التعامل معه أولاً ، ومن ثم فلا عجب إذا لم يكن هناك استغراب - بمعنى رؤى ودراسات علمية من الشرق إزاء الغرب - يواجه الاستشراف ، ولا أنتظر هذا

الاستغراق والنقل الحاد عن الغرب - وهو بصرامة شيء ضروري الآن إذا أردنا لانفسنا الاستمرار - إلا بعد انتصار حركات استقلال وتحرر وطني من سلطة الغالب ومنطق علاقة الغالب بالمتغلب ، وبعدها يمكن أن يبدأ الاستغراق .

◆ هل تعتقد أن صحف «الاستغراق» وعدم إدراكنا للغرب بصورة جيدة ودققة يعود إضافة لما ذكرته عن نتائج علاقة الغالب والمغلوب - إلى أننا لم نعد نرى فيه الآخر الذي ينبغي أن ندرسه ونأخذ عنه .

● هو موجود عندها بضمائه بشركاته ، بتمثيله السياسي ، لكن علمه يبقى في جامعته ، وأدابه تبقى في بلاده ، ومسؤولاته العقلية تبقى في قوانينه المكتوبة وغير المكتوبة في عاداته ، كل هذا لا ينتقل إليها ، أما الاستهلاك الغربي فهو موجود بالشكل الذي يحرك الحديد في الجرح وليس بالشكل الذي يتحقق الفهم والتعقل والمحبة . وهذه النزعة الاستهلاكية لا تختلف فيما وإنما انها ورغبة في المماثلة السطحية كما تساعد من ناحية ثانية على بروز المعارضة الدفينة التي تبدو في التركيز الألوف للشخصية ، فنأى الشخصية بدون إنجاز عمل تتحقق فيه هذه الشخصية هو من قبيل الكلام الفارغ . ولهذا أقول إذا كان هناك أصل في ظهور استغراق بالمعنى الذي أشرت إليه فإنه لن يأتي إلا بعد معركة تحرر تعيد للناس كراماتهم المسلوبة وتفتح لهم في أنفسهم بما يجعلهم يقبلون على من كان عدوهم في السابق ، لن يأتي استغراق إلا من خلال تعامل اللذين وبهذا تحقق الحد الأدنى من الكرامة المسلوبة .

◆ هل تعتقد أن الغرب مسؤول بصورة ما عن انتشار التزععات الاستهلاكية في بلادنا ، والإدراك غير الجيد من جانبنا لصورة؟ هل الغرب مسؤول - أو يشجع - ظاهرة الاستشراق العربي؟

● الحديث عن المسؤوليات ، حتى لو كان وجها ، فإنه لا يعني ، ومن الأفضل الإقرار بالواقع أولا . وهذا الواقع يشير إلى تفرق الغرب في وسائل الانتاج التي قضت على ما يسمى بالبيئة المختارة لكل مجتمع ، فنحن نصنع السجاجيد لأنها جزء من نعم

مجتمعاتنا ، ونصلى عليها ، حالياً الغرب قضى تماماً على البيئة المختارة لمجتمعاتنا . يرسل لنا الغرب مقصات مزخرفة مصنوعة خصيصاً للعالم العربي ، فانتهت الحرف ونفدت البيئة الطبيعية الناتجة من رغبة ذاتية وخاصة لمجتمع ما ، ما أقوله لا يعني أنها أيام الوضع الحاضر يعني أن نعود إلى مجتمع حرفى لأن هذا من قبيل الاوهام . ومن جهة ثانية فإن التاريخ لا يخضع فقط لوسائل الإنتاج بل لوسائل التدمير أيضاً ، فالغرب قد سيطر على الكورة الأرضية بامتلاكه مجال وسائل الإنتاج ووسائل التدمير معاً .

◆ إذا هناك مسؤولية واضحة تقع على هذا الغرب الذي يتبع ويهدم في نفس الوقت .

● أعتقد أن أكبر غلطة ارتكبها الغرب هي عمله على إنشال حركات التحرر الوطني في العالم الثالث في سنوات السبعينات . ولو كان الغرب قد ترك لهذه الحركات - لومومبا ، ناصر ، سوكارتو - فرصة الوصول لأهدافها - وهو الاستقلال والاعتماد وعلى الذات - ربما كانت براكيين الغضب في العالم الثالث الآن غير ما هي عليه ولكن الغرب فضل الاحتفاظ بهيئته بائشة . إنه كان يخلق حومات خيانة تساعد على استمرار هيمنته لكن النتيجة النهائية إن ذلك قد عمق من احتدام علاقة العالب والمغلوب ، واعتقد أنه إذا كان هناك مجال للتalking عن المسؤوليات فانا لا أرى للغرب مسؤولية أكبر من مسؤوليته في القضاء على حركات التحرر الوطني في السبعينات .

◆ حالياً هل يوجد دافع واضح لدى الفريدين تجعلهم يحاولون تغيير صورتهم عن « الآخرين » ومساعدة بلدان العالم الثالث في الخروج من مأزقها ؟

● لا يوجد دافع وبالتالي لن يحدث هذا .

◆ لا توجد دافع أخلاقية ، إنسانية !

● نعم يوجد خطاب أخلاقي ، لكن الذي يطمسن فقط ضمير الغربيين بما يزيدهم أمعاناً في نفس الطريق . وكي يستمر تفوق الغرب في مجال الإنتاج ومجال التدمير مما . والخطورة إن الغرب متوفى في المجالين واستفحلت سيطرته بحيث بدأ أفراد المجتمع المغلوب يشككون في إنسانية الغرب وقيمه .

◆ هناك من يرفض الحديث عن صراع بين شرق وغرب لماذا تقول في هذا الشأن؟

- أفضل بحث طبيعة الصراع القائم من خلال مصطلحات الشمال والجنوب ، كما أن الحديث عن هذه العلاقة ينبغي أن يكون في مستوى مختلف من مستوى العلاقة بين المجتمعات ، أي مستوى البشر باعتبارهم كائنات ناطقة . فمن هذه الناحية لا يوجد فرق ، فالإنسان سيطرخ نفس الأسئلة الوجودية التي تتعلق بالحياة والموت والمصير ، لا يوجد اختلاف بين البشر بوصفهم كائنات ناطقة ، والثقافة باعتبارها ظهوراً للإنسان بوصفه حيواناً ناطقاً موجودة للتتفاهم ، لكن حركة المجتمعات بما هي عليه من صراع شيء آخر لا يجعل من الثقافة أداة للتتفاهم .. فالثقافة الغربية ذات الأبعاد الإنسانية جذيرة بالاحترام في عمقها وخلفيتها ابتداء من حضارة اليونان حتى أفكار هайдغر من الوجود والزمان ، ولكن هذا شيء وثقافة بينما رامبو ورووك شيء آخر .

◆ في هذه الحال لماذا لا تشقق على أن الصراع يدور بين شرق وغرب طالما أن الأبعاد وطالما أن الثقافة - بوصفها بعده إنسانياً - لم تعد كل ذلك بل أدلة في صراع الغالب والمغلوب ؟

- الثقافة وفقاً لمنطق صدورها عن الإنسان بوصفه حيواناً ناطقاً هي للأخذ والعطاء ، والقوى يقضى على هذه الطبيعة الخاصة بالثقافة ويزهد السفوس في التواصل الشفافي ويشجع العزلة والانكفاء الذاتي ، فلماذا أقراً بروست ويلزاك إذا كان العسكري الفرنسي رابض في أرض؟

◆ كيف الخروج إذ من مارق ثقافة غريبة المفروض أنها ذات بعد إنساني كوني وبين الواقع أنها مستخدمة في نطاق الهيمنة الغربية على الآخرين ؟

- نحن نعيش حال تتصدع وتتآثر بين القيم الثقافية التي أخذناها عن الغرب والقيم الثقافية الخاصة بنا . ولا شك في أن اتصال الشرق بالغرب قد أدى إلى تغيير مقولات قديمة وإدخال مقولات جديدة من دون أن يكون هناك أي مرشد نحو طرق واضحة للخروج من هذا الصراع بين المقولات . فوظيفة الكلمة لدينا تختلف أحياناً عن وظيفة

الكلمة في الثقافة الغربية . بالنسبة لنا الكلمة قد تكون أحياناً نوعاً من الشرق بينما وظيفة الكلمة في الثقافة الغربية ليست بعيدة عن الحاسب الآلي ، إذا نزلت في الفندق في أمريكا مثلاً واردت أن تطلب خدمة من الإدارة فلا بد أن تسير وفقاً لبرنامجه ويدرك من ذكر الاسم أو لا ثم رقم الغرفة التي تقيم فيها ثم نوع الخدمة التي تبحث عنها كما لو أنه تمول عقلاً إلكترونياً ... وهكذا تمر مجتمعاتنا - بجانب ما يتولد في النفوس من قهقهه - بنوع من «اللخبطة» في المقولات والتصورات العقلية التي اتبناها كيابتها ، وليس هناك من طريق للخروج من هذا المأزق سوى عن طريق نجاح حركات التحرر بحيث يتكون أفق تطوير من خلاله الحلول الصحيحة .

◆ إلى حين أن تتبع حركات تحرر وطني هل تستمر العلاقة مع الثقافة الغربية على ما هي عليه الآن من الخطأ ؟

● أنتا في مارق علينا أن نعي إدراكنا لثقافة الغرب وان نقبل برغبة حقيقة في التعرف على ما في هذه الثقافة من أبعاد إنسانية مع احترام لثقافة السلف في الوقت نفسه . ليس من المعقول مثلاً أن تستحوذ أقسام الأدب الأجنبية في جامعاتنا إلى إقسام لتعليم اللغات الأجنبية كى يذهب الطلاب بعد ذلك للعمل في شركات سياحة وقطاع غربية ...

أقول ذلك وأنتا أعلم أن الدعوة للإقبال على ثقافة الغرب الإنسانية والوصل بينها وبين تراثنا وحاضرنا ليست بالمسألة الباهلة لكن ما زال الأمل قائماً بانتصار حركات تحرر وطني يفتح بعدها الطريق نحو هذه المعادلة المقودة

◆ واصلنا الحديث مع مصطفى صفوان في لقاء آخر وسألناه إذا كان يرى مبرراً للحديث اليوم عن شمال وجنوب ، أو شرق وغرب في ظل امتداد وانتشار واقع وخطاب العولمة المتزايد يوماً بعد يوم ؟

● نعم هناك مبرر للحديث عن ذلك في زمن العولمة . فتحن لأول مرة في التاريخ شاهد حرباً قائمة على أسباب تسمى إنسانية أو أخلاقية . والسؤال هنا : هل هذا تقدم

في الوعي الإنساني كما يدعى البعض أم هو رجوع إلى ما كان يسمى في القرن التاسع عشر بسياسة المدفع . وأيا كان اختيارك بين الأمرين فالواقع أننا نعيش سياسة القذائف .

● والحقيقة المؤكدة أن العولمة تصطدم أسماء أعيتها بالتراثات القومية . والعولمة تصطدم بالقومية الصربية الارثوذكسي ، ولا يوجد مانع من أن تصطدم بالإسلام وبهريات أخرى ، فالمشاهد أن التراثات القومية تتزايد في كورسيكا والباسك والكتالان أمثلة عديدة في أوروبا وفي أيرلندا .. وحتى داخل المجتمعات ذات الهوية الوطنية الشابة وغير المهددة مثل الأمة الفرنسية تجد خصائص جديدة تظهر لجماعات وطوائف من اليمين إلى اليسار .. وتوجد تعريفات جديدة لمجتمع وطوائف دينية جديدة . فالعولمة تسر إذا مع تزايد التراثات القومية ومع تزايد الطوائف والجماعات القائمة على أسس دينية وطائفية أخرى . وليس هذا بجديد أو مفاجيء ، فماركس منذ أوائل القرن التاسع عشر قال أن المرض نحو مدينة تشمل العالم كله سيقام من حلة الشعور بالخصوصيات والهويات - وهذا شيد طبيعى - فأنت فجأة تجد بيئتك الخاصة والمكبوتة بطريقة معينة عن احتياجاتك ورغباتك من سجادة الصلاة إلى التمرهندى .. وقد بدأت تهار تحت وقع محلات المكدونالد والكوكولا و ... تشابه العالم يفقد الإنسان شخصيته إلا في المقومات غير المادية وغير المصنوعة ، أي عنصريتك أو دينك أو وطنك ... الخ .

◆ البعض من الذين ينظرون نظرة تفاولية للعولمة الزاحفة يعتبرون أن مسألة الصراع مع الغرب لم تعد ذات قيمة ، وأن علينا العمل من أجل تجاوز تخلفنا في السياق الراهن حتى تستعيد مشاركتنا الحضارية التي فقدناها ، كيف تنظر إلى ذلك؟

● بالنسبة للشرق والغرب ثمة حاجتان : مسألة الصراع ومسألة تخلف الشرق أو العالم العربي بالتحديد عن ما كان له من المشاركة الحضارية في المدينة . بالنسبة للشئ الأول هناك صراع قطعاً . فواقع الأمر أن هناك أنظمة تابعة للقوى الغربية الكبرى لا يبني وجود الصراع لأن التبعية ذاتها تعنى أن القوى أنتصر وأنك أصبحت تابعاً لها .. ويمكن

القول أن الصراع في فترة ما قد أخذ شكل حرب صلبة شنتها الكنيسة الكاثوليكية ،  
ولاحظ المفارقة أن الكنيسة الكاثوليكية كان لها ادعاءات إنسانية .. ثم جاءت الحرب في  
وقت أن الاتصال بين العرب والغرب على أشده . فمن المعروف أن الغرب اكتشف  
قارات العالم بما اكتسبه من فن الملاحة عند العرب كالبواصلة وغيرها . وتم له ذلك  
بمساعدة العرب أنفسهم . ماجلان لم يعبر إلا بمساعدة الملائكة العرب الذين تركوا  
أنفسهم فريسة سهلة للتطويق دون أن يشعرها . . . والآن نعيش في أجواء صلبة  
بروتستانية ليس بها رحمة والدليل على ذلك أنظر صورة العرب في أمريكا . . . هذا من  
ناحية الوضع الحالى بين الشرق والغرب . أما الشق الثاني من القضية والخاص بانهاء  
وأنصياع مشاركة البلاد الناطقة بالفداد فى الحضارة بينما عرفت أوروبا وبته لا مثل لها  
ليس فقط فى مجالات العلم وإنما فى كل المجالات . . . من أين أتى هذا التقديم لديهم  
؟ اختلاف اللغات الدارجة لم يمنع التقديم . لم يستحدثوا لغة واحدة ، على التقىض اللغة  
الواحدة كانت تعطلهم . . هنا الآراء تتنازع . وفي تقديرى أن توکيل فى كتابه عن  
الديمقراطية كان قد كشف عن السر مبكراً . لقد تباً منتصف القرن التاسع عشر بأن  
مستقبل العالم سيتوقف على الصراع بين أمريكا وروسيا ، وأأشعر القارىء تماماً بأن رأيه  
أن أمريكا ستنتصر بسبب نظمها ومؤسساتها وقوتها . . وهذا ما حدث هزمت روسيا  
بسبب تسكمها غير المعقول بمجتمع موحد لا يقبل الخلاف داخله ، وإنما يتكون من  
طبقة واحدة لديها كل الحق والتاريخ يفتح لها أبواب المستقبل وهي طبقة العمال . هنا  
التمسك بفكرة الجماعة المتتجانسة بصورة تامة ولا تقبل أى خلاف فى داخلها هي فكرة  
لا صلة لها بالواقع لانه لا يوجد مجتمع فى الدنيا إلا ويه يدور للحرب الأهلية .

ومن هنا كانت ضرورة الرجوع للكلمة والحوار لتجنب هذا الخطر الموجود  
باستمرار . وتاريخ أوروبا هو تاريخ توزيع القوة منذ اليوم الذى جعل فيه قسطنطين  
الأمبراطورية الرومانية تحول إلى المسيحية . كان الإباطرة يتّسدون المجايبة وحصل  
صراع بينهم وبين البابوات ثم بين الملوك والأباطرة وبين الملوك وبعضهم البعض ،  
وبين الملوك والنبلاء ، وبين النبلاء والفلحين . . . تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

هو ثورات الفلاحين وتوزيع القراءة بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية . . .  
الأمريكان استولوا على هذا التراث . . وبحيث أن فكرة اللولي (جماعات الضغط) التي  
نعتبرها نحن حقيقة هم يفتخرون بها لأنها في نظرهم الدليل الأمثل على القدرة  
على حل المشاكل بالتفاوض ، بينما المجتمع المتحمس لا يقبل إلا حاكماً واحداً لا  
يتحكم قانون إلا الكتاب المقدس ، والذي يملك وحده حق تفسيره مثل ستالين عندما  
احتكر حق تفسير ماركس ، ولا يصبح للطرف الثاني أي حقوق أمام هذا الحاكم . أما  
تاريخ الغرب فكان من شأنه أن يؤدي إلى وجود دولة القانون أي الدولة التي تخضع  
للقانون وسيادة القانون على نفسها . . العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، في أمريكا مبنية  
على دستور ، وعلى أحسن ما وجد في أوروبا بحيث أن لكل فرد مشاركة في الحكم ،  
وأمريكا هنا لديها ميزة عن أوروبا لأن أفراد الشعب الفرنسي ، أو الإنجليزي ، وإن كان  
لديهم شعور بأهم يضمنون السلطة في الحكم إلا أن علاقتهم بالسلطة التنفيذية دائماً  
مشتملة على صراع لذلك عندهم عدم ثقة في السلطة التنفيذية بينما الأمريكي تحصل  
من الشعور بالعداء للسلطة ، وتجدهم أثناء الأزمات الكبيرة يداً واحدة .

#### ◆ تجلهم بدأ واحدة في "الصدام" مع الآخرين !؟

● إذا كنت تقصد أطروحة "صدام الحضارات" كما عبر صموئيل هانتجتون فانا أرى  
أن بها بعض المصدق لكنه صدق يفضي إلى نتيجة مخيبة وهي أن الغرب لا يبني أن  
يرفع يده عن السيطرة المطلقة وإلا حدث انفجار . . ثم أنه جعل الصراع مؤسساً على  
فكرة مادية للحضارات وهذا كلام خطير لأنه كلام يأخذ ملامح عنصرية ، أما أنا فأقول  
غير ذلك ، ورغم حديث سابقاً عن صراع صليبي جديد لكنني أراه غير مؤسس على  
اختلاف المسميات والهويات وإنما اختلاف نظم الحكم بالتحديد ، الأمر الذي يسمح  
بالاتباس والتغيير بشكل إنساني ، وهو أمر يختلف بالطبع عن مجرد الانحباس في  
الصدام .

#### ◆ تتحدث عن الاتباس والترجمة من أجل التغيير في ظل الصدام والصراع !؟

● المؤكد أن الغرب مع تقدمه ، في ظل الصراع يترجم عننا أكثر مما نترجم نحن عنه العجيب في العالم العربي أن كل شيء يجري فيه وكان هناك رقابة غير موثقة وغير محسوبة في موضوع الترجمة عن الغرب . بينما العرب القدماء أخذوا كل شيء من الحضارة الغربية اليونانية باستثناء المسرح والشعر ، فلننقل أن العرب آنذاك كان لهم عذراً ... لكننا بعد قرون من الحكم التركي وقعت تحت رقابة لازالت مستمرة . ورغم كل ما ترجم إلى اللغة العربية فإننا لا نستطيع القول أن الكتب الرائدة في الغرب قد ترجمت . وضررت لك مثلاً بتسوكيلى . وأفسر لك مثلاً بأعمال كاتب معاصر هو جونراجاس الذي ينظر إليه على أنه أسطوفان العصر الحديث لم يتم ترجمته بدوره إلى العربية وناهيك عن أنهم لا يعرفون كيف يترجمون .

◆ سؤال آخر : يومنكم محللاً نفسياً أنسى ما يقرب من نصف قرن في العاصمة الفرنسية هل ترى أن منهج التحليل النفسي يصلح للتطبيق في المجتمعات العربية الإسلامية أم أنه في حاجة إلى تعديل قواعده ليتلاءم مع موضوعاته العربية ؟

● الخلافات والاختلافات بين المجتمعات لا تؤدي إلى الاختلاف في العلم نفسها بل العلم هو الذي يؤدي إلى تبيان الاختلافات بين المجتمعات . العلم الإحتكام فيه للعقل وهو الذي يبرر الخلافات القائمة بين المجتمعات وليس العكس . بالطبع التحليل النفسي مرتبط بوجود مجتمع ، الأسرة فيه قائمة على النظام الأبسوبي واكتشاف «أوديب» ، يعني تدهور مركز الأب وأضمحلال الأسرة إلى الوضع الشلاني ، وبالتالي يمكن القول أن التحليل النفسي كممارسة لن يسير في الريف المصري لأن الأسرة فيه قوية ومتماسكة وليس مقصورة على الآباء والأمهات والولادات ... وبالتالي تجد في الريف إما تقوياً بالآباء ، واحتراماً له يجعل الفرد ليس في مهب الريح كما هو الأمر هنا . لكن التحليل النفسي مع خريج جامعة أو مقيم في المدينة أو مطلع على الآداب واللغات الأوروبية ، لا سيما هذا الذي يعيش في ظروف عائلية قرية من الغرب ، وهي فئة كبيرة في القاهرة والإسكندرية ، أراه مهما جداً لهم وهو يتوجهون في أحيان كثيرة للتحليل النفسي .

وقد يكون الاختلاف في النظريات التي يتم استخراجها من الممارسة في مصر ، وهي تختلف باختلاف عقليات المستظرين ، لكن منهج التداعي الحر واحد ولا صلة له بالمارس ، سواء أكان فرنسي أم عربيا ، وكلامك يكون صحيحا عندما تطبق نظرية أو منهجا في غير مجاله عندما تفتح عيادة للتحليل النفسي في قرية كذا بالريف المصري ، أو عندما تطبق المنهج الماركسي في مصر في حين أن فكرة الأجر نفسها غير موجودة في عقول المصريين ، فالعامل الذي يخرج في الصباح لا يخرج بحثاً عن أجر عن عمل أداء ، وإنما يخرج بحثاً عن الرزق .. الفكرة الأولى عندنا هي فكرة الرزق وليس الأجر . المسألة ليست شرقاً وغرباً هنا ، وإنما خطأ في التطبيق .. وأعود وأكرر إن الاختلاف ليس في طبيعة العلوم ، وإنما العلوم تظهر لنا الاختلافات الواجب مراعاتها عند التطبيق.



سميح فرسون  
الاستغراب نقد للغرب



يتجدد الحديث العربي عن «الغرب» من فترة إلى أخرى ، وذلك منذ بداية النهضة العربية الحديثة ، إلا أن هذا الحديث عن علاقتنا بالغرب وعن الموقف الذي يتبعه علينا اتخاذه ضمن إطار هذه العلاقة ، قد شهدت تطوراً ملحوظاً منذ بداية الثمانينيات .

الفترة الماضية شاركتنا ، في تشريف وتجدد الحديث عن موقفنا من الغرب اليوم . وعنه مراجعة قنوات اتصالنا بالغرب بعد مائتي عام تقريباً على افتتاحنا لهذه القنوات ، من بعثات تعليمية إلى ترجمة إلى وسائل إعلامية ... وكانت التساؤلات التي أثيرت تدور حول إعادة تجديد فهمنا للغرب . وتحول تحديد أكثر وضوحاً لحدود التعايش بين الثقافة الغربية والثقافة العربية ، وعلى التساوؤل عن وجود استغراب عربي ، أو عدم وجوده ، وعن المناهج الأكثر ملاءمة لدراسة ثقافة الغرب بصورة دقيقة .. وغير ذلك من التساؤلات . لذلك كانت سعادتنا كبيرة عندما ذهبنا في أواخر كانون الأول (ديسمبر ١٩٨٦) الماضي لمتابعة ندوة نظمها مكتب الجامعة العربية في باريس تحمل توجهاً رئيسياً يعنوان : كيف نفهم الغرب . وعلى الرغم من أن بعض أبحاث الندوة قد نشرت ، إلا أنه لم يكشف بعد النقاب كاملاً عن «أسرار» ما دار فيها من نقاشات .

هذا حوار مع سميح فرسون . أحد المشاركين في الندوة ، والذي التقى اطروحاته حول ضرورة وجود استغراب عربي مع ما كنا قد نشرناه سابقاً .

وسميح فرسون يعمل أستاذًا في علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية في واشنطن . ولد في فلسطين ودرس في لبنان وأكمل دراسته الجامعية والدكتوراه في أمريكا . وتدور اهتماماته الأساسية حول سوسنولوجيا العالم العربي السياسية وعلاقة أميركا بالعالم العربي . كما ساهم في إنشاء رابطة الخريجين العرب التي ستحتفظ بذكرى مرور ٢٠ سنة على إنشائها في العالم المُقبل . ويترأس تحرير المجلة الفصلية للدراسات العربية التي تصدر عن الرابطة . وله مؤلفات عديدة أهمها «المجتمع العربي» و «العلاقة بين السود والبيض في أمريكا» فضلاً عن عشرات المقالات في المجالات الدولية والعربية .. وهذا نص الحوار معه .

## ◆ كيف تفسر أولاً تزايد الحديث في الفترة الأخيرة عن موقفنا من «الغرب» .

● ينفي القول ، أولاً ، أن المؤسسات الحاكمة في العالم العربي كانت متهكمة دائمًا في معالجة المشاكل اليومية الناتجة عن الأوضاع الاقتصادية المتدهورة . وبالتالي لم يكن هناك وقت كاف للتفكير في معنى علاقتنا بالغرب . لكن مع انخفاض عائدات البترول وترافق الديون على بعض الدول العربية ، بدأ العرب يفكرون في معنى علاقتهم بالغرب ، وبدأوا يتذمرون عن نوعية هذا الغرب الذي استطاع ، في سنوات قليلة ، أن يحطط آمالنا ومشاريعنا ، وأن يقلب رأساً على عقب ما كانت تسمى إليه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن أوضاع العالم العربي بدأت تزامن أيضًا ، ليس فقط على الصعيد الاقتصادي بل السياسي والاجتماعي والفكري أيضًا . وصارت تطرح بالحاجة فضيحة الليبرالية والديمقراطية والنموذج الغربي ، ومن هنا انطربت أيضًا قضية علاقتنا بالغرب .

◆ إلا تعتقد أن انتشار التيارات السياسية الجديدة في العالم العربي قد ساعده بشكل مباشر ، أو غير مباشر على إعادة التفكير في موقفنا من «الغرب» وعلاقتنا به من جديد ؟

● بالطبع هذه التيارات أجبرت الناس على إعادة التفكير في علاقة الحاضر بالماضي والشرق بالغرب . وعن علاقة الحاضر بالحاضر الآخر ، والذات مع الآخر . وأعتقد أن بعض هذه التيارات لا يسمح بنسو فرض التفكير والإبداع ، لأنها ترجع باستمرار إلى السابق وتؤكد فقط على ماضٍ قد حدث . لكن من جهة أخرى هناك بعض النخب والفعاليات السياسية والفكرية في العالم العربي ، والتي لها مصالح من وراء تبعية العالم العربي للغرب . فالتبعة لها جذور اقتصادية وثقافية أيضًا . وهذه النخب العربية تريد أن تجعل من العالم العربي صورة طبق الأصل عن الغرب ، وتميل إلى استمرارية العلاقة كما هي الآن . كما تستند هذه النخب العربية المهيمنة شرعيتها من العلاقة مع المصالح والأفكار الغربية ، فالواقع هذه النخب داخل الحكومات العربية ، وداخل القوى السياسية ، تسمح لها بأن تبدي رأيها بحرية وتفرض نفسها من منطلق العلاقة مع هذا الغرب . والانظر من هذا كله هو أن هذه النخب تعتقد أن توجهها الثقافي والفكري والتنموي هو الصواب ، وغيره هو الخطأ .

◆ ما هو تأثير هذه النخب العربية الحاكمة على نشاطكم في أمريكا؟

● بصراحة إننا في أمريكا نعاني كثيراً من هذه النخب العربية الحاكمة ، لأننا عندما ننشط من منطلق وطني ونواجه الأمريكيين على الصعيد السياسي والإعلامي نجد أن بعض النخب العربية الحاكمة تخذلنا أمامهم ، ولا تجعل لنشاطنا أي مصداقية . فكف يقلبون بكلامنا في أمريكا وحکمانا العرب أكثر ميلاً إلى الأمريكيين؟ وهكذا فإن المسؤولين العرب يسحبون شرعية ما نقوله ونفعله في أمريكا ضد الهجنة الأمريكية على العالم العربي والثقافة العربية . بالنسبة إلى الأمريكيين نحن متقدون ولا تقبلنا المؤسسات المهيمنة لأننا ننتقدوها .

◆ أعود إلى موضوع حوارنا وأسالك لماذا لا يوجد من جانبنا دراسات دقيقة وموسحات شاملة عن بلدان الغرب في شتى العيادين . لماذا لا يوجد «استغراب»؟ وهل تتفق مع وجهة النظر التي ترى أننا نعاني من كثرة الاستغراب وليس ندرته؟

● في ما يتعلق بيـ، فأنا أتصور أنه لا يوجد لدينا استغراب حقيقي بمعنى دراسات عربية عن المجتمع السوفيتي والبريطاني والفرنسي مثلاً .

◆ لماذا لا توجد مثل هذه الدراسات في تصوري؟

● القضية تعود . في اعتقادى ، إلى القرار السياسي العربى فى المقام الأول ، فمنذ الحرب العالمية الأولى لم يكن القرار السياسى مرتبًا بمؤسسات ذكورية جامعية أو معاهد أبحاث . والتي لا يزال وجودها نادراً حتى الآن . بينما الأمريكان ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، استجلبوا فرنسيين وإنجليزآ كي يعاونوهم فى إنشاء مراكز أبحاث ودراسات عن الشرق الأوسط ، كى يفهموا بلدان العالم العربى ، وكى يحققوا أفضل الطرق فى السيطرة عليها ، وهنا الاستشراق طور نفسه وطور تصوره للعالم العربى من أجل أن يستجيب لاحتياجات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء العالم العربى . أما فى ما يتعلق ببلادنا فلا نجد معاهد ومراكز أبحاث للاستغراب ، ولارسإ تقليد دراسية عن الغرب . وعدم وجود هذه المراكز نابع من حالة التخلف الفكرى والتنافر ، وقليل من

الحكام العرب يقبلون بأن تكون هناك ثقافة مستبرة مساعدة للحكم . إنهم يفكرون فقط في وجود ثقافة مضادة لهم وينبغى ضربها . وما هو موجود لدينا من استغراب لا يتعذر دراسة علاقات دولية عن سياسة أمريكا ، مثلاً بالعالم العربي . وفي هذا يوجد إنتاج استغراباً جيد ، لكنه لا يتعذر ذلك أبداً إلى التساؤل بما هي العلاقة العضوية بين السياسة الخارجية للدول الغربية والبنية الاجتماعية والسياسية والفكريّة داخل هذه الدول ، فمثلاً التمييز بين الشيوعي والمليارالي والمحافظ لا يظهر في أوروبا بالصورة نفسها التي يظهر بها في أمريكا ، فالليبرالي في أمريكا يتميز بعذارة أكثر إزاء العرب ويدعم أكثر تجاه الصهيونية وإسرائيل . أريد أن أصل من هذا المثل إلى إبراز أن العلاقة بين السياسة الخارجية وطبيعة المجتمع الذي يفرزها لم يتطرق إليها الاستغراب العربي بعد .

◆ هل يكون الغرب ذاته هو المسؤول عن تأخر الاستغراب العربي وتذرته ؟ وهل يكون الغرب ذاته مسؤولاً ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، عن الصورة التي تدركه بها الآن ؟

● هذا صحيح ، فالطالب العربي الذي يريد أن يدرس بعض ظواهر المجتمع الأمريكي ، مثلاً ، يقال له من اسانته أن هذه موضوعات أشيئت بحثاً ، ومن الأفضل له بدلاً من أن يعد دراسة عن السود في أمريكا ، أن يقوم بدراسة هذا الموضوع أو ذلك عن العالم العربي ، وأنه من الممكن أن توفر له الجامعة الغربية منحاً دراسية ، أو ما شابه هذه الأمور والشهادات ، بغرض الحصول على دراسات محددة مطلوبة أساساً في الغرب . وهذه الطريقة تسود ، في جوهرها إلى فترة الإستعمار الغربي لبلادنا ، حيث كان إعداد الكوادر في مجال التربية والتعليم ينطلق من نظرة رؤافية ضيقة جداً ، بمعنى أن تأسيس المدارس والمعاهد كان لتخريج بوروفراتية تخدم المستعمرين ، باختصار ، كان الهدف ولا يزال خلق كوادر عربية داخل العالم العربي تعمل على مساعدة الغرب من الداخل .

◆ هل تعتقد أن هؤلاء «المشترين العرب» مازالوا في مواقع السيطرة والهيمنة داخل العالم العربي ؟

● مازالت لهم السيطرة على الرغم من أننا في حالة استقلال . وما زلنا نطبق الأهداف الاستعمارية الوظيفية ، أي إنتاج موظفين وليس مفكرين أو باحثين ، لأن المطلق السائد كان مطلقاً الخبرة الاستعمارية ومن دون تجاوز حقيقى لها حتى في الدول العربية التي افتتحت جامعات مؤخراً في الخليج والأردن وغيرها ، لا تزال لا تخرج أعداداً هائلة من الطلبة من ذوى الثقافة المحدودة ، ولا تصل إلى مستوى ثقافة سؤالاً وتبث عن جوابه ، بل ثقافة تردد ما صدر . إنها تتيح ثقافة شبه سلفية ، لكن عن أشياء حديثة ويمضيون غربى ذى طبيعة وظيفية فقط فلا توجد جامعات من هذه الجامعات ، منذ الحرب العالمية الثانية ، نجحت فى تأسيس جامعات ومعاهد بحث ودراسة . ربما كان هناك مؤخراً معهد دراسات عبرية فى الأردن ، ومعهد الدراسات الفلسطينية ، لكن بشكل عام لا توجد كوادر متوجهة للدراسات تسمع عنها وتتعرف إليها فى الغرب أو الشرق .

◆ البعض يقول ، طالما أوضاعكم مكنا ، فلماذا تتقددون إنتاج الاستشراق ، أو أين إنتاجكم أنها الشرقيون !؟

● الحقيقة ، بكل أسف ، تقول أن انعدام المعاهد والدراسات العليا في الجامعات العربية عن أنفسنا هي البب الأكبر الذي يدعم الاستشراق ، وغالبية الشباب العربى الذى يأتى للدراسة في الغرب يأسون دراساتهم انطلاقاً من خبرة المستشرقين ، لكن وانصافاً للحقيقة أيضاً ينبغي أن نشير إلى وجود الباحثين العرب في الغرب من أثروا ثقافة مضادة للاستشراق ، ورابطة الخريجين العرب في الولايات المتحدة الأمريكية أكبر نموذج عملى لهذا الجيل من الباحثين الذي خرج منه أدوارد سعيد وكتابه الشهير عن الاستشراق ، وقد كنا جميعاً أبناء هذا الجيل نقاش هذه القضايا كل في مجاله سواء في علم الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسية ، وكانت المجلة الفصلية للدراسات العربية التي أشرف عليها ، تساهم بدورها ، وعلى طريقتها في خلق ثقافة إن لم تكن مضادة فهو بديلة ومتهمة أكثر لقضايا وهموم الشعب العربى .

◆ كيف يداه اهتمامك وتفكيرك بقضية الاستشراق ؟

● يعود ذلك إلى ما لاحظته من انقسام حاد في وجهة نظرنا إزاء الغرب فمن جهة تجد هناك من يعطي للغرب صورة جذابة إلى أبعد درجات الجاذبية والإبهار استناداً إلى تقدم الغرب التكنولوجي، استناداً إلى سيادة الديموقراطية السياسية والحرفيات والحقوق المدنية لمواطنيه، ومن جهة ثانية تجد من يقدم صورة سلبية وسوداوية عن الغرب وسياساته القمعية خارجة حدوده ومسؤوليته خارج عن استمرار اقتصاد الفقر والجوع والبطالة والتمييز العنصري . وهكذا نجد صوراً جادة ومتناقضة عن الغرب ... الصور الإيجابية ارتكزت على النماذج المثالبة للغرب بينما الصور السلبية وكذلت على الحقائق الاجتماعية . وربما تكون هذه الصور المتناقضه انعكاساً لطبيعة تناقضات الغرب ذاته وليس فقط علاقتنا نحن به ، وفي تقديري أن المدخل الناجع لفهم المجتمع الغربي هو في إلقاء الضوء على التناقضات الجوهرية فيه وإظهار قواه المحركة للتشير والتحول .

◆ هل يشكل هذا المدخل نموذجاً وحيداً لثقافة الاستغراب ؟

● ليس هدفي فقط مراجعة في إطار القرى المحركة سياسياً واجتماعياً في الغرب ولإيضاح ارتباطها بالمستقبل العربي وإنما أيضاً إبراز دور نخبة المفكرين وإنساجهم من نماذج وصور للمجتمعات العربية . ومن الواضح ، كما تعلم ، في الغرب فإن كلاً الصورتين عن المجتمع العربي ومستقبله بما صيغ عقائدية نظرية تم وضعها منذ أمد بعيد لخدمة الآراء والمواضف السياسية لصالح الغرب بينما النظرة الغربية للغرب نفسه تجدها متعمقة وتنتالو السطواه في أبعادها التاريخية حين نجد الصور والآراء العربية تفتقد مثل هذه الدقة والشمولية في نظرتها للغرب ، وذلك لأنه مناط لها أن تلعب دوراً محدوداً في السياسة العربية ، وكذلك كنتيجة للطبيعة الاجتماعية للنخبة العربية المنتجة والمستندة من نشر تلك الصور أى دور الصحافيين والتكنوقراط والمستشارين ، وبتغيير آخر إن تلك الصور المتناقضه والحسنة والمجردة عن الغرب هي شناج الصحافة والأيديولوجيات والسياسات المتنفسة من هذا الجدل في العالم العربي ، وليس نتيجة لعمل مراكز أبحاث علمية عن ما يدور في الغرب . لقد صارت هذه الصور عن الغرب جوهرأ أساسياً في الحوار المقايد السياسي العرب .

◆ هل يدهشك تزايد الحديث في الفترة الأخيرة عن الغرب بصفة عامة بعد أن كانت هناك فترة يتم فيها التمييز بين أنواع من الغرب ؟

● ليس مستغرباً تزايد الحديث السياسي والثقافي العربي عن الغرب من حيث النوع أو الكلمة ، وسواء من خلال استعمال الصورة المجردة أو من خلال الانطباعات الجزئية والمتقدمة والمنحازة ، وإن كان يمكن القسم السياسي العربي والصراع الاجتماعي المحلي المتضاد . من المؤكد أن صورة «الغرب» واستعمالها، شهدت قفزة كبيرة خلال السبعينيات ، كما ذكرت في بداية الحديث ، عندما شجعت فوائد النفط العالمية الحكومات والأنظمة العربية على إعادة صياغة خطط التطوير الاقتصادي ، حيث ظلت نماذج المجتمع الغربي تستعمل في خطط التنمية علينا أو ضمناً كى تسر المصير الاقتصادي والاجتماعي للدول العربية . وما يجدر ملاحظته هنا ، أن هذه النماذج الغربية تمتلك الموارد العربية الضخمة وتؤثر في حياة الأغلبية الكبير من الشعب دون أن يخصّها أحد للتتحليل الدقيق وعن كيفية تأثيرها على المجتمع العربي .

◆ لذلك تدعو إلى ثقافة الاستغراب؟

● نعم ... ما أجد غير قابل للتصديق هو عدم قيام أي حكومة عربية بإنشاء دوائر جامعية أو مؤسسات أبحاث لدراسة المجتمع الغربي . وفي حدود معرفتي ليس هناك أي دراسة عربية عن الاقتصاد أو التاريخ أو السياسة الأمريكية أو البريطانية أو الفرنسية أو السوفيتية . وكل ما شاهدته في المكتبات ومخازن الكتب العربية هو عبارة عن ترجمات عربية للتاريخ والسياسة أو الاقتصاد الغربي بأقلام كتاب ومتكلمين غربيين . نحن في أشد الحاجة لتكوين مجموعات من الباحثين العرب ذوى الخبرة والمهارة العالمية كى تعمل في معاهد ومراكز عربية للدراسات الغربية .

◆ تقول لا توجد أي دراسات علمية من الباحثين العرب عن الغرب ؟

● بالطبع لقد درس الباحثون العرب ، السياسات الخارجية لبعض الدول الغربية تجاه العالم العربي لاسيما فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية ، وعدا ذلك ، لم يصدر سوى

القليل جداً من الدراسات العربية عن عملية صناعة قرارات السياسة الخارجية الغربية أو عن أي ناحية من نواحي المجتمع الغربي التاريخي ، الإقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية أو الثقافية الخ ... وينطبق هذا أيضاً على الباحثين العرب المفترضين ، وقلة قليلة منهم توصلت في دراستها إلى موضوع الدراسات الغربية أو التغيرات العالمية الفعلة . بل تجد معظم الباحثين العرب المفترضين تخصصوا في الدراسات الشرق - أوسطية ، أو في الثقافة والدين والمجتمع العربى ولا سيما في الصراع العربى الإسرائيلي بالإضافة إلى ذلك ، وكما يرهن ادوار سعيد ، فإن معظم الباحثين العرب الذين تدرّبوا في الغرب ، المفترضين منهم أو العائدين لمجتمعاتهم ، يدرسون المجتمع العربى والثقافة والتاريخ العربى والعلاقات العالمية من وجهة نظر استشرافية كما وضعها وطبعها المستشرقون الغربيون .

◆ نحن ندرك الغرب وندرسه ليس من مواقعنا ومصالحتنا وإنما كما يريد لنا الغرب أن نراه .. !

● نعم لقد أنتج المفكرون والمنظرون وصانعوا السياسة الغربية ، النماذج والصور المغربية عن التطور المجتمعي الغربي وعملوا على توزيعها وتصديرها إلى دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية . وفي الحقيقة تكمن فاعالية الغرب ليس فقط في إنتاج وتصدير السلع والتكنولوجيا بل في إنتاج وتصدير الأفكار والنماذج والمناهج التي تخدم المصالح الغربية . وقد أدى اعتماد هذه المناهج ، والعمل على أساسها ووصفها بأنها عقلانية وعملية وحتى أخلاقية من قبل قادة العالم الثالث ونخبة المفكرة ، إلى اندماج أكثر في اقتصادات السوق الغربية وإلى وضع أكثر انتكالية و مدینونیة من ذى قبل . وبهذه الطريقة يخدم المتفقون وصانعوا السياسة بيان الحكم الاستعماري المباشر وهي دمج المصير العربي دمja مباشراً في الاقتصاديات الغربية . هذا يعني بكلمات أخرى ، أن التحول الاجتماعي الاقتصادي العربي لا يتولد أو يسير ذاتياً بل يعتمد على المتغيرات في اقتصادات السوق الغربية .

◆ الدعوة إلى الاستغراب يمكن أن تكون المخرج من هذا المأزق أم أن التحرر

الوطني - كما قال لنا الدكتور مصطفى صفوان - هو الذي يفضي إلى تأسيس مثل هذا الاستغراب الذي تدعوه له ؟

● في اعتقادى أن ما يحتاجه العرب لمواجهة هذا الإنتشار الغربى فى المجتمع العربى لا يتمثل فقط فى الأيدلوجيات المناهضة للإمبريالية - كما أن هذه المواجهة لا ينبغي أن تقتصر على الحركات الرجعية السياسية - الاجتماعية أو فى العودة إلى الإيدلوجية والروزية الدينية وإنما فى الترويج الوعى للاستغراب وثقافة الاستغراب وخلق دراسة راقية عن الغرب (وحتى عن الشرق) .

◆ البعض يخاف من استخدام مصطلح الاستغراب لأنه ربما يفهمه أنه مماثل للاشتراق .

● الاستشراق كما أوضح إدوارد سعيد هو خطاب مطلق على ذاته وهو رهبة للسلطات الفكرية والسياسية التي أوجدهته كى يخدم باتهاربة صناع القرار الغربيين ويعبر عن اهتمامات الحكومات الغربية لذلك فالاستشراق يحمل فى مضمونه السيطرة والتحكم وحتى الاضطهاد للشعب الذى يدرسها ، أما ثقافة الاستغراب التى أطرحتها فيجب أن لا تكون الصورة المعكورة . ولا نهيج معرفة من أجل التحكم بشعوب الغرب بل هي ثقافة هدفها تحديد المشرق العربى والغرب على حد سواء . من هنا ستكون ثقافة الاستغراب نقداً للغرب (والشرق) لا مدحاه . وتشككها فيه لا تقليداً له ، وتفهمها للمشاكل الوجودية لشعوبه وليس عدائية تجاهه ، وثقافة الاستغراب ضرورية ليس فقط لأنها تودى إلى تفهم أفضل للغرب بل لأنها تعطينا المنظور الصحيح لهم مستقبل المجتمعات العربية

◆ من الذى يمكنه تأسيس ثقافة الاستغراب والانطلاق بها نحو الأهداف المرجوة منها فى تقديرى ، دراسة الغرب يجب أن لا ترك للصدفة أو تتم عشوائيا ، بل لابد أن تكون قراراً واعياً ومقصوداً من قبل الدول العربية . أو من قبل جامعة الدول العربية ، ويجب أن يشمل هذا القرار إنشاء وتجهيز مراكز ومعاهد ومكتبات للدراسات الغربية ، وأن يتم تكوين جيل جديد من المستعربين العرب كى يساهموا فى دراسة المجتمعات والتاريخ والثقافات الغربية . . . لقد حان الوقت الآن لذلك .



كرم خلـه  
حذار من المركـزية الشـرقـية



كرم نظير خله غادر مصر في عام ١٩٥٨ إلى ألمانيا وظل يعمل فيها حتى الآن وهو يقرن حالياً بالتدريس في جامعة هامبورج ، كما صدر له العديد من الكتب بالألمانية فضلاً عن نشاطه السياسي والإعلامي في ألمانيا الغربية دفاعاً عن القضايا العربية في وسط معاذ للعرب . وكانت السلطات الألمانية قد قررت إبعاده في عام ١٩٨٢ بعد مساهمته في النشاط ضد فزو إسرائيل للبنان ولبلحة صبرراً وشاتيلاً ، لكن دعم القوى الديمقراطية في ألمانيا منع السلطات الألمانية من تفويت قرارها بإبعاده خارج ألمانيا .. ومن هنا بدأ العوار معه ..

◆ من خلال معيشتك عن قرب ، لاجوء الحياة السياسية والثقافية والإعلامية في الغرب تزداد أن تستمع إلى تصوراتك حول الطريقة التي يتظرون بها إلى الثقافة العربية ورمزيتها وإلى العرب بصفة عامة ؟

● يمكنني أن أتحدث نقط عن غرب أوروبا وعن ألمانيا الغربية على وجه التحديد ، لأن هذه المنطقة هي التي أعيشها يومياً . منذ البداية أقول - وهذا ليس أكتشافاً من جانبي بل ممارسة يشاهدها الجميع - إن منطقة أوروبا الغربية منحازة في التناقضات العالمية وهي لا تبني قضايا العرب ولا تنظر إليهم إلا كمصدر للاستغلال والربح ، فالعرض العام للثقافة العربية في ألمانيا هو عرض مجحف ومعد خاصة في وسائل الإعلام الرسمية . ويمكن أن أضرب العديد من الأمثلة على ذلك وأخراجها عرض أوروبا عايدة في مصر وهو حدث في راتب لكن كافة أجهزة الإعلام قد سكت عنه تماماً أو تكاد لأن لا تزجد لديهم الرغبة في إظهار أن هناك أحدياً ثقافية ذات تأثير كبير تقام في بلد عربي مثل مصر ، هذا من جهة بينما من جهة أخرى تجد ترويجاً واسعاً للأعمال الروائية التي تعرض العرب في صورة سلبية . فاعمال الروائي الألماني كارل ماین في القرن التاسع عشر ( وهي تচمم مغامرات تعرض العرب بصورة سلبية ) لا زالت تطبع حتى اليوم ولا تزال تباع بكميات كبيرة في الأكتشاك . وأساطير لورانس العرب تجد من يأخذها على محمل الجد ، بل الأغرب من ذلك أنك تجد أسانثة جامعات يصدرون هذه الأساطير ويؤمنون فعلاً أن لوارنس العرب هو الذي خلق القومية العربية ، وهذه

النمادج التي نواجهها يومياً تثير لدينا الاستقرار فأنا صراحة ناقم على الشفافة الغربية في طريقة تقديمها للعرب وللثقافة العربية . برأي أن هذا الموقف لا ينم عن جهل أو عدم معرفة وإنما بناء على مبدأ سياسي معين . وأنا بصدق كتابة مقال عن صورة العرب في ألمانيا وغرب أوروبا ، لتوضيح كيف نشأت هذه الصورة السلبية للعرب وكيف نمت وتطورت .

◆ هناك انتباه واضح لدى كثير من المثقفين العرب إلى صورة العرب السلبية في أجهزة الإعلام الغربية بصفة عامة لكن بوصفك أستاذًا جامعيًا في أحد الجامعات الغربية نريد أن ننبع إلى تصوراتك عن هذه الصورة السلبية للعرب وتاريخهم وثقافتهم داخل المقررات التعليمية في مدارس وجامعات الغرب ذات الصفة الرسمية كيف يتلقى في تصموك ، الطالب الأوروبي صورة العرب ثقافة وتاريخاً ؟

● أنا لا أود أن أشير إلى المقررات التي تحمل تفسيرات مختلفة بل أشير إلى تلك التي تعبّر عن وقائع أو حقائق ، فمثلاً في أطلس الجغرافيا الاقتصادية لألمانيا مليئة بالمصانع ، الثروات ، الإنتاج والحضارة وعندما يأتي الطالب إلى منطقة العرب يجد صورة يدوى يسخر جمالاً أو راع يسخر خلف أغنامه أو راكب حمار ، أو أ��واخ متناثرة في صحراء شاسعة ، بحيث ينشأ وعى لدى الطالب منذ الصغر أن العرب هم مجموعة بدؤ يرتدون جلابيب ولا يفهمون شيئاً في الدنيا . وفي كتابي الجديد - باللغة الألمانية - عن تاريخ الشعوب العربية أشرت إلى فقرات كثيرة من هذه المقررات التي تهزا بالعرب تاريخاً وحضارة ، فالطالب في ألمانيا يقرأ مثلاً في أحد المقررات وصفاً عن العرب عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ثم يقولون إن العرب في ما بعد لا يختلفون عن العرب في ذلك الوقت .. أيضاً في المقررات التعليمية التي تتناول تاريخ العلم وتاريخ التطور العلمي في العالم لا تجد غير التركيز على العلماء الغربيين ، أما من سبقهم من العرب فلا أحد يتحدث عنه ... وهكذا يقدم للأوربيين ثقافة الصمت عما هو إيجابي لدى العرب والترويج في الوقت نفسه لمن يسيء إليهم .

◆ إذاً كيف تفسر هذا الحديث الممل في الغرب عن أهمية الحوار مع العالم العربي ؟

● إنهم يقصدون بالحوار العربي - الأوروبي شيئاً مختلفاً عما نقصده نحن . في ألمانيا ، على سبيل المثال ، توجد لجنة مشتركة مع كل دولة عربية يصل عددها إلى مائة . وتضم اللجنة المصرية الألمانية وزيري الاقتصاد والمالية ووزيري الخارجية ورجال الأعمال والبنوك والمستثمرين والمصדרين من البلدين . . . وهذا هو الذي يسمونه الحوار العربي - الأوروبي . وهي مسألة تلاعب بالالفاظ ، إذ أن مبدأ الحوار غير موجود . . . قد يكون حكماً قاسياً لكن هذا نابع من خبرتي اليومية . ولو سألتني منذ ثلاثين عاماً لسمعت مني مدحياً للغرب ، لكن مع طول مدة إقامتي ومع تكشف الحقيقة ومع متابعة الإعلام الألماني يزداد استيائي يوماً بعد يوم . نعم أنا ملىء بالعواطف ولا أستطيع ان انكر ذلك لكن نسقي مني على معرفة موضوعية علمية وعلى معرفة دقيقة بأجهزة الإعلام وبالمقررات التعليمية هنا . . . لكن نسقي أيضاً لا يقتصر على وسائل الإعلام الألمانية بل يشمل وسائل الإعلام العربية . ففي برونا وحدها توجد ٢٠ سفارة عربية وأغلبها لديها قنصليات في العديد من المدن الألمانية فضلاً عن مكتب الجامعة العربية . ومع الاستف كله لا يقومون بدورهم على الوجه الأكمل .

◆ يوصلك أستاذًا جاصعاً في إحدى جامعات ألمانيا تزيد أن تسمع وجهة نظرك في هذا التناقض السائد في معظم العواصم الغربية ما بين حديث يغنى بالبحث عن الحقيقة وال موضوعية واحترام حقوق الإنسان وما بين ممارسة مناقضة لذلك . كيف تفسر هذه المفارقة بين حديث لا ينتهي عن احترام الحقيقة وحقوق الإنسان بينما عندما يكون الأمر متعلقاً بالعرب فإننا نجد هذا الحديث يتوارى تدريجياً . كيف تفسر اشتاه الوعي الغربي هذا ؟

● أنا متفق معك في ما تقول وأرى فعلاً أن هنا تناقضاً حقيقياً في أوروبا الغربية . وهو تناقض يعكس انهياراً واضحاً للقيم . أنا لا أريد أن أمجد العالم العربي لأن فيه نقاط ضعف كبيرة . ولو أن الموضوع هو نقد المجتمع العربي لسمعت مني الكثير . لكن حسب رأيي إن بعد القيم موجود في العالم العربي ، على الرغم من كل المأس ونقاط الضعف التي يعيشها . الإنسان العربي لديه قيم ثابتة يحترمها بينما الامر في أوروبا

مختلف تماماً، لكنني في الوقت ذاته أريد أن أكون حذراً عندما أتحدث عن أوروبا الغربية ل أنه توجد فيها قوى تناضل من أجل السلام وحركة ديمقراطية ، من دون شك لكن للأسف الصوت المسموع فيها هو صوت الإعلام الذي لا يحترم القيم والذى ليس لديه قيم يحترس على احترامها. والأمثلة على ذلك عديدة . ففي المانيا يوجد العديد من الصحافيين «النحوم» الذين ينشرون عن البلاد العربية من دون أن يعرفوا أى كلمة عن العربية، ولا أعرف كيف يأتون بهذه الأخبار التي يتهددون عنها . هناك صحافي ألماني مشهور يدعى «شول لاتور» ألف كتاباً عن البلاد العربية واعطاه عنوان : «الله مع الصابرين» ويريد أن يعطي للقراء بدءاً من العنوان صورة عن العرب تثير الفضول منهم وتصفهم بأنهم لا يفعلون شيئاً ، بينما هذا المؤلف لا يعرف في الواقع كلمة عربية واحدة . فكيف يستحق معلوماته ، وكيف يصدق في من نقل له الكلام الذي يرويه . والغرب أن هذا الكتاب ثم ترويجه بصورة خالية ، ولا يغيب اسم مؤلفه عن أجهزة التلفزيون أو الصحف أسبوعياً . وانتظر ما في هذا الكتاب الذي يعلم الألمان كيف ينظرون إلى العرب هو أنه ينشر «نظريّة جديدة» تقول إن الذي يهدد السلام في العالم ليس حسب رأيه القبيلة الذرية أو الصواريخ المنتشرة في أوروبا أو التسابق على التسلح والجوع بل الذي يهدد سلام العالم ، أولاً هي المقاومة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني في العالم . وأنه قد يأتي يوم يغلق فيه العرب حفنة البرول على أوروبا الغربية .. وللأسف فإن كثيراً من الصحافيين فقدوا الإحساس بالحقيقة وأن ما يكتبهن عن البلاد العربية لا يتفق مع مبدأ احترام الحقيقة .

◆ الا تعتقد أن هذه الأحكام المسقطة في أوروبا عن العرب قد لا تشجع على وجود تفاهم وتواصل بيننا وبين هذا «العالم الحر» !

● نعم الأحكام المسقطة عقبة كاداء ، لكن لا ينبغي أن نستسلم .

◆ أريد أن أقول ، إذا كانوا لا يريدون أن يفهمونا ويصررون على سوء فهم متعدد ، فلماذا نسمى نحن للحوار مهم؟ لماذا لا نترك مسألة الحوار جانبًا حتى يعيد الغرب تصحيح وعيه بنا من جديد ؟

في الغرب هناك القوى الرسمية السائدة وهناك أيضاً قوى ديمقراطية . لا بد أن نعرف أن هناك قوى كثيرة في أوروبا مهتمة بالتفاهم معنا .

#### ◆ كيف تعامل إذاً مع عالم تتغلب فيه بالاحكام المسبقة ١٩

● هذه عملية صعبة للغاية ، فظهور الحقائق بشكل إيجابي ومتقن هي عملية بالغة الأهمية . في البداية فكرت أن على الطلاب العرب أن يقطعنوا جامعات الغرب لكنني توصلت إلى أن هذا رد غير حكيم . ففي أوروبا تراكم علمي لم يأت بالصدفة بل جاء نتيجة استغلال إمبريالي لعدة قرون . وبالتالي علينا أن نستفيد من هذا التراكم العلمي حتى نرفع من مستوى العلوم عندنا بدرجة تغيينا عن جامعاتهم وتجعلنا عند مستوى التبادل العلمي . عندي أمل وتفاؤل ، لكن المشكلة لا زالت قائمة ، أى كيف تحمي الكادر العربي في أوروبا الغربية من التشويه وتغيب الملامح وأن يظل محفوظاً ببناته وقيمه ...

◆ كتابك الأخير عن تاريخ الشعوب العربية - باللغة الألمانية - هل هو موجه إلى القارئ الألماني من أجل تغيير الصورة المرسومة عن العرب وتاريخهم ، أم أن له أهدافاً أخرى ؟

● هناك عدة أسباب دفعتني إلى كتابة هذا الكتاب . أولاً هناك سبب مباشر هو أنه لا يوجد في الوقت الحاضر كتاب شامل عن العرب باللغة الألمانية . هنا كتابان فقط وقد نفتدا وبالتالي لا يوجد الشخص الألماني الذي يريد أن يعرف إلى العرب وتاريخهم كتاباً كي يقرأه . وهناك أيضاً طموح علمي بغض النظر عن أن الشعوب العربية قريبة من كلٍّ وارتباطي العاطفي بها فعندما تسمع آراء خاطئة يتكون لديك الحافز أن تكتب الأشياء الصحيحة عن هذا الموضوع . وهذا ما دفعني إلى تقديم وجهة نظر أخرى عن تاريخ العرب . وأبدأ كتابي بالتاريخ للعرب منذ الـ ١٠٠٠ سنة فمن الإيجاب أن يتم تصوير تاريخ العرب انطلاقاً من الـ ١٣٠٠ سنة الأخيرة ، وأنا بقصد اكتشاف مسائل عظيمة في تاريخ العرب قبل الإسلام . مثلاً ظاهرة المتنى هي ظاهرة في متنه الأهمية ، إنها ظاهرة لا تخلط فقط من الناحية العددية بين المفرد والجمع ، بل هي تغير عن

إحساس جدلی قوى ، فالعدد لدى العرب في منتهی الاممية أيضاً في الفلسفة المادية عند قدامی العرب . وقد أعطیت مساحة كبيرة في كتابي لهذا المجتمع العرب القديم . في تعاملی مع التاريخ العربي تجمعت لدى اكتشافات وتراث علمي وأصبحت عندي نظرية واضحة وهذا ما دفعني لتدوین هذه الملاحظات بشكل منهج بالنسبة لفترة الإسلام في تاريخ العرب فقد كشفت الافتراضات على العرب خاصة أن هناك اتجاه في أوروبا الغربية يميل إلى إظهار العرب بصورة مختلفة ومتاخرة وأن سبب ذلك يعود إلى الإسلام . لكن هذا غير صحيح ولا بد أن ثبت لهم نقيض ذلك .

◆ هناك بعض المستشرقين يتساءلون : لماذا لا توجد دراسات شرقية عن الغرب مثلما هناك دراسات غربية عن الشرق . ماذا تقول عن هذا السؤال !؟

● ما هو الاستشراق أولاً ؟ليس هو علم أنتجه الاستعمار والإمبريالية . جامعة هامبورج ذاتها والتي أعمل فيها كان اسمها الأصلي عندما تأسست منذ ٧٠ سنة هو «المعهد الكولونيالي» فالمسألة واضحة تماماً إذ ثمة ارتباط بين تاريخ الاستشراق وتاريخ الاستعمار . لكن كون بعض المستشرقين اليوم لا يخدمون الاستعمار ، فإن هذه مسألة أخرى لم تغير من الاتجاه العام للاستشراق . فالاستشراق يخدم إلى اليوم الأهداف الإمبريالية بوسائل مختلفة ، فإذا زرت أحد هذه الأقسام الاستشرافية متوجههم يقسمون العالم العربي إلى طائف وفتات ، فمع الاستشراق لا تجد شيئاً اسمه اليمن بل الزيديين ، ولا تجد شيئاً اسمه لبنان بل السنة الشيعة الموارنة ، وعشرين طائفة وطائفة . وعكضاً يظهر هدف الاستشراق وهو تفتيت القومية العربية وتدعيم الطائفية ، الغريب أنهم عندما يدرسون بلادنا يسمون ذلك استشراقاً وعندما ندرس نحن الغرب يسمون ذلك دراسة العالم والمدنية والحضارة .

◆ ومع ذلك دعني أسائلك ، هل هناك فعلاً دراسات شرقية إزاء الغرب ، هل تعتقد أننا قمنا بهذا الاستغراب ؟

● توجد دراسة الأدب واللغات الغربية في جامعاتنا .

♦ لا .. أقصد دراستها من خلال وجهة نظر شرقية وليس كما هي

● لا ، لدينا وجهة نظر إنسانية . نحن لا نملك هذا التفكير العنصري الموجود في الغرب . العنصرية في رأيي مرتبطة بالإمبريالية ، مرتبطة بالنظرة من أعلى إلى أسفل ، وإذا كان لدينا من ينظر إلى الغرب نظرة بداعية مرتبطة بالجهل وليس بالاستغلال كما هو الشأن مع الإمبريالية العالمية ... ففي بلادنا ندرس الهند والسودان وفرنسا والمانيا وفي إحساس كل منا أن بلدانا تكون أجزاء من حضارة إنسانية ، أما الباحث الغربي عندما يدرس مصر أو السعودية فإنه يشعر أنه أمام مجتمع بدائي ويدرس هذا المجتمع من أعلى إلى أسفل وهذه النظرة العنصرية لم تتم بعد .

♦ في هذه الحالة هل تعتقد أن موقفنا هذا سليم ، أي أنا ندرسهم بروح إنسانية في الورقة الذي لم تتم فيه نظرتهم العنصرية إلينا !

● أجيبي بنعم ولا . نعم من ناحية أن فرنسا ليست فقط نابليون والاستعمار والإمبريالية بل فيها أيضاً تراث ديمقراطي وثورى ، ومن أجل هذا لابد أن تستمر نظرتنا . وأجيب في الورقة نفسه بـ «لا» عندما أذكر دور فرنسا الاستعماري . لذلك أدعو دائماً إلى أن يكون هناك تعليم وتدرис في مدارسنا وجامعاتنا لا يغاضي عن الدور الاستعماري للدول الأوروبية . وأن يكون تعاملنا واعياً ، وقد أشرت في كتابي «تاريخ الشعوب العربية» إلى أمثلة من كتب التاريخ التي تصور اعتداءات الدول الأوروبية على شعوب أخرى بأنه «حملة استكشافية» ، بينما عندما يكون الأمر متعلقاً بالعرب فإنهم يستخدمون أسوأ الصفات . لكنني ذكرت هذه الأشياء لأقول إن العنصرية ما زالت موجودة في الغرب لكنني لا أدعو إلى مجايبتها بعنصرية مضادة بل موقف إنساني . نحن مثلاً ندين الظلم والتعدّي والهمجية والتشكيل بنا ولكن لا ندين الفرنسي كفرنسي أو الألماني كالماني .

♦ أنا متفق معك في أنه لا ينبغي أن نواجه العنصرية بعنصرية مضادة ، لكن من جهة أخرى فإن الدعوة إلى وجود دراسات شرقية عن الغرب تتطلب من واقع أن العالم

منقسم فعلاً إلى حضارات وثقافات مختلفة وبالتالي - بغض النظر عن العدول المباشر للكلامات الاستشراق والاستغراق - من الطبيعي أن تكون هناك وجهة نظر تقابل الاستشراق أى دراسات من الشرق إزاء الغرب . فلماذا لا تقبل المسألة في هذا النطاق وليس في نطاق أنها دعوة عنصرية لمواجهة عنصرية الغرب . لماذا أدرس الثقافة الغربية كثربان وأنا شرقى عربى . ألم تقل فى بداية الحديث إن القيم ما زالت تلعب دوراً رئيسياً في المجتمع العربى . لماذا لا تظهر إذا هذه القيم في نظرتنا للغرب ؟

● أولاً فاتنى أن أعلق على قول بعض المستشرقين الذين يقولون - كما ذكرتلى - لماذا لا يوجد استغراق كما أن هناك استشراقاً . وفي الواقع اعترف بأنى منحاز ولست محايداً في هذه القضية . ففى أوروبا الغربية تركيز للثروة العالمية عبر قرون من النهب والاستغلال ، ولديهم أيضاً تراكم هائل للمعلومات وهذا لم يأت صدفة ، وعندهم إمكانيات للسمعة أكثر منا ، وثانياً أنا أقدر المقهور ولا أقدر القاهر ومع ذلك أجزأ على القول بأن لدينا كثيراً من العلماء والمفكرين والصحافيين يتذمرون الدقة تماماً في حديثهم عن الغرب أكثر من «الموضوعية» المترفة لدى أقرانهم الغربيين . فالعالم مقسم حالياً إلى دول غنية بصورة فاحشة ودول فقيرة بصورة لا تصدق . وهناك واحد من الاثنين ، إما أن يقصى الفرق بين الغنى في الشمال والفقير في الجنوب ، وإما أن يستمر ظهر هذه المساعدة والتزويج لنظرية عنصرية تقول إن الإنسان الغربي إنسان ذكي ، مستفید ويعرف كيف يستفيد من الطاقة ، بينما العرب كالي وغير ذكاء ولا يعرفون كيف يستفيدون من الطاقات المختزنة لديهم ، وذلك سبب فقرهم وعسايهم ، الأمر الذى ينصل إلى المواطن الأوروبي مقومات العنصرية منذ الطفولة ، أما بالنسبة إلى الدعوة إلى دراسات شرقية إزاء الغرب فلما متفق مع هذا لكن أريد أن أشدد على التقسيم والاستغلال بين دول غنية ودول فقيرة قبل التشديد على التقسيم الجغرافي بين شرق وغرب .

◆ الدعوة إلى دراسات شرقية لا تخفي استغلال الدول الغنية الدول الفقيرة بل هي دعوة لإظهار إن لهذا الاستغلال الاقتصادي وجهان ثقانياً أيضاً ، وأرى أن الدعوة إلى دراسات شرقية (استغراق) هي ترسيخ أكثر قوة وعمقاً لمسألة الاستغلال وذلك من دون الوقع في فخاخ العنصرية أو التشويه .

● أنا متفق معك في أنه لا ينبع علينا أن نقع في (الفتح) الذي وقعوا فيه وأن نقول كما تعودنا في الاستشراق علينا أن نعادهم في الاستغراب (دراسات شرقية)، وأن لا نقع في فخ رؤية التاريخ الغربي على مقاييس خاصة بنا من خلال مركبة شرقية أو عربية كما يفعل الغربي الذي يقتربتنا كلما تحدثنا مثله أو ليسنا مثله . . .

◆ نعم الدعوه إلى دراسات شرقية عن الغرب (استغراب) ليس طموحها أن تكون أخطاء الغربيين أو عصريتهم . إنها دعوه إلى الوعي الذاتي والانطلاق من إطار ذاتية للمعرفة وليس من إطار عامة مطلاقة، أنه دعوه إلى إعادة تأكيد الأسس والمراجع الذاتية للثقافة العربية فعندما أدرس المجتمع الفرنسي أو غيره هل أدرسه كثرنسي أم كثرني؟ أم كثريني؟ أم كثريني؟ هل هذا سؤال خاطئ؟ أم صحيح؟

● ليس خاططاً ، وأضيف أن التجدد عن هذه الأسس الذاتية هو اغتراب ، كما أن الإنسان برغم أنه لا يستطيع أن يففر على ظله إلا أن هذا يحدث أحياناً في بلادنا .

◆ في هذه الحالة أنت تكتب التاريخ انطلاقاً من أهداف معينة تزيد تحقيقها ، وبالتالي .. هل يمكن أن تقول إنك تخلصت من وهم الكتابة العلمية المحاجة ؟

● منذ بداية تكويني العلمي ونحن ندرس أن العلم محايد لكن مع تطورى العلمى والمعزى بدأ أرفض هذه النظرية . والغريب أن غالبية الأساتذة في الجامعات الألمانية يرغمون شعار الحياد العلمي بينما إذا نظرنا إلى حياتهم العلمية ولناتهم سنجده أن كلمة حياد لا معنى لها . فهم محايدون طالما تتفق مهمهم في الحكم السادس . والطالب الذى يتقد الأوضاع يربض لاته غير محاید رغم أن الحقيقة تقول إن الأستاذ ذاته هو المنحاز وليس الطالب . وفي تصورى أن المدرسة التي كانت تجري زراء الحياد فى العلم قد سقطت نهائياً وذلك على الرغم من أن ٩٠٪ أكثر أساتذة الجامعات الألمانية لا يزالون يؤمنون بالحياد العلمي حتى اليوم . وأرى أن هناك فرقاً بين أحادية الجانب وإنحياز . أحادية الجانب عمل غير علمي لا يرى الجانب الآخر من الصورة بينما المنحاز عملاً يشاهد هذا الجانب الآخر ويرى التطور نتيجة الصراع ما بين الطرفين .

◆ هل وجهة نظرك بضرورة الانحياز تتطبق أيضاً على مناهج الكتابة التاريخية؟ معنى

هل نقول إنك تخلصت أيضاً من وهم هالعية المناهج في مجال العلوم الإنسانية ؛ وأطرح هكذا التساؤل ، لأن هناك كثيراً من المثقفين العرب لا يزالون يؤمنون بهذا الوهم ويعاملون مع المناهج كمناهج عامة واحدة تصلح في كل زمان ومكان ؟ ما شأننا ومرض - ولا أقول منهجه - التحليل النفسي المنتشر في الغرب ؟

● أنا متفق معك في أن طريقة تفكير هذا البعض الذي تقصده هي خطيرة فعلاً بل أقول إنها مأساة كبيرة عندما نعيد إنتاج الفكر الإمبريالي ليس عن طريق غزو من الخارج والذي يعيد إنتاج الفكر الإمبريالي ، ولابد أن نقاوم هذا ، وموضع منهجه يحتاج إلى منهجه . واحدى الظواهر الهامة للعلم في المجتمع الرأسمالي في الفترة الأخيرة هي أن كل النظرية المعرفية قد الغيت . جامعة هامبورج مثلاً بها خمسة آلاف محاضرة في الأسبوع الواحد ولا توجد محاضرة واحدة منها عن النظرية المعرفية . وإنما لا أرى في المستقبل القريب إمكانية تعويض هذه الناحية لأننا نفكرون ونكتب عن ضرورة إصلاح المقدرات ونلقي النظر لكن بدون أي تجاوب معنا . لكن أقول وأشدد باستمرار على ضرورة أن يعود العلم إلى وضمه في إطار نظرية معرفية معيّنة بناء على منهجه ولابد أن تكون هناك نظرية عامة للعلم الذي يدرس ... .

◆ هل تستطيع القول إن جامعاتنا العربية تلك مناهج عربية في البحث والتفكير في نطاق العلوم الإنسانية أم أنها جامعات مازالت بدورها غارقة في خراقة المناهج العلمية الحديثة الواقفة من هنا أو هناك ؟

● فلنكن صريحة مع أنفسنا ، فرغم الثراء العلمي الكبير لاجئات عربية إشغلت في البحث ورغم التراكم العلمي الهائل لعلماء عرب في أوروبا . لكن مع الأسف الشديد فإن جامعاتنا لا تزال تقوم بدور عملية إعادة إنتاج التفكير الغربي . وأعتقد أن تعريف "المركزية الأوروبية" ليس وهمًا بل حقيقة واقفة . نحن هنا في جامعاتنا العربية نردد ما يقال في الغرب ، والمنهج هو العربية والثقافة هي العربية والحضارة هي العربية . لكن أريد أن أؤكد ، رغم دفاعي المستميت عن العرب إلا أنني إنسان يشارك في صفة الإنسان

مع كثير من البشر في أنحاء المعمورة فلانا في شخصية واحدة مثل: الوطنى المصرى والقومى العربى والإنسان العالمى وليس هذه أشياء متعارضة بل هي أشياء تكمل بعضها ، ليس لدى اتجاه أننى عربى مميز عن الأفارقة أو عن البشر عامة. نحن نتميز فقط عنهم لأننا أصحاب قضية ومقهورون وأرضنا مسلوبة . أنا نتسير عن الآخرين بحكم أننا ضحايا . لكن عندما يتنهى هذا الاضطهاد يتنهى التمييز . نعم هناك إنتفاء عربى .. هذا موجود ، إنما نحن أيضاً جزء من البشر لسنا أعلى منهم ولا أقل منهم كذلك .



أنطوان المقدسي  
للغرب دائمًا وجهان



أنطوان المقدس أحد أبرز المثقفين السوريين والعرب املاعاً على الثقافة الغربية ، وسهامه في مجال التأليف والترجمة ترك ثماره الواضحة في إنجازات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بسوريا ، وكان من أوائل الذين قاموا بالتعريف بالتيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية في عواصم الغرب الكبرى .

شارك أنطوان المقدس في الكثير من الندوات الهمامة والتي عدداً من البحوث المتميزة ، من أشهرها دراسته عن "الصورة السرية للحضارة الغربية والاستجابة لها" عام ١٩٨٣ ، وهي دراسة رائدة في ميدانها ، وتعتبر أقرب أعماله إلى موضوع كتابنا الباحث ، من خلال الحوار مع مفكرينا العرب ، عن تجديد موقفنا من الغرب اليوم .

التقينا أنطوان المقدس في العاصمة التونسية عام ١٩٨٨ أثناء انعقاد ندوة "العقلانية العربية" ، وقبل أن نحاوره بقصد دراسته الشهيرة عن صورتنا للغرب ، طرحتنا عليه أولاً السؤال الذي يتعدد من وقت لآخر على السنة بعض المستشرقين :

◆ بعض المستشرقين ، والإعلاميين الغربيين ، يقولون إن لدينا - نحن العرب - سوء فهم وعدم دقة في إدراك وتصور الغرب ، وأنت لا تملك دراسات وأبحاث عن الغرب توازي ما أنتجهو من دراسات وأبحاث عن الشرق ، ماذا تقول عن هذا الكلام ؟

● نحن صورتنا عن الغرب أصح وأدق من صورتهم لنا . انظر إلى كتب التاريخ في المدارس الغربية غالباً ما تجدها تشوّه صورة العرب . بينما كتبنا أكثر إنصافاً بكثير من كتبهم . لذلك أنا أعتبر هذا السؤال الذي يطرحه بعضهم سؤالاً لا معنى له ، لأننا - نحن العرب - نعتبر أن الغرب أكثر تقدماً منا . ونذهب إليه لكن نقتبس عنه أصول الحضارة الحديثة ، وتقول دوماً : إن الغربيين اقتبوا في الماضي عنا ، ومن حقنا أن نأخذ منهم . كما نقول إن الحضارة الغربية ظاهرة عالمية وليس ملوكاً لأحد ، ومن المؤكد أننا نعرف عن الغرب ، أو عن أوروبا بشكل عام ، أكثر بكثير مما يعرفه الأوربيون عنا . إلا أن الغربيين درسوا تاريخهم بعناية ، أما تاريخنا فقد بقي مجهولاً لنا

بسبب قرون الانحطاط التي أوقفت مفكرينا وأدباءنا عن الكتابة . . .

بالطبع قد نجد بعض النماذج الهمة في كتب كبار المستشرقين مثل : استشهاد الحجاج لمسينيون ، وكتاب ليفي بروفنسال عن الأندرس ، أو كتاب بروكلمان عن تاريخ الأدب العربي . . وقد يجوز التساؤل هل كتبنا نحن مثل هذه الكتب عن شكسبير وهو جو وغيرهم من أدباء ومفكري الغرب . ربما تكون الإجابة في اللحظة الراهنة بالنفي لكننا مع ذلك في طريقنا للنهوض ، ويدلنا بمعالجة أمور أساسية عن الغرب ذاته ، فمثلا وضع أحد مفكرينا كتاباً عن " المرأة العربية في الملحم الأوروبية في القرن الوسطى " . مما يدل على أنه درس بعنابة فائقة اللغة اللاتинية ولغة القرون الوسطى . كما أن وهب عطا الله قد وضع كتاباً مرجعياً عن " أدوبيس في الأدب اليوناني " ، وهو اليوم من المراجع العلمية ، ومع تقدمنا في هذا الاتجاه يمكن أن تكتب أشياء كثيرة عن الغرب وعن أنفسنا وتكون مفيدة لنا ولهم . لكنني أكرر ، مرة أخرى ، أنا نعرف عن الغرب أكثر بكثير مما يعرفه عنا ، لأن أغلب المثقفين العرب يجيدون لغة أو أكثر من هذه اللغات الأوروبية ، قراءة وكتابة ، في حين لا نعرف إلا قلة قليلة من المستشرقين ، منهم أندرية ميكيل مثلاً ، من الذين يكتبون باللغة العربية . وهذا الجهل باللغة العربية هو الذي يجعل المستشرق يخطئ ، ويدفعنا إلى انتقاده عن حق . فهناك أمور دقيقة في كل ثقافة لا يدركها ابن الثقافة الأخرى إلا من عاش زماناً طويلاً مع عالم هذه الثقافة وأجاد الكتابة بلغتها . ومن ثم ، فإن مدارستنا كلها وبكل درجاتها ، أى من الصور الابتدائية إلى الجامعية ، تدرس تاريخ أوروبا ولغاتها ، في حين أن اللغة العربية وأدابها لا يدرسها من الأوربيين إلا المتخصصين .

◆ يقولون إنه لا يوجد نظام من البحث العلمي المنهجي والمنظم فيما يتعلق بدراسة الغرب من جانبنا ، وأن ما هو موجود ، محوارات فردية متاثرة هنا وهناك ؟

● لقد بدأت تتكون الآن هذه التقاليد البحثية العلمية . في العام ( ١٩٨٨ ) اشتركت في مناقشة ثلاثة رسائل جامعية ، بجامعة دمشق بقسم الفلسفة ، الأولى عن برجسون ،

والثانية عن سارتر ، والثالثة عن البيهيين الفرنسيين ( ليفي شتروس ، ميشيل فركوه ، لوى التوسير ) ، وعدد الرسائل التي تكتب عن قضايا غربية أو أوروبية في جامعتنا أضعاف ما يكتبه الأوروبيون عنا . وهذه بداية ، ولا تنس أن أغلب الجامعات العربية تعود في نشأتها إلى نصف قرن ، في حين أن معظم الجامعات الغربية تأسست في القرن الثالث عشر أو بعد ذلك . ولهذا فاعتراف السيد المستشرق ساقط ، ولا معنى له ، ولبعذربن إذا كت قاسيا . وإنما لا إنكر أنه يوجد بين المستشرقين عدد من اتسعوا بزيارة كاملة ، ولكن يوجد بينهم مع الأسف من يكره العرب ، ويحقد عليهم ، ويحاول رغم علمه الوفير ، أن يسرز فقط مثالיהם ، وأنا أعرف بعضهم شخصيا ، ولا الوجه ، فالناس أنواع ، في أعلى المستويات الثقافية ، وفي أدناها ، بين العوام والخبطة ، والإخلاص يقتضي أن نقول دوماً ما لنا وما علينا . فنحن أمّة في مرحلة تعيّد تكرين نفسها ، ومراحل التكرين دوماً صعبة . وتأمل في المستقبل القريب أن نصل إلى المستوى الجيد الذي نرضاه لأنفسنا . وعلينا ، من جهة العرب والغرب ، أن نرى دوماً في الآخر الجانب الحسن وأن لا نترسل مع المهازرات .

◆ الا ترى أن العالم العربي والإسلامي يشهد الآن بدايات صورة جديدة عن الغرب غير تلك المأثورة عنه في ثقافتنا الحديثة ١٩

● لا أعتقد أولاً أنه توجد صورة واحدة عن الغرب عندنا . هناك صور كثيرة تبدلت بتبدل المراحل التاريخية . فمن الطهوطاوى مثلاً وعلى مباركه إلى شبل شميسيل توجد مسافة زمنية قصيرة ، ولكن المسافة في فهم الآخر كبيرة جداً . والمواطن الجزائري العادى كانت له قبل الاستقلال صورة عن فرنسا . واليوم تجد مع الأجيال الجديدة صورة أخرى . وبالجملة لقد اعتبرنا نحن العرب ، في بداية هذا القرن ، الغرب نموذجاً للحضارة وللأخلاق الرفيعة ، ولكن مع الأسف أسرع الغرب بتكليب ذاته بعد سنوات قليلة في عام ١٩١٦ وهو عام اتفاق الشريف حسين مع مكمانون وهو عام اتفاقية سايكس بيكو ، التي اقسمت المنطقة العربية بين إنجلترا وفرنسا وبعدها بقليل معركة

ميسلون . . . الخ . إن للغرب وجهين ، وجه استعماري ، وآخر ثقافي إنساني ، ويمكن تصفييف الغربيين بين هاتين السفتين . فلا يمكن إلقاء حكم واحد أو صورة واحدة . فضلاً عن أن كل إنسان يَكُون صورة ما عن الآخر وفقاً لمزاجه ووضعه . فالآديب غير الدارس ، يطلب الخيال الذي يذهب أبعد من الواقع ، وستبقى علاقتنا مع الغرب علاقة مد جزر ، صعود وهبوط ، حتى تستقر البلاد العربية وتحصل على حقوقها .

◆ قلت إن صورة الغرب عننا ليست واحدة . وأعددت دراما عن «الصورة العربية للحضارة الغربية والاستجابة لها» . فما هي هذه الصورة ، بالنسبة لك وكيف تكون : وما هي المراحل التي تمر بها ؟

● الصورة بشكل عام ، كما أوضحت في دراستي ، ليست كياناً ثابتاً ، كما أنها ليست مجموعة أشكال وألوان وحسب ، بل هي وجه من أوجه رد فعلنا على فعل الآخر ، وقد تكون فعل الإبصار ، الذي به ندرك الآخر ونجلده ، والصورة هي رؤية أيضاً تتحقق عبرها لأنفسنا مثلاً للآخر ، تبرز فيه مواطن القوة ومواطنضعف أو بالآخر ما نعتقده كذلك . والرؤية ، كما أراها ، هي فعل جماعي ، عفوي ، سابق على التحليل ، تتألف من مجموعة الصور والتصورات والأحكام والمعتقدات والأعراف والعواطف والانفعالات والأساطير ، التي تلخص فسي ذهن شعب ما شعراً آخر : ويترجمها هذا الشعب عملياً في مواقف وحركات . . . وسلوكيات جماعية ، حتى لو قام بها فرد واحد . وهي ذات مستويات متعددة وت تكون أول ما تتكون في الشعور ، وعندما تزول الملابس التي استدعتها ، تواري مخالفة وراءها ترسيات ، هي مركبات انفعالية تراكم في اللاشعور حيث تحول إلى قوة متجورة مكتوبة تعود إلى العمل عندما تستدعيها الأحداث ، فتائجها تفاجئ العالم كله ، لأنها لا تدخل في أي إطار من إطار الفلسفات التاريخ ولا أي إطار تفسيري آخر . . .

● والصورة تمر أثناء تطورها بمراحل ثلاثة ، في تصورى ، هي أيضاً من مستويات

وجودها : الأولى جماعية تكون معها المchorة عفويًا إثر الاتصال الأول بين شعب وشعب وتغير الجماعة عن هذه الصورة ، بالأختناس الأدبية الخاصة بها ومنها الحكم الشعبية والكلمات المأثورة والأساطير والحكايات . . . والثانية فردية تختلف مما يكتبه كتاب شعب عن شعب آخر ، وبهذا يتاثرون ويتؤثرون في الرؤية الشعبية . فيعبرون عنها وفي الوقت ذاته يعبر كل منهم عن وجهه نظره . . . والمرحلة الثالثة تبدأ في زمن النقد الذي يأتي متأخرًا ، عندما يتناول التحليل المنهجي صور فتورة زمانية مضطّلة وانقضت ، فيُضيّع كل صورة في إطارها ليبين أنها فقدت مسوغات وجودها ، وبهذا يخلع عنها هالتها السحرية ويفرغها من شحنتها الانفعالية . . .

◆ دراستك عن «الصورة العربية للحضارة الغربية» . هل يمكن أن نقول إنها تمهد ، في ثقافتنا ، إلى هذه المرحلة الثالثة التي تتحدث عنها تحت عنوان «زمن النقد»؟

● في الحقيقة مرت الصورة العربية للغرب بثلاث مراحل ، هي مفاصل تاريخنا السياسي في عصر النهضة ، أي منذ غزو نابليون لمصر (١٨٠١-١٧٩٨) إلى أيامنا . الأولى وتمتد حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وقد رافقته بدايات الاستعمار والتحديث ، والثانية هي مرحلة ما بين الحربين ورافقت توسيع الاستعمار وحروب التحرير . والثالثة مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، أي مرحلة الاستقلال والثورة العلمية - التقنية التي حلّت محل الثورة الصناعية وواكبت تبدلات كبيرة في العالم كله تناولت القيم والبني والأيديولوجيات الموروثة . في المرحلة الأولى والثانية كانت علاقتنا مع الغرب وحده ، أي بالدرجة الأولى مع الدولتين العظميين إذ ذاك ، أما المرحلة الثالثة فازدادت الغرب إلى المرتبة الثانية وحلّت محله دول أخرى أكثر قوة منه بكثير ، واتسع العالم ، إذ شمل أقطاراً كانت مستقرّة فاستقلّت ، وكانت تعيش على هامش التاريخ فصارت من قوّاه . وتعددت مراكز القوى . . . فثمة الآن انقسام أوروبا إلى شطرين : الشرق والغرب ، العالم إلى جنوب قبیر وشمال غربى ، إلى دول منحازة وأخرى غير منحازة . . . وتساير صورة العرب للغرب تطور العلاقة بيننا وبينه ، فتبدل بتبدلها . .

◆ ماذا عن المرحلة الأولى التي أشرت فيها إلى الطهطاوي وتلخيص باريز ، ثم  
الصورة - البرنامج ، والصورة - المحاكاة ؟

● من المعروف أن الباكيير الثقافية الأولى قد ظهرت إثر عودة أول بعثة دراسية أوفدتها محمد على باشا إلى باريس ، ومن يومها إلى اليوم مابرج الغرب حاضراً بشكل أو باخر فيأغلب الكتابات العربية ، حيث قدم لنا الطهطاوى (١٨٧٣-١٨٤١) كتاب "تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز" ، الذى ظهر عام ١٨٣١ وأعيد نشره ثلاث مرات فى القرن التاسع عشر ، والذى يعتبر أول - وربما أكمل - صورة عربية للحضارة الغربية كما تبدي فى باريس ، التى كانت إذ ذاك أكمل نماذجها . فالكتاب يتضمن وصفاً غنياً بالتفاصيل لحياة الباريسيين فى جوانبها الاهم، أولًا السكن واللباس والغذاء .. ومن ثم التنظيمات الإدارية والدستورية . ويشدد الطهطاوى على الخدمات العامة التى لا مثيل لها فى بلاده كالمدارس والجامعات والمعاهد العلمية ، أو كالحدائق الواسعة المفتوحة للجميع ومرافق العناية بالصحة ومكافحة الحرقان ... يلى ذلك عرض مفصل للدستور والمؤسسات الدستورية التى تضمن للجميع حرية الرأى والكلام والتجمع والاعتقاد ... وكان الطهطاوى يحرص باستمرار على أن يقيم بينه وبين الحضارة الغربية التى يعجب بها ، فاصلاً يحمي شر الاندماج ، فيذكر لهذا الغرض من ترداد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والشواهد الشعرية وأخبار العرب .. ليؤكد هوئية الإسلامية - المصرية - العربية ... كما أنه يستخدم المعايير الإسلامية للكشف عن ثغرات الحضارة الفرنسية ، وأهمها الريا ، واستهتار الفرد بالقيم الأخلاقية والدينية وسهولة المرأة وتزلف الرجل لها ... ويطلق على الفرنسيين أجيانا اسم "نصارى" ، وهو يعلم أن قيمهم ومؤسساتهم لا علاقة لها بال المسيحية إذ ذاك . وكانت استجابة الطهطاوى لصورة باريس هذه سريعة المفعول ، فهو يشرع بالعمل من أجل تحقيق ما يمكن تحقيقه منه إثر عودته من العاصمة الفرنسية ، فيترجم ويؤلف ، وفي الوقت ذاته يشغل مناصب عليا في الإدارات الثقافية . ويؤسس "دار الألسن" التى ما تزال قائمة حتى الآن . ويبعد أنه كان يعدها لتكون بمثابة جامعة متخصصة في تعليم اللغات والتعريف بالحضارة الغربية .

◆ هذا عن "تلخيص باريز" . وماذا عن الصورة - البرنامج ؟

● يوسعنا أن نستخلص من كتابات مفكري النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين برنامجاً للإصلاح الاجتماعي مشتركاً بين أكثرهم ، وهو برنامج - صورة ، شكلٌ مجال اللقاء بيننا وبين الحضارة الغربية . أما الصورة بالمعنى الذي حددته فعلينا أن نبحث عنها في الحساسية العميقه التي تكونت لدينا عفويًا لدى جماهير ومؤمنين نتيجة اصطدامنا بالغرب وحضارته ، وتتألف هذه الصورة من قطبين متعارضين : الواحد نايد والآخر جايد ، فنحن كنا وما نزال نرفض بكل جوارحنا ، بكل كياننا ، المستمر ، وفي الوقت ذاته نشعر بشعور لا يقاوم أتنا مشدودون إليه .

◆ ما هي عناصر هذه الصورة - البرنامج ، الذي تحدثت عنه في دراستك ؟

● يمكن تجميع عناصر هذه الصورة - البرنامج حول أربعة محاور هي : محور الدولة المتمثل في تنظيم سلطانها وتحديد صلاحياتها ، وكان أول من اقترح نموذجاً إسلامياً للدولة الحديثة هو خير الدين التونسي ( ١٨٩٩-١٨١٠ ) .. وبالطبع لم يقبل إل dai الذي كان خير الدين وزيرًا له طوال أربع سنوات برأيه في هذا الشأن لأنها تحد من سلطاته ، وسلطة السلطان ، وكل منها يريدان سلطة لا محدودة ، أما المحور الثاني ، في هذه الصورة - البرنامج ، هو محور التصنيف ولم يصطدم بعقبات كالتى كان متوقعاً أن يصطدم بها تبديل بنية الدولة الموروثة عن قرون من الممارسة . ولكن كانت له صعوبات أخرى ، تجاوزها يحتاج إلى مشاريع طويلة الأمد . أما المحور الثالث فيتعلق بالبني الذهنية ، وغايته إحلال العقلية العلمية محل العقلية الخرافية الأسطورية السائدة ، واحتلت المدرسة المقام الأول بين اهتمامات رجالات النهضة كلهم .. أما المحور الأخير فى برنامجنا فهو تحرر المرأة ، الذى اهتم به أيضاً رجالات النهضة والمسلمون منهم بصورة خاصة لأنه كان يستلزم منهم التمييز بين ما يقبل به الشرح وبين ما يرفضه من أوجه التحرر الأربعى التي أخذ بها الغرب ودفع بها إلى حدودها القصوى على اعتبار أنها من مستلزمات الحضارة الحديثة وهي الحجاب والطلاق وعدد الزوجات وتعليم المرأة ..

◆ تحدث أيضاً عن الصورة - المحاكاة ♦

● نتيجة التطور الطبيعي الذي بدأ يتجاوز منجزات القرن التاسع عشر أخذنا نتلمس طريقاً إلى تصور جديد لذاتنا ، وللآخر وعلاقتنا به . في هذا السياق استبدل الخط التقديم ( شيل شميل ، فرج أنطون ) الصورة - البرنامج ، بالصورة - المحاكاة . وهذا ما سيفعله سلامة موسى بدرنليس ، علينا أن نتحدى الغرب كي نواجهه فتساوي معه .

◆ هناك أيضاً الصورة - التحدي ♦

● في الحقيقة كان المستفانون العرب ، على الخصوص الذين درسوا في الغرب ، يريدون ، على اختلاف اتجاهاتهم السياسية ، التفاهم مع الغرب لاعتقادهم أنه بموقفه الجغرافي والحضاري والتاريخي هو المسحاحون الطبيعي لنا ، وأن علينا أن نأخذ عنه ، بشكل أو بأخر ، ما يعفنا في نهضتنا . والغرب هو الذي أسر على الرفض ، حتى اقتلع من أرضنا بالقرفة . وما يرفضه على الضبط نقطه واحدة لا غير : الاعتراف بنا كذات ، والذات لها الحق بالاستقلال والسيادة على أرضها .. فالصورة - التحدي لها وجهان : الوجه الأول هو تصورنا لذاتنا ، أن تكون بمستوى العروبة أو لا تكون ، والوجه الثاني هو تصورنا لحضارة الغرب . أن تكون من مقاييسها أو لا تكون ...

◆ هناك من يتحدث عن شرق في مواجهة غرب ، وجنوب في مواجهة شمال ، ما مدى انطباق هذه التعبيرات في نظرك على واقع اليوم وصراعاته ؟

● ظهرت بين أواسط الثالثين وأوائل السبعينيات مجموعة من المؤلفات الروائية ( حوالي أربعين قصة قصيرة وخمس أو ست روايات ، على ما أعلم ) وعدد خسيط من الدراسات التحليلية يمكن جمعها - وقد جمعها بعض النقاد - تحت اسم الشرق والغرب ، وربما رجحت كفة شرق على كلمة عرب لأن الرواين استخدموها بهذا المعنى ، أو لشبيوعها بين الناس كمزادف لكلمة عرب ... كما نجد موضوع الشرق والغرب في

مجالات أخرى كثيرة غير الرواية والقصة . لكن في تقديرى أن زمان هذه التعارضات - المدرسة - قد مضى إلى غير رجعة ، فالحضارة التكنولوجية المبرمة توحد البشر في الكثير من أوجه وجودهم ... وبتعبير آخر علينا أن نفهم أن العالم تجاوز القرن التاسع عشر وصراعاته ومشكلاته ، فعلينا أن نظر إلى المستقبل والمشكلات التي سيفاجئنا بها . فالحضارة الغربية ذاتها التي شكلت في القرن التاسع عشر والتي حاربنا تقييداتها صارت كلاسيكية ، أي جديرة حقاً بأن تتقدّم وتفسر وتستعاد ولكن في إطار فلسفنة جديدة ، هي التي يبحث عنها الفكر الإنساني وهو في القرن الواحد والعشرين ، وتحل محلها ثقافات جديدة هي التي علينا أن نتطلع إليها .



**السيد ياسين**  
**فهمنا للتبعية مصدره الغرب؟**



كيف ندرس الآراء الشربية عن الشخصية العربية والتراث العربي؟ وأى مسافة تضعها بيننا وبين دراستنا لهذه الصور الشربية، أو بتعبير آخر .. كيف يوفق الباحث العربي بين متطلبات الدراسة «العلمية» وبين التزامه الوطني والقومي، وبصفة خاصة عندما يدرس صوراً وأراءً معادية؟ ثم ما هو موقع الباحث بصفة عامة من الموضوع الذي يدرسه في نطاق ما يسمى العلوم الاجتماعية أو العلوم الإنسانية؟

كانت هذه التساؤلات، وغيرها، محوراً رئيسياً في الحوار مع السيد ياسين ملير مركز الدراسات السياسية والأستراتيجية في الأهرام، والمحوار مع السيد ياسين له دلاته الخاصة، فنحن نتحاور مع باحث مارس هذه التساؤلات عملياً في كتابه الذي صدر للمرة الأولى تحت عنوان «الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلي والمفهوم العربي في عام ١٩٧٣»، ثم في كتبه الأخرى التي تالت في الصدور وصولاً إلى أعماله الأخيرة عن «المعنى التاريخي والثورة الكونية» و«الزمن العربي والمستقبل العالمي».

والسيد ياسين في كتبه الأولى والأخيرة، فضلاً عن محاضراته ومقالاته، يكشف عن متابعة ورؤية لما يصدر في الغرب، وقدرة على رصد التغيرات والتحليلات الجديدة لكتاب المنظرين في العالم، وهو عندما يقرأ ويرصد ويحلل لا يغيب عنه الواقع الذي يعيش فيه، وبالتالي كان الحوار معه ضرورياً في إطار تحديد وتتجيد موقفنا اليوم من الترب.

بدأنا الحوار مع السيد ياسين انطلاقاً من مفهوم الآخر لنا، وهو الرؤية الغربية السائدة في مراكز البحث الأكاديمى وأجهزة الإعلام الغربية عن مجتمعات الشرق قابلى السيد ياسين في بداية الحوار الملاحظة التالية :

- يتبع التمييز أولاً بين أعمال رصينة نجحت فعلاً في فهم مجتمعاتنا بعناصرها السياسية والثقافة والإجتماعية وبين أبحاث أخرى فشلت في تحقيق ذلك . أو أرادت عن وعي تقديم صورة مشوهة لهذه المجتمعات . في إطار التراث الغربي فى دراسة مجتمعات العالم الثالث وعلى وجه الخصوص الدراسات المكرسة للعالم العربي .

نستطيع التمييز ببساطة بين نوعين من الأعمال، أعمال علمية أكاديمية، الغرض منها الدراسة الموضوعية لهذه المجتمعات تاريخاً واقتصاداً وسياسة. وأعمال علمية، طابعها دعائى والغرض الصريح أو الكامن منها هو تشویه صورة هذه المجتمعات العربية . وأرى أن هذه التفرقة أساسية منذ البداية، وفي كتابي: «الشخصية العربية بين الذات ومفهوم الآخر» مارست هذا التمييز في التراث الغربي والإسرائيلي المكتوب عن العالم العربي بعد هزيمة ٦٧ . ومثال بارز على هذه الأعمال الدعائية دراسة هركابي الذى كان مديرأ سابقاً للمخابرات الإسرائيلية وهو الآن أستاذ علم النفس الاجتماعي في جامعة تل أبيب وله دراسة شهيرة انتقدتها في كتابي المذكور، وهي دراسة تعتبر مثلاً بارزاً على ما يطلق عليه دراسات علمية دعائية الغرض هدفها أساساً هو تشویه صورة المجتمع المصري والعربي . وأريد أن أحافظ بهذا التمييز بين العلمي والدعائى بالنسبة للدراسات الاستشرافية بصفة عامة، هناك دراسات لمتشرقين ممتازة وتعلمنا الكثير منها عن مجتمعاتنا، وهناك دراسات أخرى الغرض منها هو التشویه. في الدراسات العلمية الموضوعية قد تختلف أو تتفق مع الباحث في قراءته لتراثنا وواقعنا، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه مغرض أو متغير، بينما تختلف صراحة مع أصحاب الدراسات الدعائية .

- ◆ لكن لو سلمنا بوجود مثل هذه الدراسات العلمية الموضوعية، لا نفع في الحساب الإطار السياسي الذي تدور فيه هذه الدراسة أو التوظيف السياسي لنتائجها ؟
- أى بحث علمي سواء قام به باحث وطني أم باحث أجنبي يمكن أن يوظف سياسياً لا شك في هذا .
- ◆ لكن هناك اختلاف بين السياستين الذين يوظف أعمال باحث عربي وبين التوظيف الأجنبي لباحث غربي ،
- هذا تقصد بهذا السياق ؟
- ◆ أقصد أنت أنتي لثقافة معينة ودائرة حضارية معينة، فانا لا أبحث في فراغ محايد

بل في إطار سياسى وثقافى أتمنى إليه، فالدراسة العلمية الموضوعية تقع في دائرة تعطيبها معناتها وللامتحنها، أما الدراسة العلمية الصالحة لكل زمان ومكان فلا أعتقد بوجودها .

● لم يقل أحد إن الدراسة العلمية صالحة لكل زمان ومكان، أنا أتحدث في إطار تفرقة مبدئية بين دراسات علمية موضوعية ودراسات علمية دعائية . في النوع الأول من الدراسات قد تجد قراءة معيّنة لباحث معين وقد تختلف معه فيها، هذا أمر وارد كما هو وارد أيضاً بالنسبة للقراءات المحلية لباحثين عرب، بعبارة أخرى لست من أنصار الإدانة المطلقة للبحوث الاستشرافية، فكل باحث له قراءاته الخاصة، مثلاً أليست هناك قراءات متعددة للحركة الإسلامية المعاصرة بين الباحثين العرب ؟ الإدانة أمر سهل لكن البحث الموضوعي لكل كتاب أو دراسة يحتاج إلى جهد يتحلى بروح الانصاف . وفي اعتقادى أن الدراسات الاستشرافية قدمت للباحثين الوظنيين مناهج للدراسة لم تكن معروفة لديهم من قبل حتى في دراساتهم للإسلام، لانه قد حدثت قطيعة فكرية بين تقاليدنا البحشية القديمة وبين المصر الحديث، وهذا في الوقت الذى حدث فيه تقدم نظرى ومنهجى في العلوم الاجتماعية في الغرب، نعم المستشرقون درسوا مجتمعاتنا بمنهجية ونحن تعلمنا هذه المنهجية منهم، قد تختلف بعض نتائجهم، لكن هذا الاختلاف مهم لا يختلف عن الاختلافات القائمة بين الباحثين الوظنيين .

◆ أتفق معك في ضرورة التمييز بين أعمال علمية وأعمال دعائية، لكن أشدد على أنه حتى في فئة الإباحات العلمية الغربية لا يمكن النظر إليها على أنها تامة من فرغ أو بدون وسط وسياق يعطيها مغزاها، لا أعتقد أنها دراسات تدور في فضاء عالمي مطلق، فعندما يدرس مستشرق ظاهرة من ظواهر العالم العربي في هذا المجال أو ذاك فإنه يفعل ذلك من خلال ذاته الثقافية ومعاييره في النظر والرؤية، وهي منطقية بالنسبة له لكن قد لا تكون كذلك بالنسبة لي وقد لا تؤدي إلى فهم حقيقي للظواهر المدروسة في أحيان كثيرة، حتى في "المناهج العلمية" ثانياً لا أرى لها صفة الشمولية والعالمية كما يتولم بعض باحثينا خاصة أولئك الذين يصنفون بعض هذه المناهج من ظهر قلب وكأنها شئ مقدس ومعيار نهائى لإدراك الظواهر، دون أن تكون هناك مسافة تقديرية بين هذا الباحث

وين المنهج الذي يطبقه، وكأنه منهج عابر للقارارات يطبق على الريف الفرنسي أو الإنجليزي أو المصري، بنفس القدر من المساواة، وكأنه لا توجد ثقافات مختلفة في العالم يفترض اختلافها، اختلاف المناهج ومعايير النظر والحكم على الأشياء، أريد أن أخلص من ذلك أن هناك أبعاداً ايديولوجية للمنهج وأن الابحاث العلمية التي تقصدنا تتسم إلى دائرة ما وليس تابعة من فراغ أو موجهة إلى فراغ .

● أنا أتحفظ هذا الكلام على أساس أن هناك عمومية في المنهج وخصوصية، هناك في المناهج العلمية ما هو عام وما هو خاص . بالطبع الباحث في العالم الثالث ينبغي أن يكون بباحثاً نقدياً، ليست مهمته التطبيق الميكانيكي الفوج لمنهج تبلور في الخارج، فالمنهج له علاقة بالنظرية وبالتالي لو أخذت كلامك على إطلاقه فهذا معناه أن المناهج التي تبلورت في الخارج قد لا تصلح إطلاقاً للتطبيق في الداخل .

◆ فقط أقول أن الأبعاد الایدیولوچیة للمنهج تجعل من الضروري وجود مسافة نقدية بين بناجينا الوطنین وبين هذا المنهج .

● وجود مسافة نقدية أمر لا غبار عليه ومعترف به ، الباحث في العالم الثالث لا بد أن يتسلح بنظرة نقدية حيال النظريات الغربية السوسيولوجية والسياسية والاقتصادية ، وبالتالي للمناهج .. هذا مؤكد .

◆ بل أذهب إلى انتقاد نفس الأمر على تطبيق القواعد التقنية والإجرائية للمناهج، فلنأخذ نموذج الإحصاء، وجمع البيانات، هل التعامل مع الإحصاء بنفس الصورة التي تم التعامل بها في الغرب، أنا شخصياً في بعض الفترات عندما تعرض أمامي استماراة كي أملاها لم أكن أسجل إجابات حقيقة عن الأسئلة المطروحة، وأعتقد أن هذا الأسلوب ليس حالة خاصة بل هو موقف الكثيرين .

● نعم هناك أبعاد ثقافية في طريقة جمع البيانات، لكن قضية المنهج أعتقد من هذا بكثير، وتغير قضايا وإشكاليات قد لا يجد لها إجابات واضحة ومحددة حتى الآن . لو تحدثنا على سبيل المثال عن المنهج الماركسي وهو منهج نما في الغرب هل يمكن

تطيقه أم لا على مجتمعاتنا العربية، حتى لوأخذت حيطة التقديمة، هذا منهجه تماماً في إطار سياق معين ورؤى معينة، هل يمكن تطبيقه أم لا في دراسة المجتمعات العربية المعاصرة؟

◆ أحد المفاهيم الأساسية التي تشكل طبيعة هذا المنهج الماركسي في دراسة المجتمعات هو مفهوم الطبقات. . ولو تكلمنا عن طبقات في المجتمعات العربية وتكونها وتبليغها أو مرؤتها، ستجد أنها ليست بنفس الوضوح والبلور الذي ميز تشكيل الطبقات في المجتمعات الغربية . . . الطبقات غير متبلورة لدينا بالصورة المتعارف عليها والتي نشأ منها المنهج الماركسي كقراءة لها .

● لكن هذه الطبقات موجودة أم لا؟ هل المجتمع مكون من أفراد أم من طبقات أم من فئات؟

◆ هذا يرجع لتحديدنا لمفهوم الطبقة أيضاً !!

● أنا أتحدث عن التعريف الكلاسيكي للطبقة، والطبقات هي الجماعات الكبيرة من الناس التي تتميز عن بعضها البعض طبقاً لعلاقتها بأدوات الإنتاج .

◆ هل تعتقد أنك تستطيع كباحث اجتماعي أن تدرس ظواهر المجتمع العربي انطلاقاً أو انتصاراً على هذا المفهوم الضيق للطبقات الاجتماعية .

● بالطبع أستطيع .

◆ أليست الأبعاد الأيديولوجية والثقافية يمكن أن تساعد بصورة كبيرة في فهم الظاهرة الاجتماعية للمجتمعات العربية؟

● ومن الذي قال إن هذه الأبعاد غير مৎضمة في المنهج الماركسي؟

◆ لا ليست لها المكانة التي تسمح بفهم دقيق للظاهرة الاجتماعية .

● هذا الكلام غير صحيح، فما ينفع كل الكلام الماركسي عن البناء القوسي . ما

هو البناء الفوقي ؟ إنه القيم والعادات والتقاليد والقانون السائد والأيديولوجية السائدة .  
الأبعاد الثقافية موجودة في المنهج الماركسي .

♦ ما أريد أن أقوله إن الأبعاد الثقافية والأيديولوجية في المجتمع العربي لها مساحة أكبر، ولا يمكن النظر إليها على أنها "بناء فوقي" ناشئ عن "بناء تحتي"، لأنها تكتسب في أحيان كثيرة وزن البناء التحتي ذاته.

● أعتقد أن المساحة المخصصة للبناء الفوقي موجودة وكافية، لكن هذا يتوقف على قراءة الباحث للمنهج، هناك بعض الباحثين يقيّمون نوعاً من الاختلال للمنهج في دراسة الأبعاد الثقافية، فهذه قضية هذا التفرّق من الباحثين وليس قضية المنهج ذاته، فالدراسة التكاملية في إطار المنهج الماركسي تتحدث عن التفاعل الجدللي بين البناء السفوي والتحتني طبقاً لأصول المنهج . إذا مسألة الصنف وكونه نما في سياق معين وله أبعاد أيديولوجية لا تمنع بالضرورة من تطبيقه على هذا المجتمع العربي، في اعتقادى أن قضية المنهج قضية معقدة، وأنا أخشى لو قبلت ما تطرحه على إطلاقة أن نصل إلى رفض المناهج لأنها نمت في بيئات أجنبية، ما أريد أن أقوله إن موقف الباحث- وهذا ما قمنا به عملياً وليس نظرياً كباحثين في «المركز القومي للعلوم الاجتماعية» منذ الخمسينيات- هو القيام ببحوث نقدية للنظرية الغربية السوسيولوجية والسياسية من وجهة نظر علم اجتماع المعرفة، لقد وعينا ذلك، ولدى كتابات منذ ١٩٥٧ و ١٩٥٨ عنوانها: «الأزمة الراهنة في علم الاجتماع»، منشورة في كتاب « دراسات في السلوك الإجرامي »، وناقشت فيها المنهج النبدي، ودرستا النظرية الغربية في نشأتها وتتطورها وعلاقتها بالآيديولوجية ولم تخضع بمقدمة «العلم» لأن العلم الاجتماعي مخلوط اختلاطاً شديداً بالآيديولوجية، فمهمة الباحث في العالم الثالث هي: كيف يميز بين العلوم والأيديولوجي في النظرية الغربية السوسيولوجية والسياسية والاقتصادية . القضية الثانية كانت بحثنا عن المناهج، هناك مناهج في دراسة الطبقات الاجتماعية رفضناها، وهناك على سبيل المثال منهج وظيفي يعتبر أن المجتمع يقوم على فئات وليس على طبقات، ولكن ندرس هذه الفئات عليك أن تنزل إلى العين على الميدان لسؤال الأفراد . كيف تضع نفسك

على هذا السلم التدرجى، هل تتسمى إلى الطبقة الوسطى أو العليا أو الدنيا أو العليا العليا... فكانه يعتمد في تحديد الوضع الطبقى على إقرار ذاتى للأفراد . نحن رفضنا هذا المنهج لأنه منهج غير موضوعي فالمنهج الموضوعى لدراسة الطبقات الاجتماعية يبنى أن يقوم على دراسة الملكية فى المجتمع .. فى يد من؟ ومصادر الانتاج فى يد من؟ والثروة القوية فى يد من؟ ولا يعتمد على الإقرار الذانى للأفراد، فهذا منهج مدان لأنه غير دقيق . ندينا إذا ستويان : الأول خاص بالنظريه، والآخر يتعلق بالمنهج، وهذا كله لا يكفى، فالهدف النهائى هو إبداع منهج وصياغة نظرية تتفق مع التاريخ الاجتماعى لل المجتمع المصرى والعربى .

◆ أنا متفق معك في هذه النقطة الأخيرة، لكن اختلافى في أن الرواية النقدية من جانبنا للنظرية الغربية ليست موجودة بالصورة التي تحدث عنها في الغالب، ما هو موجود لدينا هو نسخ وتكرار مسلم ب بحيث أن الملامح الوطنية والقومية غالبة في مجال البحث العلمى .

● أنت تظلم حركة العلوم الاجتماعية في مصر والعالم العربي .

◆ إذا أرفع هذا الظلم وقدم لنا تلك الإتجارات التي خرجنا بها بعيداً عن أساق العلوم الاجتماعية الغربية .

● هناك في مصر المجلة «الاجتماعية القومية» والمجلة «الجانية» التي أصدرها المركز القومى للبحوث الاجتماعية منذ سنوات طويلة، وهناك كتابات علماء الاجتماع المصريين في النظرية الاجتماعية، منذ السبعينيات كانت هناك مناقشة حول هذا الموضوع على صفحات مجلة «الطبيعة» حول الأيديولوجية والعلم في النظرية الاجتماعية وحول التزام الباحث الاجتماعي .

● ثمة وعى لدى علماء الاجتماع المصريين بأهمية النظرة النقدية للنظرية الغربية وبأهمية التطبيق النقدى للمناهج، ونحن مازلنا على عتبات المرحلة الثالثة التي أسمياها مرحلة الإبداع في مجال النظرية ومجال المنهج، ولم نخط بعد خطوات حاسمة في هذا

الطريق . . . إنما من اللافت للنظر أنك تجد الآن في العالم العربي حركة نمو علم اجتماع عربى ما زالت غامضة الملامح، لكنها تشير وتسوحي بأنها بدايات الانطلاق نحو المرحلة الثالثة، هناك إحساس أثنا فى حاجة لأن تتصوّر نظرتنا السوسيولوجية الخاصة التي تستحق مع تاريخنا الاجتماعي . هناك وعن بذلك لدى الطبيعة المشقة من علماء الاجتماع العرب بأننا في حاجة إلى الدخول في المرحلة الثالثة .

◆ كيف تفسر أن الاستشراق قد احتل مساحة أكبر من الاستغراب ؟

● لأن حركة الاستشراق صاحبت حركة المد الاستعماري في العالم العربي وكما يقولون في مجال الأنثربولوجيا، كان العلم يسبق العلم، قبل الغزو الاستعماري كان هناك ارسال الرحالة الأنثربولوجيا والعلماء لدراسة المجتمعات الآسيوية والأفريقية الغازية، فعلم الأنثربولوجيا كما هو معروف قد نشأ نشأة استعمارية، وكان أغلب مشاهير هذا العلم يحملون في أجهزة الاستخبارات الغربية، ثم تحرر العلم بعد ذلك بحكم المد الاستعماري، فقد كانوا في حاجة إلى فهم هذه المجتمعات، مثلاً عندما احتاجت الولايات المتحدة الأمريكية بعد احتلال اليابان إلى أن تفهم المجتمع الياباني لاحكام سلطتها عليه بعد الحرب العالمية الثانية، كلفت بعثة أنثربولوجية بإعداد دراسة عن الشخصية القومية اليابانية وكانت مكلفة من قبل الحكومة الأمريكية، كثير من هذه الدراسات تم في إطار حركة المد الاستعماري وحاجة هذه النظم إلى فهم المجتمعات التي سيدخلون إليها، كل من شارك في هذه الدراسات قد شارك في هذا الإطار، وبعد الأصول الاستعمارية للاستشراق فإنه استمر كتقليد بحثي ولم يتصر مع ذلك على تلك الأصول الاستعمارية .

● في هذا الإطار، أكبر: هناك مجال للتمييز بين دراسات موضوعية علمية ودراسات دعائية ومن الصعب إدانته كل الدراسات الاستشرافية، لأن القراءات تتعدد حتى بالنسبة للباحثين الوطنيين، وبالتالي لا أستطيع أن أدين مستشاراً قرأ الإسلام قراءة خاصة باعتباره مستشاراً لأنني قد أجد باحثاً وطنياً قد يصل إلى نفس القراءة وقد أجد قراءة ماركسيّة للإسلام ما هو المانع ؟ وقد يصل المستشرق والباحث الوطني إلى نفس النتائج .

◆ كأنك تقول: في العلم لا توجد اختلافات بين الثقافات؟ ◆

● لا أقصد ذلك، أنت تدفع حديثا إلى تعميمات قد لا أتفق عليها . أقول: احتمال كبير إذا طبق باحثان أحدهما أجنبى والآخر وطني نفس المنهج أن يصلا إلى نفس النتيجة سواء كان منهجاً ماركسياً أو منهجاً وظيفياً . يمكن لباحث أمريكي أن يطبق المنهج الوظيفي في دراسة المجتمع المصري ويدعى أن المجتمع بلا طبقات بل فئات . وهناك باحث وطني قد يطبق نفس المنهج ووصل إلى النتيجة ذاتها، هذا مقصدي، لا أقصد أن هناك مناهج عابرة للثقافات أو الثقافات فقد تحدثنا عن حدود النظرية وحدود المنهج ... الخ . أعود وأقول إننا في النقد الأيديولوجي للأستشراق ننسى الإسهامات الإيجابية لبعض الدراسات الاستشراقية في تطبيق مناهج معينة استفاد منها الباحثون الوطنيون في دراسة مجتمعاتنا، كما أنت أرفض مقوله الغرب كغرب، فهو مقوله غير علمية، وأرفض مقوله الشرق كشرق، إنها صياغة لكلمة، هناك في الغرب تيارات مختلفة ورؤى أيديولوجية مختلفة ورؤى محافظة ورؤى ليبرالية ورؤى راديكالية، إذاً هناك ثلاث رؤى أساسية، قل رؤى تتحدث عنها؟ هل تتحدث عن الغرب المحافظ أم الغرب الليبرالي أم الغرب الراديكالي، قد نجد أنفسنا أقرب إلى الغرب الراديكالي؟ أو الغرب الليبرالي من المحافظ في فرنسا، مثلاً، هناك ريمون أرون هناك رومندون، هناك بورديو من يقول أن هؤلاء جميراً تستوي افكارهم العلمية، حتى أدرس إذا علم الاجتماع الفرنسي، على أن أدرس الأصول الأيديولوجية لجوروفيش . ما هي الشروق به وبين ريمون أرون وبورديو وألان تورين وآخرين ... لابد من معرفة الأصول الأيديولوجية لكل عالم منهم، ما أقصد بكلامي هذا هو عدم الواقع في التعميم .

◆ اتفق معك أن علينا أن نميز بين مذاهب وتيارات الغرب كما ذكرت، لكن يبقى أن الأسماء التي ذكرتها تدور إسهاماتها في نطاق دائرة ثقافية محددة، هناك دوائر ثقافية يتبع إليها الباحث والفكر والبحث العلمي، وبالتالي فلا توجد أيبحاث علمية في فراغ خاصه في مجال العلوم الإنسانية، نعم هناك غرب محافظ وغرب ليبرالي وغرب راديكالي لكن بينهم جميراً شئ، مشترك ويختضعون لمصدر غربي واحد موحد ...

ويظهر ذلك في أمور كثيرة يمكن الإشارة إليها .

● أسف جداً للتيار الراديكالي الغربي مناصر للعالم الثالث . هذا تقويم خاطئ، هناك فروق بين هذه الاتجاهات والتيارات .. أبزر ما تعلمناه عن العالم الثالث تعلمنا من هذا التيار الراديكالي الغربي ، تحليلاتنا عن أسباب التخلف ، طبيعة التخلف ، التبعية ، تعلمناها من هذا التيار في أمريكا وأوروبا .. أليس كذلك ؟

◆ أنا أتحدث عن ظواهر عامة وليس عن إسهامات بعض المفكرين أو الكتاب ؟

● مع إيمانى بأن العلم يدور في دائرة ثقافية لكن ما هي نتيجة ذلك ؟ أنت حريص على هذه الصياغة لكن ماهى النتيجة التي تريد استخلاصها من هذه الصياغة ؟

◆ ما أريد أن أخلص إليه هو الإشارة أولاً إلى انتشار كثافة وكمجتمع تفيب ملامحه تحت تأثير العلاقة مع الغرب ، هناك حالة من الاختلاط بيني وبين الغرب ، نجع منها ضعف وهزاز في شخصيتنا وقدرتنا على التطور والإبداع . فلكل أكون شخصاً مبدعاً، ومجتمعاً مبدعاً، وثقافة مبدعة ، فإنه علىَّ أن أعرف ذاتي وأحدد هويتي أولاً .

● قلنا هذا الكلام من قبل .

◆ لم يطرح بعد هذا الموقف بصورة جذرية ، نحن الآن لا نعرف في ظل هذه العلاقة المريضة مع الغرب أين رأينا من أقدامنا ! ما هو منا وما هو من خارجنا .

● تذكر ما قلته من دقائق عن أهمية أن بنى نحن نظرية نقدية إزاء النظرية الغربية كلحظة أولى .

◆ من نحن؟

● نحن الباحثين الاجتماعيين في العالم العربي .

◆ ماذا تعنى بكلمة العربي ؟

● من يعيشون في العالم العربي هم عرب بالثقافة والانتماء والتاريخ .

◆ وهل تعتقد أن العرب الذين يعيشون في الأرض العربية هم متلونون فعلاً إلى الثقافة وال التاريخ المريبين؟

● هذه قضية ثانية، أنت تدفع إلى متأهات، قلتنا في البداية إن هناك أهمية في تبني نظرية نقدية للنظرية الغربية كلحظة أولى ثم في لحظة ثانية هي تكيف هذه المنهاج مع الواقع وقلت نحن على اعتاب المرحلة الثالثة من إبداع نظرية ومنهج وهذا في حد ذاته يضع المسافات بيننا وبين الغرب . أنت حريص على وجود مسافة توضع من خلال المنهج النقدي، تقول إن التيارات الثلاثة تم في دائرة ثقافية معينة واحدة، لكن لم تنقل ما هي النتيجة التي تزيد استخلاصها من ذلك؟

◆ أريد استخلاص من أنتي في دائرة ثقافية أخرى.

● لكن هذا معترض به .

◆ لا، غير معترض به .

● إذاً ما هو معنى المنهج النقي الذي أتحدث عنه منذ بداية هذا الحوار، ثم غير معترض بها من قبل من؟

◆ من قبلنا نحن ! من قبل تلك الطائفة من الباحثين الذين أسميتهم «المشترون العرب» .

● اختلف معك، منذ الخمسينيات ونحن على وعي بهذه المسافة النقدية .

◆ لكنك عندما ترفض منطق وجود غرب وشرق فإنك تناقض ما قلته في الحديث عن مسافة نقدية ونظرة نقدية للنظرية الغربية .

● أنا أرفض شيئاً معيناً هو التعميم عن الغرب كغرب، لا بد أن نميز في الغرب بين تيارات ثلاثة، هناك غرب متعدد ليس إرالي، محافظ، راديكالي، هذا اختلاف جوهري عن منطق الذين يقولون بشرق وغرب . أنا أميز بين تيارات الغرب، وجمهور الباحثين لدينا هم أقرب إلى التيار الراديكالي وقد تبنّى مقولاته ومناهجه في دراسة مجتمعنا، ما

هو العيب في هذا؟!

♦ العيب في هذا أنني لا أنطلق من مناهجى الخاصة مع تطويرها .

- عندما نقول إننا ليس لدينا روعي بهذا، فأننا أرفض هذا الكلام وأختلف معك، فالجامعة العلمية في مصر والعالم العربي لديها هذا الروعي التقديري منذ نهاية الخمسينيات وهو مسجل في أبحاث ودراسات.

♦ ولماذا لم ينشر ويشير ما هو مسجل منذ الخمسينيات؟

- انتشر فعلاً، في السينيارات نجحنا في إثارة مناقشة واسعة على صفحات «الطلبة» وكان هناك إجماع حول ذلك وهذا أدى إلى ما تراه الآن من حملة نحو علم اجتماع عربي .

♦ بالطبع، المرء لا يستطيع أن يستطع أن يستفحل عن إنجازات من سبقونا، بدءاً من الخمسينيات، لكن ما هو مطروح اليوم من دعوة نحو علم اجتماع عربي ليست نتيجة الجهود التي بذلت في الخمسينيات والستينيات، بل نتيجة فشل هذه الجهود. فالناس بدأت تكتشف أنها عاشت فترة دعائية غير عادلة ومن ثم يبحشون عن أراض جديدة، فالدورة مؤخراً إلى علم اجتماع عربي نشأت من إحساس بعمق التكرار والتعدد الأجنوف لما يقال في الغرب باستمرار، فإذا كان هناك وهي تندى فعال ومؤثر إزاء النظرية الغربية منذ الخمسينيات - كما تقول - لما كانت أوضاعنا على ما هي عليه الآن في مراكز البحث العلمي والاكاديمي، فهل تذكر لي إنجازات حقيقة أصبحت مراجع يشار إليها من الغرب أو الشرق.

● أنت تسخدين عن التنظير في العلم، وهل استطعنا أن نبدع نظريات لها صفة الشمول وال العالمية بحيث يتبعها الآخرون، الطرح غير صحيح، لأن العلم الاجتماعي الفرنسي مثلاً هو نتاج تطور تاريخي طويل، وبالتالي كان هناك مجال لبروز مثل هذه النظريات . أما في العالم العربي فإن علم الاجتماع معناه الحديث داخل جامعة القاهرة في الثلاثينيات، قصر المدة لا يسمح بصياغة نظرية عامة عالمية، وهذا المسئللة نتاج لتطور تاريخي طويل وتشابك المعنى والأصول الفلسفية، وحتى في البلد الواحد ذاته فإن

المنظرين قلة، وأغلب الباحثين أتباع ذكر شخص فـي فرنسا مثل جورج جورفيتش أو ريمون أرون أو بورديو ...

- عملية الإبداع في مجال النظرية محدودة حتى في أكبر البلاد تقدماً، بالنسبة لنا هنا لم نصل بعد إلى المرحلة الثالثة وهي إبداع نظرتنا الخاصة ومنهج خاص يعبر عن الواقع العربي، ولو نجحنا في إنجازها قد تصبح نموذجاً للدراسة مجتمعات مماثلة .
- ◆ فلتناقش إذا ما هو تصورك لشروط الإبداع في المرحلة الثالثة ؟
- أولاً، الدراسة النقدية الشاملة للنظرية الغربية المسؤولية والسياسية والاقتصادية ووعي دقيق بتيارات الغرب الرئيسية .
- ثانياً، المعرفة الدقيقة بالتاريخ الاجتماعي المصري والعربي وأى نظرية سوسيولوجية لا تفسع التاريخ الاجتماعي العربي في حبسها محكوم عليها بالفشل.
- ثالثاً، إن النظرية لن تنشأ إلا من خلال جهد جماعي واع ولحسن الحظ تكونت الجمعية العربية لعلم الاجتماع العربي وتناقش مثل هذه الموضوعات وهذه بدايات صياغة نظرية عربية .



الحبيب الجنحانى  
قضاياانا أولاً والاستغراب ثانياً



في وقت واحد تقريباً عقدت ندوات في ثلاث عواصم عربية ، وكان موضوع الندوات الثلاثة هو التاريخ العربي وضرورة إعادة كتابته من جديد وفق أسس جديدة ، ندوة القاهرة كانت عن كتابة التاريخ بين الالتزام والموضوعية ، والثانية في ليبيا عن رؤية قومية في كتابة التاريخ العربي ، بينما عقدت الثالثة في بغداد أواخر كانون الأول (ديسمبر) الماضي .. لماذا هذا الإلحاح اليوم على قضايا كتابة التاريخ العربي ؟ وما هي أهداف ذلك ، وكيف يمكن إعادة كتابة التاريخ العربي من جديد ؟ وما هي المناهج التي تسمح أكثر من غيرها بقراة علمية موضوعية لهذا التاريخ ؟ وإلى أي آفاق تسير هذه "الصورة" بين المؤرخين العرب والمهتمين بتحقيق الدراسات التاريخية في الوطن العربي ... عن هذه التساؤلات ، وضيرها كان حوارنا مع المؤرخ التونسي الحبيب الجنحاني في نطاق مجموعة المواراثات التي أجريناها مع بعض المفكرين العرب حول علاقتنا وموقعنا من المثقافة الغربية ومناهجها . والحبيب الجنحاني أستاذ للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تونس .

صدر له التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في بلاد المغرب (١٩٨٦) ودراسات مغربية (١٩٨٧) ، قضايا الفكر (١٩٧٦) ، وله عدد آخر من الكتب والدراسات المتصلة بالفكر المعاصر وإشكالياته . عضو في مجموعة من المنظمات العربية والدولية ، منها منتدى الفكر العربي (مقره عمان) وعضو مؤسس في اتحاد المؤرخين العرب . وساهم بإبحاثه ومقالاته في عدد من المجلات العربية مثل : شؤون عربية ، المستقبل العربي ...

◆ شاركت في الفترة السابقة في ندوة عقدت بليبيا تحت شعار : نحو رؤية قومية لكتابه التاريخ العربي . وكما تعلم ، عقدت ندوة أخرى في القاهرة وثالثة في بغداد عن إعادة كتابة التاريخ العربي ، كيف تفسر هذه الظاهرة وهذا الإلحاح على إعادة كتابة تاريخنا العربي . وفي مواجهة من ترتفع هذه الدعوة !؟

● أريد أن أميز في مسألة كتابة التاريخ العربي بين اهتمام يتعلّق بالتاريخ القطري وقضايا التاريخ القطري ، مثل تاريخ مصر ، وبين الاهتمام بهذه القضية من أبعادها القومية ، وفي حالة الاهتمام بالتاريخ القطري والتاريخ القومي أقول إننا أمام قضية تفرض نفسها في هذه الأيام . وفي الحقيقة هذا الاهتمام ليس خاصاً بنا فقط كمرب بل نجد في تاريخ القوميات الكبرى أنها كانت تعيش وضعاً متازماً مثلما يعيش العالم العربي ، وكانت ، في مواجهة التحديات ، تردد أن تطرح مشروع حضارياً بدلاً فكان تتجدد بالتاريخ . حدث هذا أيام بروز الوحدة في المانيا ، حدث أيام الوحدة في إيطاليا ، وفي فرنسا أثناء حركة التحرر من النازيين ، وهكذا فإن الاهتمام بالتاريخ ينشأ في مواجهة الأزمات والتحديات .

◆ لكن لا تعتقد أن الازمات والتحديات التي تواجهها الأمة العربية ليست وليدة عامين أو ثلاثة ، وإنما تعود إلى ما قبل ذلك بسترات عديدة ، وبالتالي يظل السؤال قائماً : لماذا هذا الاهتمام الجديد بكتابه التاريخ العربي ومراجعته ؟ وفي مواجهة منْ تم هذه المراجعة ؟

● أعتقد أن هذا الاهتمام بكتابه التاريخ يعود أيضاً إلى إدراك أنه وقع اعمال للقضايا الحضارية بما فيها قضايا التاريخ ، وقد أدرك البعض أن الفكر السياسي السائد هو ذكر ملن بالشعارات ، وليس هو الفكر التحليلي النقدي ، وبين لكثيرين أن هذا النوع من الفكر الشعاراتي لم يؤدِّ خدمة كبيرة إلى الأمة العربية . من هنا برزت الحاجة إلى تعميق التفكير والمعرفة بالقضايا العربية . كما تبين تاريخ الفترة العربية المعاصرة في كل قطر ، أو تاريخ الوطن العربي ككل ، كانت كلها محاولات جزئية وشكل من السطحية في كثير من الأحيان . وهو ما كان له انعكاسات سلبية على التعرف الحقيقي للوطن العربي وتاريخه ، ليس فقط في العصر الوسيط أو الحديث ، بل في الفترة المعاصرة أيضاً ، وظهر ذلك بصورة خاصة مع بروز ظاهرة المذكرات السياسية التي طبعت في الأعوام الماضية ، وهي مذكرات تضمنت أشياء إيجابية وأخرى بمعلومات جديدة ، لكن ظلت

الابحاث التاريخية متخلفة عن القضايا المعاصرة ، وعودة إلى ما سبق أقول : إن هذا الاهتمام بقضايا كتابة التاريخ هي للاستجادة من جهة ، ومن أجل المعرفة التاريخية ، وهي ضرورية . من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة نظراً لازدياد تحديات التجزئة والتفتت وهي تحديات ظهرت ، بصفة خاصة ، بعد محاولة أخرج مصر من الصف العربي وتوضع كامب ديفيد واستمرار هذا المسلسل في اتجاه بيروت . . . ومن هنا ظهر هذا الرغبى بعوامل التوحيد والوحدة ، وأبرز عوامل هذا الترجيد هو التاريخ .

◆ من هنا جاءت الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ العربى !؟

● نعم لأن كتابة التاريخ العربى في شكلها القديم لم تكن مفيدة في هذا الاتجاه ، أى ترجيد الأمة العربية والترسّخ بها نحو المستقبل ، بل كانت أحياناً معيبة لهذا الهدف فإذا راجعنا الكتب المدرسية في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية في معظم الأقطار العربية ، سنجد أن التاريخ المدون فيها هو تاريخ قطري ضيق ولا يخدم بالتألى التوجه الوحدوى العربى ، وإلى جانب ذلك هناك عشرات بل مئات الكتب التي كتبت عن الوطن العربى وتاريخه في دول أوروبا وأمريكا الشمالية ، وهى جهود مشكورة ، لكنها كتبت من وجهة نظر غير عربية وبعضاها مليء بالتشويهات لخصائص الهوية الحضارية العربية . وبرزت أيضاً ضرورة كتابة التاريخ العربى من جديد لمواجهة هذه الكتابات التي تكتب من خارج الوطن العربى ، والتي بعضها علمى وموضوعى ، لكن أغبلها مليء بالاحكام المسبقة عن القضايا مجموعة من المؤرخين العرب الملزمين بقضايا الوطن العربى بهذه القضية لكنهم في حقيقة الأمر مازالوا عند مستوى طرح هذه الاشكالية في إعادة كتابة التاريخ العربى - مع تقدير الجهود السابقة فليس كلها خطأ - بنظرة شاملة وجذرية وليس نظرة جزئية قطبية .

◆ الا تعتقد ، مرة أخرى ، أن عوامل التجزئة والتفتت في العالم العربى من جهة ، والكتابات الغربية «المغرضة» عن تاريخنا من جهة أخرى ، تعود زمنياً إلى فترات أسبق من الفترة الراهنة التي تشهد صحوة في العودة إلى التاريخ العربى . وبالتالي لا يكون

عامل تصحيح الوعي الحضاري العربي ، في مجال التاريخ وعلم الاجتماع وغيره ، من العوامل الأكثر مصداقية في تفسير هذه الظاهرة ١٩

● نعم ، لا خلاف بشأن مسألة تصحيح الوعي ، لكن رغم ذلك فإن عوامل التجزئة قد أخذت منذ نهاية السبعينيات منصرجاً خطيراً ، وبدأ تتفيدتها في الوطن العربي باشكال مختلفة ، بل وأصبحت السيادة الوطنية مهددة في لبنان وغير لبنان ، وأصبح هناك شعور بأنه لابد من مواجهة هذا الخطر في مجالات مختلفة ، وأن الأسلوب القديم في المواجهة ، أي أسلوب الأيديولوجيات ، لم يعد مفيداً ، وأنه لابد من تفكير حضاري عميق لمعرفة أسباب الواقع المتبدى ، وهذا التفكير الحضاري المعرفى يطرح نفسه في قضية أخرى هي قضية الحداثة ، فهذا الشعار الذى رفعته الدولة القطرية بعد مرور ثلاثين سنة يعاد التساؤل حوله من جديد ، فهذا الشعار الذى تبنته الدولة القطرية فى معظم أنحاء الوطن العربي عندما أعلنت أنها تريد أن تلحق بركب الحضارة والمدنية ودفعت ثمناً باهظاً لهذه الحداثة في مشروعها التنموية ، لكننا نكتشف بعد ذلك أن تتبعية ارادات ، وأن التخلف اراداد ، وبالتالي بما بعض المفكرين العرب يطرحون من جديد : ما هي الحداثة التي تريد أن تتحققها .

◆ حتى لا يتقلب هذا الاهتمام الجديد إلى "موضة ثقافية" سرعان ما تixer الا تعتقد أنك كمسؤوخ مطالب بالتاريخ لهذا الاهتمام الجديد الذى بدا يظهر تدريجياً وكيف ظهرت ملامح هذا الوعي الحضاري العربي اليوم ؟

● في الحقيقة ، هذه الحالة الثانية عمرها قصير ، وربما تمتد من حيث الزمن ، إلى ما بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وانطلاقاً من هنا التاريخ بدأت بعض الاصوات العربية تعلن أن المعركة مع العدو الصهيوني الإمبريالي هي معركة حضارية وأتنا طفاليون ، في ضوء هذه الدعوة ، بمراجعة شاملة في نظمنا التربوية لأنها نظم مليئة بالعيوب ، ولا يمكن أن تخلق أجيالاً جديدة قادرة ، وفي المجال التاريخي ضرورة النظر إلى التاريخ كعامل توحيد ، وفي المجال المكتوى إعادة تصحيح الوعي . والوعي بالكثير من

القضايا وطرحها بشكل جديد ونقدى ، وفي المجال السياسي لا بديل عن الوحدة العربية ، وأنها لابد أن تبني على أسس جديدة ، لأن الأسس القديمة أكملت إلى الفشل ، وكل هذه فضول من ملامح الوعي الحضاري والمعرفة الحضارية ... .

◆ في نطاق المعرفة الحضارية التي اكتشف فيها العرب ضرورة إعادة كتابة التاريخ وبكلوراء مدرسة تاريخية عربية ، بالنسبة لمسلمات المجتمع العربي ... تبرر مسألة المناهج المستخدمة في هذه الحقوق المعرفية بصورة رئيسية قوله تعتقد أنه يمكن خوض المعركة الحضارية وبكلوراء مدرسة عربية في مجال العلوم الإنسانية ، ونحن لا نزال نتعامل مع قضية المناهج ، في مجالات علمية حيادية لا تتأثر باختلاف الحضارات والثقافات ، فانت ، على سبيل المثال - تقول في بحثك المقدم في ندوة ليبيا : «أين الأساليب العربية المتّبعة اليوم من المدرسة التاريخية الالمانية الجديدة ؟ أين الأساليب المتّبعة في الحقائق التاريخي في الوطن العربي تدريساً وتاليفاً من التيارات المنهجية العالمية ... وأين المناهج العربية المتّبعة اليوم من المدارس التاريخية الفرنسية التي تزعمتها وما تزال مجلة حوليات ٤٩ . ولا أعرف هنا إذا كنت تطالب بإبداع مناهج عربية أم أنك تطالب بأن تقتضي أثر هذه المدارس التاريخية التي أشرت إليها ١٩

● نعم ، طرحت هذه التساؤلات بصيغة أين ؟ لأننا ما زلنا في مرحلة طرح الاشكاليات ، نحن لم ننجح بعد في الوطن العربي في أن نبلور وأن تبرز معالم مدرسة تاريخية عربية ، أي مدرسة لها منهجها وأسلوبها ، هذا لم نصل إليه بعد . بالطبع لدينا كتابات تاريخية هامة ولدينا مؤرخون عرب يستعملون مناهج مختلفة - وهي معروفة في الشرق أو الغرب - وهناك من يتعصب أساليب ومنهج المدرسة التاريخية الفرنسية ، وهناك من يتبع أساليب ومنهج المدرسة التاريخية الفرنسية ، وهناك من يتبع منهجه المدرسة التاريخية الوضعية ... ونحن لا نملك أن نتحدث عن مدرسة تاريخية عربية ذات خصائص ومميزات واضحة اليوم .

◆ من حيث أنت لا تملك منهجاً في الرواية ... .

● نعم ، أنا شخصياً تلقى هذه القضية وحاولت منذ سنوات أن أقدم نماذج علمية لما يمكن أن تكون عليه هذه المدرسة التاريخية العربية وخاصة في دراستي لتأريخ المجتمع العربي الإسلامي في العصر الوسيط ، وبدلاً من أن أقول إن هذه المدرسة ينبغي أن تميز بكلتا ، حاولت ذلك عملياً من خلال تقديم نماذج حية لما يمكن أن تكون عليه المدرسة العربية التاريخية ، لكن لا تزال هذه المدرسة في حاجة إلى أن تبلور منهجها في الرواية وهذا المنهج لم يتبلور بعد .

◆ هل يمكن أن تقدم أسباباً تفسر هذا التأثر ؟

● لأن الحقل التاريخي في العالم العربي يعاني مما تعانيه بقية الحقول المعرفية الأخرى ، نحن لا نزال نعاني من مشاكل تخلف ، لن يتصور أحد إمكانية خروج مدرسة عربية تاريخية عملاقة وسموّة في ظل نظام تربوي مهلهل وضييف ، يؤلمني أن أقول هذا ، لكن ما أقوله يعكس حقيقة ما يجري في مدارستنا وجامعتنا . فطريقة تدريس التاريخ في معظم جامعاتنا لا يمكن أن تبشر بمدرسة تاريخية عربية تقف جنباً إلى جنب مع المدارس التاريخية العالمية فلا رالت سائدة أساليب السرد التاريخي وذكر الأحداث التاريخية ..

◆ ينبغي القول أيضاً إن هناك تقليداً لمدارس تاريخية غربية منها العاركية ومدرسة العوليات الفرنسية ، وليس فقط ما ذكرته من أساليب السرد التاريخي التقليدي ..

● عفواً .. لكن حتى هذا التقليد لا يتم بصورة صحيحة أيضاً .. فياليستنا اتبعتنا مدرسة العوليات كمرحلة أولى ، لكن أقول للأسف حتى مرحلة التقليد لم تنجح فيها أيضاً . بالطبع هناك مجموعة من المؤرخين الكبار الذين نعتر بأعمالهم ، لكن ماذا يستطيع أن يفعل بعض الأفراد في مناخ جامسي مليء بالعلل والعيوب ، فكيف لاستاذ جامعي أن يخلق روحـاً تقدية بين صفوف الطلاب ، ونحن نعلم أن المحاضرة يحضرها أكثر من ألف طالب على سبيل المثال ، إنها محاضرة عامة وليس محاضرة جماعية في هذه الحالة .. هذه الوضع لا يمكن أن تسمع بوجود مدرسة تاريخية عربية ، وذلك

يحدث في ميادين أخرى بطبيعة الحال ، وبالتالي أرى أنا في المرحلة الراهنة علينا أن نعمل بتواضع وان نضع المسات الأولى لبروز مدرسة تاريخية عربية ولا بد أن نستفيد من المناهج العالمية خاصة أن هذه المناهج قد حققت ثورة عملاقة في الغرب منذ الحرب العالمية الأولى وحتى اليوم ، فالهيبة تزداد معنًا بين التقدم الذي تشهده هذه العلوم ومناهجها التي هي كتب للبشرية جمعاء ، ولا ينبغي تحت شعار إبراز مدرسة عربية تاريخية أن نتجاهل هذه المدارس ومناهجها .

◆ والعكس صحيح أيضًا ، أي أنه لا ينبغي تحت شعار الاستفادة من تقدم المدارس والمناهج الغربية أن نتجاهل الأسس والمقومات التي يمكن أن تبني عليها المدارس العربية في التاريخ والاجتماع والفلسفة ...

● هنا ينبغي تحقيق ما أسميه بالمعادلة الصعبة . ليس معنى هذا أن نتطرق على أنفسنا بل نستفيد من هذه المناهج - سواء الماركسيّة ، الوصوصية ، الحوليات - لأن هذه المدارس تتضمن جوانب شموليّة كونية ولها خصوصيات أيضًا تتعلق بالمناخ والظروف التي نشأت فيها .

◆ هل نحن في تعاملنا مع هذه المناهج نميز بين ما هو عام وما هو خاص بها في اعتقادك ؟

● لا بد أن نميز بين العام والخاص في ممارساتنا « العلمية »

◆ أنا أتساءل بما يحدث فعلا في ممارساتنا « العلمية » !

● ما يحدث هو أننا لا نراعي هذه التفرقة بين ما هو عام وما هو خاص في هذه المناهج ، يمكن أن نستفيد مثلاً من التقدم الحاصل في منهجية قراءة النصوص .

◆ ما يحدث في تصورى أننا كثيراً ما نتحدث عن شمولية المنهج في الوقت الذي يتجاهل فيه المؤرخ العربي ، أو عالم الاجتماع ، أو المفكر الروقي الخاصة التي تجسدها الشفافة التي يتمس إليها مؤرخونا .

● هنا المشكّلة والصعوبة ، ساعطيك مثلاً نموذجاً ، هناك مدرسة تاريخية تعد حديقة جداً في كلية التاريخ بالجامعة الجديدة في مدينة "يلفند" وقد تحدثن مع ممثليها أثناء مؤتمر للتاريخ العالمي في العام الماضي ، وكل رواد هذه المدرسة التي تحمل شعلة الريادة الآن من أبناء مدرسة "الحواليات" الفرنسية ، وطورو بعض نقاطها الرئيسية ، أضرب هذا المثل لأنقول إن هذا ممكن في الثقافة العربية أيضاً، يعني يمكن أن تستفيد من المناهج الغربية وأن تحافظ في الوقت نفسه على خصوصيات المدرسة التاريخية العربية .

◆ عندما تقوم بمهمة التاريخ للفكر العربي الحديث والمعاصر .. أى المناهج ترى أنها أصلح في حل الغار هذه المعادلة الصعبة !؟

● اتفقنا على أننا لا نملك مدرسة تاريخية عربية ، والحال هذه ، كيف ندرس تاريخ الأفكار العربية خلال نصف القرن الماضي ، وما أقوم به هو أنتي أعود أولاً إلى جميع النصوص الأصلية المتعلقة بهذه الأفكار وليس ما كتب عنها من ملخصات سواء من قبل عرب أو أجانب ، وذلك حتى أتخلص من أى تأثير قد لا يساعد في فهم حقيقة هذه الأفكار ، فانا أريد أن أعرف هذه الأفكار مباشرة وب sinci وبدون وسائط ثم أدرسها بعد ذلك من منظور شمولي وليس جزئي ، مثلاً حدث الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ لا أدرس هذا الحدث في علاقة مصر وسوريا فقط ، بل أدرس في محيطه العربي وفي أصدائه في عواصم عربية أخرى ، وبالتالي أعطي للأفكار طابعها الشمولي والوحيدوى ، وفي المرحلة الثالثة أقرأ كل ما كتب عن هذه الأفكار في تلك الفترة التي أدرسها لاري إذا كان ما كتب قد تأثر ببرؤية ما أو نزعة ما ، وبالتالي أستطيع أن تكون لي موقفاً مستقلًا وأستطيع أن أنتقد الرؤى الأخرى التي أرخت لهذه الأفكار أيضاً في نفس الفترة ، لكن طالما أنا لا نملك بعد منهجة واضحة ، تظل القضية اتجهادات شخصية .. نمؤرخ آخر قد لا يسلك هذا السبيل ، وإنما يسلك السبيل السهل ، يقول ما كتب عن هذه الأفكار هو كذا ، وربما لا يدرك أفكاراً أخرى ، نحن الآن في هذا الوضع المسؤول في

كتابة التاريخ في الوطن العربي . مثال آخر من المدرسة الماركسية التي نحترمها ونقدر جهودها ، لكن عندما نطبق بعض مفاهيمها على العالم العربي نجد عدم مواءمة بينها وبين الموضوعات التي تعبّر عنها . فمُؤرخو المدرسة الماركسية يطبقون مفاهيم بروز وتطورت في مناخ حضاري وواقع اقتصادي واجتماعي معين ، ويريدون تطبيقه على واقع اجتماعي عربي يختلف عنه تماماً . هذا ما يحدث ، نحن نريد أن نتجاوز هذه المرحلة .

◆ وما الذي يحول دون ذلك ؟

● حاولت في دراسة سابقة وضع أسس منهج مدرسة تاريخية عربية ، تبدأ بفقد دقيق للوضع المعرفي في الحقل التاريخي العربي الحالي . ما هو هذا الوضع ؟ ما هي المدارس المؤثرة فيه .. فاغلب المؤرخين الآخرين لا يشعرون بهذه المشكلة . يقولون : لماذا خلق مدرسة تاريخية عربية ، يمكنني ما نستخدمه من مناهج ومن دون إدراك لهم عملية الوعي وإعادة تصحيح الواقع .

◆ ربما لأن هذا الأمر يكشف عن الافتراض الذي يعيشون فيه .

في الحقيقة ، الذين يدركون أهمية هذه المحاولة هم قلة بين المؤرخين العرب ، لكنها قلة رائدة .

◆ نحن نسمع هذه الأيام عن مدرسة عربية في علم الاجتماع ، وأنت تتحدث عن مدرسة تاريخية عربية لكنك أخشى أن يصيغ الحديث عن مدارس عربية نوعاً من "الموضة" ومن دون أن يقدم أحد إضافات جديدة وحقيقة .

● نعم هناك خطر أن يحدث مثل هذا الأمر ، لكن ما هو أكثر خطورة من ذلك هو أن ينطلي على هذه المحاولات الطابع الأيديولوجي الشعاراتي ، وقتل في المهد . أحاديث الموضة الثقافية خطرها وارد ، لكن ما هو أخطر ، كما قلت ، أن يتم السيطرة على هذا الترجمة الجديدة بأيديولوجية معينة .

◆ قلت أنت حديثك إن ما تقدمه ، في هذا الشأن ، هو اجتهاد شخصي ، وقلت إن

العودة إلى قراءة النصوص الأصلية ، ثم قراءة ما كتب عنها ، وربطها بالسياق الشمولي ، لكنني أرى خلاف ذلك ، وارى أن البداية لابد أن تكون أولاً بالعودة إلى المرحلة التي كانت لدينا بها مناهج ذاتية في التاريخ ، وأن يبحث ثانياً لماذا انقطعتنا عن هذه المناهج ، أو لماذا انقطعت عننا ، وأن نبحث عن إمكانية الاستفادة منها أو تجديدها ، أو هدمها إذا لزم الأمر ، وفي الوقت ذاته لا نغفل الطرف عن المناهج الفنية وإنجازاتها ، أقول ذلك لأنني لملاحظت في حديثك العودة إلى ما كان نملك من مناج ورثي ، ربما في العودة إلى هذا الطريق قد تكشف الرؤى الحضاري المفقود .

● أتفق معك في أننا لا ينبغي أن نبدأ من الصفر ، بالطبع لدينا تراث عربى ثرى وضخم في مجال الحقن المعرفي التاريخي ، ولدينا أسماء لكتاب المؤرخين . طبعاً هم مؤرخو حوليات ، لكن أيضاً لهم رؤيتهم وأساليبهم ، ولا بد أن تعرف على ذلك بدقة ، مثلاً المؤرخ العظيم المقريزى قام بمجهودات مهمة ، ولا يمكن أن تتصور كذلك البحث عن منهجة تاريخية تتعلق ببعض بلدان المغرب العربى والتركيبة القلبية بدون الاستفادة من تراث ابن خلدون ، إذ لا يمكن لمدرسة جديدة أن تكون منقطعة عن أصولها ، لكن حالياً القضية موجودة ومطروحة فيما يتعلق بالمناهج الحديثة العالمية ، ومع ظهور الجامعات العربية التي كانت استفادتها من هذه المناهج استفادة متواضعة والتي لم تربط هذه المناهج بأصولها التاريخية ، هذه المدرسة الجديدة من مهماتها قراءة جديدة للتراث التاريخي العربى . . . وأنا أؤمن أن القضية في الوقت الحالى ، وفي ظروف العالم العربى الذى نعيشه اليوم هي أشياء تتجاوز المجهودات الفردية ، ينسحبى أن تكون عمل جامعات ومراكز بحث ، وهو ما نتفق عليه في الوطن العربى ، هذه هي القضية الكبرى .. لا بد أن تبرز مؤسسات جدية علمية تبني هذا التيار الحضاري ، وينبغي أولاً وقبل أي شيء أن تبتعد عن محاولة السيطرة عليها وأيديرلوجيا من هذا النظام أو ذاك .

◆ تساول محوري ، في هذا الكتاب ، وسيق أن طرحت على متذمرين آخرين ، يقول بعض المستشرقين : أنت تتقدون الاستشراق وأبحاثنا عنكم ، لكن ماذا كتبتم أنتم هنا ،

وهل قدمتم شيئاً يذكر بالنسبة إلى ما كتبناه نحن عنكم؟ ماذا تقول أنت عن هذا الطرح؟

● في الحقيقة أنا أعتبر هذا الطرح يحتوى على مغالطة ، ومنطق لا يصح ، لأن هناك قضية موضوعية .. نحن لا ننكر أننا مجتمع يشكو من التخلف ، ومن الركود الذى طال سنوات عديدة ، وفترة استعمارية سادت قروناً من الزمن ، هذا الحديث يمكن أن يوجهه أصحابه إلى بلد أوروبى ، هذا الكلام يمكن أن يتجه به مفكر فرنسي إلى مفكر المانى أو إيطالى ، أما أن يقال هذا بالنسبة للمجتمعات النامية والمجتمع العربى بالذات فإنه يحتوى مغالطة كبيرة . لأننا نحن فى الحقيقة ، لابد أن تكون متواضعين ، وأنت لا يمكنك أن تقدم شيئاً كبيراً لموضوعات عن تاريخ الغرب لأنها موضوعات قد أثبتت بحثاً من جانب الغربيين أنفسهم ، وإن كان هذا لا يمنع بعض الباحثين العرب من إعداد رسائل علمية حول موضوعات تتعلق بالغرب ، وقد تكون جيدة ، لكنها فى النهاية جزئية ومحدودة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن قضيائنا وموضوعاتنا فى حاجة إلى جهودنا وهى كثيرة ، فكيف أهتم بموضوع يتعلق بالغرب وأنت وتاريخي وبالإمداد فى حاجة إلى جهودنا المتواضعة . ليس معنى هذا أن نتجاهل تاريخ الآخرين ، وأكثر طرح بعض المستشرقين فى هذا الشأن يضم مغالطة ولا يمكن المقارنة بينها وبينهم فى هذا المجال .

◆ بعض من حاورتهم من المفكرين العرب رفضوا هذا الطرح لكن لأسباب أخرى غير تلك التي ذكرتها الآن ، يقولون إن المغالطة فى طرح هنا النفر من المستشرقين تكمن فى أننا لدينا بالفعل استغراب أكثر من اللازم . كيف تنظر أنت لمسألة الاستغراب الحضارى؟

● إذا تحدثنا عن الاستغراب فى مجال البحث العلمى فقط ، فهنا أقول إن التعريف بالغرب والكتابة عنه ممكن ، لكنها تظل جهوداً جزئية ولا يمكن أن تقارن باهتمام الغرب بالشرق عبر الاستشراق ، ثم إن هذا الاستشراق لم يأت صدفة ، بل جاء نتيجة ظروف تاريخية واستعمارية ، ربما لو جاء يوم واستعمروا الغرب لانتجنا استغراباً موازياً للاستشراق .

◆ هل يكون الاستغراق بالضرورة مراداً للهيمنة والسيطرة على الغرب أم يمكن أن يكون هناك استغراق بدون استعمار ، أهنى استغراك حضاري ؟

● أردت من كلامي أن أوضح فقط أن الاستشراق جاء في ظروف معينة . أما الكتابة عن الغرب . فهي موجودة في مئات الكتب المترجمة ، هذا نوع من الاستغراك . هناك كتب عربية عن الحروب الصليبية كتبها مؤرخون عرب وهي موجودة ، لكن من الطبيعي أن تتحل الموضوعات العربية والوطنية الدرجة الأولى ، ومن هنا حجم هذه الدراسات بالنسبة لاهتمام الغرب بالشرق قد تكون أقل في مجال البحث العلمي ، أما إذا تحدثنا عن الاستغراك كظاهرة حضارية ، فتصبح مقوله من قال لك أنا لدينا استغراك أكثر من اللازم بمعنى الاغتراب ، وهذا أمر جلي واضح إذا نظرنا إلى التبعية الفكرية واللغوية مثل بلدان المغرب العربي .

◆ الا تعتقد أن وجود ثقافة عربية قوية في نفوس أبنائنا ، هو أمر يسمح بإنتاج هذا الاستغراك الحضاري ؟

● لا يمكن لهم أن يتوجهوا استغرايا بطريقة موضوعية في مجال البحث العلمي ، إلا إذا تخلص الوطن العربي من عقدة التبعية للغرب حتى يستطيع أن ينبعج ويبدع ويكتب عن الغرب ، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا احتل الوطن العربي مركزاً حضارياً متقدماً . لكن أقول ، في حالة الراهنة ، لابد من القفتح على الحضارات ، لكن بشرط أن يكون ذلك بمقدار ، لأننا لو اتجهنا إلى الكتابة عن الغرب والتعریف به فإن ذلك سيكون على حساب معالجة مشاكلنا . نحن نجهل قضيائنا ، قل لي ما هي الابحاث الاستراتيجية الموجودة في الوطن العربي ونحن نواجه عدو ؟ أين أبحاثنا عن الحاضر العربي والتوجه المستقبلي ونحن نعاني يومياً من عدواً يحتل أرضنا ؟ كيف يمكن أن تطالبني ونحن في هذا الوضع المعرفي الضعيف ، وموضوعاتنا ومشاكلنا تتطلب منا أن نبذل الجهد الكبير ، أن نفضل القيام بدراسات عن الغرب .

أنور لوكا

أنا مستغرب بدون استغراب



بعد مشاركته في ندوة معهد العالم العربي ، في المعاصرة الفرنسية ، عن «الاستشراق موضع تساول» ، كان لنا هذا اللقاء مع الدكتور أنور لوقا عن الاستشراق ، الستشراك ، صورة الآخر والعوامل المتتحقق في تكوينها والمناهج في ذلك . وأنور لوقا لا يفضل الحديث عن هذه القضايا من خلال مصطلح الاستشراك بل يرفض استخدامه ويرى أنه يمس عن ردة ثقافية ويتحدث عن الحداثة وعلاقتنا بهذه الحداثة ويميل إلى مصطلحات الحداثة كما عانها الطهطاوى التي تفترض اضطلاعاً بالعلاقات التي يستوجبها التفاهم مع العالم والافتتاح على المعرفة ، من حيث هي معرفة لذلك يرى أن مصر والعالم العربي يوجه عام في حالة عزلة عن العالم على المستوى المعرفي ، وأئتها نجهل الفكر الحلنثى الذى يمس وجودنا المعاصر . ويرى أن للأوضاع السياسية دوراً في تلك العزلة وكل ذلك الأوضاع الاقتصادية ، ويسائل : هل ترجمنا إلى العربية ما قدمه بيسوتوна إلى معاهد الغرب والشرق من رسائل جامعية فيها حصيلة التمايل بين تراثنا وأحدث نظريات العلوم لمفكريين أمثال مصطفى صفوان ومحمد أركون وإدوار سعيد وجورج شحادة ، بوصفهم بعض صناع الحداثة عندنا ، رغم تعيرهم عنها بالفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها من لغات المراكز العلمية ولغات الفنون الجميلة .

وأنور لوقا أستاذ في جامعة ليون - فرنسا - وعمل قبل ذلك أستاذًا في جامعة إكسن آن برونسانس - فرنسا - ولا يزال يعمل أستاذًا في جامعة جنيف في معهد الترجمة ، وكان قبل ذلك أستاذًا ساعيًّا في جامعة مين شمس في قسم اللغة الفرنسية .

◆ هل تحدثنا ، أولاً ، عن مسيرتك : كيف تعرفت على الثقافة الفرنسية ، اطبعائك وكتاباتك الأولى ، وبينت تأثيرت ؟

● ... من الشخصيات التي لعبت دوراً بارزاً في توجيهي وتكوني الثقافى جان ماري كاريه الذى تعرفت إليه عندما زار مصر سنة ١٩٥٠ ، وكان أستاذ الأدب الفرنسي في جامعة القاهرة في سنوات ١٩٣٢-١٩٣٤ ، كما أنه ألقى محاضرات في الجمعية الجفرانية المصرية عن الأدباء والرحالة الفرنسيين في مصر ، صدرت في كتابه الشهير الذي يحمل العنوان عينه . وبعد أربع سنوات أنشأها في مصر ، عاد إلى فرنسا ليشغل منصب أستاذ في الأدب المقارن بجامعة ليون . والغريب أننى الآن في جامعة ليون

أشغل المنصب نفسه ، والشخصية الثانية التي لعبت دوراً مهماً في حياتي هي طه حسين وأسلوبه المميز في الترجمة ، وكانت أريد أن أعرف كيف حوك شعر راسين إلى لغة عربية تقرأها ، فلا تشعر أنها مترجمة . ثم بدأت الترجمة قبل أن أغادر مقاعد الطلبة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظهر أول كتاب مترجم لي بعنوان : صوت لا بروير ، والاحظ الآن أن كلمة صوت قد استخدمناها ، بدون وعي في هذا الورقة ، متاثراً بطه حسين الذي كان الصوت بالنسبة إليه مسألة جوهرية في الحياة وفي الكتابة مثل صوت باريس ، وصوت أبي العلاء المسري . . . ثم ترجمت أعمالاً أخرى لراسين وفاليري الخ . . . وانضم إلى الصحافة ، كتبت في جريدة الزمان المسائية بالعربية التي كانت تصدر عن إدارة جورنال مصر بالفرنسية ، وكان عملى بها هو ترجمة بعض الأعمال الغربية ، ونشرت سلسلة من المقالات ، ثم بعثت إلى فرنسا لتحضير رسالة الدكتوراه . وكانت أرسال أثناء وجودى فيها مجلة « الكاتب » التي كان يصدرها عادل الغضبان عن دار المعارف ، ثم كتبت في مجلة أوسع انتشاراً هي «كتابي» التي كان يصدرها حلى مراد ، وكانت أزورده بالكثير من المقالات التي تعرف بالسرحيات الحديثة والقصص التي تعبّر عن التياترات الجديدة في فرنسا . . . كنت أفعل ذلك وفي ذهني القاريء العربي المثقف كذلك كتبت في مجلة اسمها «دراسات التاريخ المصري» وكان يصدرها شاب نشط هو جاك داغر ، وأنذكر جيداً هذه المجلة لأنى كتبت فيها مقالاً بعنوان « تحت عنوان : « الهضة المصرية وحدود حملة بونابرت » أشرت فيه إلى مسألة التأثير الثقافي للحملة الفرنسية وحطمت أسطورة أنها كانت إيقاظاً ثقافياً في مصر . وكانت مقتنعاً بأن الهضة الثقافية المصرية لم تكن مستوردة وإنما كانت تلبية لحاجة عميقه عندنا مثلها رفاعة الطهطاوى بصورة نموذجية . . . وقد أثرت هذه المقالة في الفرنسيين بشكل لم أكن أتوقعه ، رغم أنها لم تتضمن أي مهارة بل كانت بحثاً تاريخياً علياً ، ورغم أن المقال ظهر عام ١٩٥٥ إلا أن ردود الفعل عليه استمرت طويلاً . وأنذكر أن جان لاكتوير تحدث عن هذا المقال في كتابه عن عبد الناصر كما حتى جاك بيرك بشانه في إحدى الحلقات الثقافية التي شاركتها بها سوريا . . . ثم أنهيت رسالة الدكتوراه وظهرت بالفرنسية عام ١٩٧٠ تحت عنوان : أدب الرحلات المصريين في فرنسا في القرن التاسع عشر ،

و كانت بشكل ما الرد على كتاب جان ماري كاريه عن الرحالة والكتاب الفرنسيين في

مصر . . . .

◆ هل يمكن أن تقول إن رسالتك هي دراسة في "الاستغراب" كما كان كتاب كاريه دراسة في الاستشراق ؟

● في الواقع هما وجهان لعملة واحدة . لكنني أعتقد أن كلمة «الاستغراب» فيها طاقة هجومية لذلك أريد أن أستبعدها من الحوار ، فالحوار مع الغرب موجود منذ القدم . وفي الفترة الحديثة كان رفاعة الطهطاوي هو الرائد الذي جاء إلى فرنسا وورث تنوير القرن الثامن عشر ، ومكث مدة طويلة في مناخ من الحرية الثقافية والإحترام المتبادل جعله يتمكن من الحوار مع الآخر ومع نفسه . وكلنا نعلم سلامة منهاج «التخلص» الذي انتهجه صاحب «تخلص الإبريز» ، لقد كان مستغربا دون أن يختل توازنه الفكرى بهذا الاستغراب ، إنما الخلل مائل اليمى بمجرد إشهار هذه اللقطة «الاستغراب» التي ثم عن معنى الانسحاء والجنوح وتعبر عن تهاوى قائلها إلى جانب معين .. الأكرم لنا أن نظل مستغربين على السليقة أى مستوعبين لعلاقتنا بالغرب ونحن واثقون من أنفسنا ونسلك سلوك آنذاك .

◆ إذا أنت ترى المشكلة في المصطلح الذى يحمل طاقة هجومية - مواربة للطاعة الهجومية الموجودة في الاستشراق - وليس مبدأ الاستغراب في حد ذاته ، أى ضرورة دراسة المضمار الغربية من خارجها ؟

● بالطبع هذا الاستغراب الإيجابي الطبيعي موجود لدينا بالفعل منذ أقدم عصورنا الثقافية ، غير أنها لم تكن تطلق على هذا النشاط كلمة سلبية كالاستغراب ، مثلاً في العصر العباسي أطلقوا على أكبر مركز للاستغراب اسم «دار الحكمة» حيث اتبرى المترجمون لترجمة الكتب اليونانية ، أما اليوم فإن اشتراق لغطة الاستغراب على نمط الكلمة الاستشراق محاكاة لها أنكاء عليها وهو تناقض من جانب من يريد أن يتحرر من المحاكاة وبثت أنه قوى مستقل .. يا للغرابة ! إنما الذي أستغرب : أى أتعجب من هذا التناقض . لقد كانت لدى فكرة جيدة عن حسن حتى كمنكر رصين ، لكن كتابه

الأخير يتضمن سطحية وغوغائية تعكس ظاهرة ردة ثقافية . كان طه حسين يتحدث عن الآخذ والعطاء بين ضفتى حوض البحر المتوسط ، فلماذا تصنع اليوم ردة ونكسة ؟ أليس من علامات المتقدمة أن يظهر مصطلح « الاستغراب » في هذه الفترة من الفقر الثقافي عدتنا والتي لاحظنا فيها انحسار نشاط الترجمة ؟

◆ هذا الاستغراب الإيجابي الذى تحدث عنه ، فى مواجهة الاستغراب الليلى أو الهجومى ، أين نجد الآذن ؟ أين تلك الدراسات والابحاث والروايات التي تملئ الشفاعة العربية المعاصرة ؟ أين إضافاتنا ؟

● ليس في جامعاتنا أقسام اللغات الأجنبية وحضاراتها ؟ أقسام اللغات الحديثة كالفرنسية أو الإنجليزية واللغات القديمة والتاريخ الفلسفية ... فيها تتعلم وتحى وتناقش كيف يتصرف الآخرون ويعبرون عن مشروعهم الفكري وبنائهم الحضاري، إنما نحلل كتبهم وعلومهم وأنظمتهم وتياراتهم الفكرية ، وهذا الاستغراب يمارسه أيضاً أكاديمية القانون في كليات الحقوق وأساتذة العلوم في مختلف المختبرات العلمية وأساتذة الفنون الجميلة ... إلخ ، باختصار : مخاطبنا للغير عن أنفسنا ومخاطبة أنفسنا عن الغير المعامل أمانا هي عملية واحدة ذات شقين . والقول « بالاستغراب » إهانة لنفسها وإخلال بحقنا الطبيعي في توازن الآخذ والعطاء .

◆ كيف تفسر أن هناك بعض الباحثين الغربيين وكذلك العرب الذين لا يرون في « الاستغراب » طاقة هجومية ، يطالبون باللحاج بان نبدأ مرحلة جديدة في دراسة الحضارة الغربية من خارجها ؟

● أنا أرى من الأفضل للحضارة العربية أن تدرس من خارجها بعين العرب أنفسهم . لأنه طالما نحن ملتصقون بخصوصنا وكالماء خصوصا في عهود الانحطاط التي نعيشها فإن النكسة ستزداد خطراً ، ولابد أن نبعد قليلاً وننظر إلى أنفسنا في المرأة .

◆ تحدثت عن الردة الثقافية وعن النكسة ومن الطاقة الهجومية .. لكن لدينا من يقول إن الطاقة الهجومية آتية من الجانب الآخر ، من اللغة الشمالية للبحر المتوسط ، وأن ما نفعله هو محاولة للاحتماء من هذا المدوان ؟

● لقد عشت هذه التجربة أيام عبد الناصر ، كانت نوعاً من الاحتجاج الوطني ، كانت رغبة في أن تعبر عن أنفسنا بالعربية إلى درجة أنه خففن ساعات التدريس باللغات الأجنبية وكانت نتيجة أننا افقدنا اللغات الأجنبية واللغة العربية أيضاً ، ونسينا أنها عندما نستخدم لغة العالم الخارجي فإن ذلك يبعد إضافة إلى ثرواتنا . هذا الإحساس بالنقص والانطواء ، أنا كنت أدرس اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية ، لقد انفرض هذا ، وصار لدينا ناس أميون حتى باللغة العربية . فمن الطبيعي عندما تدرس النحو الإنجليزي متى ستجد له قواعد معينة ستجعلك تفكير في النحو العربي واستثنى قواعد النحو العربي عندما تقارنها بغيرها ، لكن لوحدها ربما لن تتفسح المجالة في استخدام هذه القواعد ، في تصوري أن ميزة إيجابية كبيرة فقدناها بفقدان اللغات الأجنبية .

◆ بشكل عام فإن صورة الغرب في وعي المثقفين العرب - والعالم الثالث - لم تعد تلك الصورة التي كانت في الفترة التي بدأنا فيها ترجماتها . والصورة الآن بamente الآلوان ولا أقول انهارت تماماً ، كيف نفس ذلك ؟ وعلى من تقع المسؤولية ؟

● يبدو لي أنه ينبغي الآن رد على أخطاء الغرب باختصار من عندما وإنما نرد على الجهة بالحكمة لكم نكتب . فعندنا يجردون علينا الجيوش والأساطيل لا يعني أن تخلى عن قيمنا الثقافية ، وأعتقد أن تنازلنا في الوقت الحالي عن الترجمة وعن البحث هو تخلي عن قيمنا الثقافية وتغريط في حقوقنا الخاصة جداً بل أعتقد أنه من الضروري لنجاح المقاومة أن نفهم جيداً من الذي أماننا وما الذي يمكن وراء فكره ، وأن نخاطبه بلغته ، وهذه أمور غير جديدة في التاريخ . . .

◆ في الماضي القريب كان هناك إيمان عميق لدينا بقيم المقلالية والتتير والآن هناك وعي بأن هذه القيم لا تسود بين الناس بالمقدار فيه . ولم تعد هناك معايير ثانية ، فائ قيم ثقافية ندعى الحفاظ عليها وتنميتها الآن ؟ وهل يمكن استعادة مشروع طه حسين اليوم مرة أخرى ؟

● أبداً وأقول : طه حسين كان تعبيراً عن عصر معين . وكان دائماً يقول نحن أئمداد للغرب ، وبيننا وبينه علاقة مساواة . كان يدعو للتعامل مع الغرب بدون خوف وبدون

مركب نقص ، ولا ينفي أن ننسى أن طه حسين أثناء حرب المقاومة في الجزائر رد  
لباشين فرنسيّة حصل عليها في وقت سابق . في الواقع إننا اليوم لم نعد نملك أنفسنا  
... ثم نقول إن الغرب هو الذي اعتدى علينا وجردنا من قيمنا ... لا ، نحن الذين  
تخلينا عن قيمتنا . تلامذة طه حسين في كل مكان ، لكنهم شردوا عندما تناول السلطة  
رجال غير مثقفين ... جاء النظام العسكري في مصر وأقضى طه حسين ولم يتحقق  
مشروعه ، لأن العالم شهد هزات وفقدنا الأن بعد الشفافي الذي مثله طه حسين في  
فترة ما من تاريخنا ... الهرة الآن عبقة .

◆ ما هي ملامح مشروع نهضة ثقافية جديدة في العالم العربي؟ من أين نبدأ؟

- ينبغي أن نبدأ باستعادة الثقة بالنفس ، ولن يكون ذلك عن طريق «وصفات»  
جزئية وإنما باستعادة تراث الأعمق الثقافية والحضارية ، فمصر والشرق أساس  
الحضارات كلها . علينا أن نبدأ بالخروج من الأممية أولاً .

**محسن مهدي**

**فلسفة الإسلام تكلموا باسم الآخر**



العلاقة مع الآخر لم تكن غالبة عن الحوار مع محسن مهدي الذي كرس نشاطه وأعماله لبحث قضية العلاقة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية، ومن أعماله الرئيسية : فلسفة الفارابي الأفلاطونية والأرسطية (١٩٦٢) و الفلسفة السياسية في العصر الوسيط (١٩٨٤) . ويحصل محسن مهدي في جامعة هارفارد، وينتير في الوقت عيه «مركز لغات وحضارات الشرق الأدنى» . وقد ألقى عدة محاضرات في معهد العالم العربي بباريس عن : الفلسفة السياسية في الإسلام - الفارابي والأفلاطونية . وعن محاضراته وأعماله وزريته للأخر الفلسفى في المصور الوسطى كان هنا الحوار:

◆ بدأت مسيرتك الفكرية بدراسة ابن خلدون، هل كان ذلك مصادفة أم أن لهذه البداية دلالات يمكن أن تطلعنا عليها؟

● بدأت في الحقيقة، بابن خلدون لأنني كنت أتساءل عن تاريخه، عن علاقته بمناصبه وبمستقبله، واخترت ابن خلدون لأنه كان ينظر إلى التاريخ العربي كجزء من التاريخ الإنساني، ولأنه حاول أن يركز على أسس نشأة هذا التاريخ وطبيعته وتطوره . ولأنه كان يهتم أيضاً بمشكلة الانحطاط وتغير حالة العالم العربي من حالة كان له فيها موقع الصدارة في ما يخص الإبداع الفكري والحضاري إلى حالة أخرى أصبح فيها إسهامه من الدرجة الثانية أو الثالثة، في الوقت الذي نهضت فيه أجزاء أخرى من العالم . وتحسنت اهتماماته هذا في كتاب أصدرته عن ابن خلدون، ثم قادني هذا الاهتمام إلى دراسة الفلسفة من أجل فهم الأسس الفلسفية للتاريخ وتطور المجتمعات . وكان من الطبيعي أن أتجه نحو الفيلسوف السياسي الذي يمثل الفلسفة السياسية في الفكر السياسي الإسلامي . وهو الفارابي .

◆ عندما انتقلت إلى دراسة الفارابي هل كانت أعماله متوفرة ومحققة بصورة علمية دقيقة؟

● وجدت بعض الكتب البيطرية للفارابي، في ذلك الوقت، لكنها كانت في طبعات

لا تقرأ، بينما كان كثيرون من مؤلفاته لا يزال مخطوطاً في أماكن مختلفة من العالم، بعضها كان في العالم العربي، والقسم الأكبر منها كان في تركيا وإيران وأفغانستان وروسيا. فأنضفت مدة كبيرة في البحث عن هذه الكتب وقت بتحقيقها ونشرها. ولحسن الحظ ما زال أغلبها يعاد نشره بصورة مستمرة، من دون علمي طبعاً، عن دار المكتبة الشرقية في بيروت.

◆ هل تُرجمت أعمالك بالإنجليزية عن الفارابي إلى العربية؟

● مع الاسف لم يترجم منها الكثير . بعضها ترجم إلى الفرنسية، وبعضها ترجم إلى العربية، لكن أغلبها لم يترجم بعد، وما زلت أذكر في أن أجمع مجموعة منها لكي ترجم إلى العربية قريباً، غير أن اهتمامي المباشر الآن هو هذه المحاضرات التي ألفها في «مهد العالم العربي». وستكون بداية لكتاب سيصدر عن فلسفة الفارابي السياسية وعلاقة الفارابي بالتراث الفلسفى اليونانى، خصوصاً الأفلاطونية من جهة، وإبراز أهمية الفلسفة السياسية للعالم العربى الإسلامى في العصر الوسيط من جهة ثانية .

◆ ما هي هذه القضايا التي من خلالها بررت أهمية فلسفة الفارابي السياسية بالنسبة لك؟

● يمكن القول إن من مزايا الفارابي أنه جاب بلدان المشرق . فقد ولد في آخر المشرق . وسافر إلى بغداد وسوريا ومصر، وصارت لديه فكرة عامة عن طبيعة العالم الإسلامي، في وقت كانت الخلافة العباسية لا تزال تتمتع بشيء من الحياة والقدرة، وفي هذا القرن العاشر حاول الفارابي أن يفهم طبيعة النظام السياسي في المجتمع الذي عاش فيه، وكان يُشعر الإنسان بوجود قضايا وجودية و يومية معاصرة، هي التي تدعوه إلى أن يستعمل تاريخ الفكر الفلسفى، كى يفهم ما يجري حوله . وكتب الفارابي في الكثير من المؤشرات، ييد أنه ركز على مشكلة علاقة مركز الخلافة أو الإمبراطورية بالمدن والأمم المختلفة التي كانت متدرجة بها. فقد كانت الخلافة العباسية في هذا الوقت على

قدر كبير من الانتشار والاتساع، ومع ذلك، وهو الأهم، كانت هناك مدن عديدة، وأمم عديدة، ودول عديدة، مستقلة تقريباً في علاقاتها مع هذه الخلافة، بل الطريف أن الخلافة العباسية، وهي مركز الشقل في هذه الإمبراطورية المتراوحة الأطراف، كانت هي التي تحافظ على علاقات هذه الأمم ببعضها البعض، فكانت هناك خلافة واحدة لكنها تتضمن نظاماً سياسياً مختلفاً، تجمع بينها، كانوا هم دولة غير مركزية، وكان هذا أهم شيء في نظرى، حيث نجد أمماً مستقلة تساعد بعضها البعض وتساعد الخلافة المركزية . والملفت في زمن الفارابي ما جرى في الموصل وحلب، إمارتين صغيرتين يرأسهما الحمدانيون، فقد كانوا يدافعون عن الخلافة العباسية في العراق نفسه وعلى الحدود البيزنطية . ما أخلص إليه هو أن النظام غير المركزي كانت له فوائد كثيرة . فقد كانت الأمم والمدن مهتمة بالدفاع عن بعضها البعض، فمع وجود اللامركزية والاستقلال الذاتي لهذه الدول كان هناك نوع من الوحدة والتعاون، وهذه قضية أعتقد أنها تهمنا اليوم . نحن متفرقون ولا يوجد هذا النظام الشامل الذي نجد مثله في أمريكا وأوروبا مثلاً، حيث تبدأ الدول والمدن صغيرها وكبيرها . تتحد لغرض الصالح العام، وهذا الشيء، كان قائماً في التاريخ العربي ثم ضاء، هذه إحدى المشكلات التي ينكر فيها الإنسان عندما يدرس الفارابي .

◆ عنوان محاضراتك التي في «معهد العالم العربي» هي «الفلسفة السياسية في الإسلام» وتحتها «الفارابي والأفلاطونية» والمتابع للمحاضرات التي قدمتها حتى الآن يخرج بانطباع أنك تتحدث أساساً عن مصادر الفارابي في الفكر اليوناني وليس عن الفلسفة السياسية في الإسلام؟

● الواقع أن الطريقة التي كان يكتب بها الفارابي هي طريقة طريفة وغير معروفة بصورة عامة، لكن أصولها قائمة في الطريقة العامة التي كان يزعم بها في ظل الإسلام، وهي أن الإنسان عندما يكتب، فإنسما يكتب دائماً عن الأصول أو عن الأوليات، فعندما

يريد أن يقول شيئاً فدائماً يتكلم باسم الأول، بمعنى أن يقول ما يريده باسم أفلاطون أو أرسطو . الواقع أن جميع هذه الكتب التي كتبها الفارابي هي إلى حد كبير مؤلفات شخصية، أي أن الفارابي كتبها من منظور ما يبغى أن تكون عليه الفلسفة كل منها . فالفارابي درس هذه أرسطو بدون أن يهم بالطبع الأصول المكونة لفلسفة كل منها . فالفارابي درس هذه الأصول وفكرة فيها ليخلص إلى ما يبغى أن تكون عليه الفلسفة، وهو عندما يتكلم عن أفلاطون وأرسطو لا يتكلم كلاماً تاريخياً، إنما يتحدث من خلالهما، عن جذور الفكر الفلسفى ، ويريد أن يقول من خلال ذلك : إذا أردتم أن تفهموا الجذور فهو هنا، وهكذا يصل إلى الشىء الذى يمكن على أساسه أن ندرس الواقع المحيط . وكما ذكرت، كان هذا الأسلوب شائعاً في التراث الإسلامي . أي أن الإنسان عندما يتكلم باسم الآخرين يعطي لكلامه نوعاً من الأصولية، وهذا هو الشىء الذى يبغى أن يتبه إليه الإنسان في رؤيته لكتب الفارابي .

◆ لكن لا يفترض الحديث عن «الفلسفة السياسية في الإسلام» مصادر أخرى، أو بتعبير آخر : هل يمكن الحديث عن الفلسفة السياسية في الإسلام من خلال علاقة الفارابي بمصادره اليونانية فقط ؟

● بدون شك هناك فكر سياسى دينى في الإسلام مبني على القرآن الكريم والسنّة . وهناك فكر سياسى بمعنى عام مبني على ما شاهده علماء الإسلام في النظم السياسية من الجارية، وهناك فكر سياسى عند الفقهاء، حيث كانوا ينظرون إلى النظم السياسية من ناحية الفقه الإسلامي، وهناك فكر سياسى مهم لدى المتكلمين . وبدون شك أيضاً عندما يقرأ الإنسان أي كتاب جامع من كتب علماء الكلام سجد في نهاية فصلأً عن الخلافة . إذا هناك في الفكر السياسي الإسلامي أشياء مختلفة، فالفقهية يختلف عن المتكلم . . وهكذا، وضمن هذا العدد من الطرق التي ينظر فيها علماء الإسلام إلى مشكلة الحكم، كان هناك الفكر الفلسفى السياسى . ولكل واحد من هذه الطرق مصدره أو مصادره الخاصة، والمصدر الأساسي للتفكير الفلسفى السياسي هو المصدر اليونانى بشكل عام .

◆ عندما يتحدث الإنسان عن فلسفة «إسلامية» في جوانبها السياسية أو غير السياسية، فإنها بالضرورة تعنى علاقة ما مع الأصول الإسلامية أولاً . . .

● عندما يقول الإنسان فلسفة إسلامية يستجع مبادرة أن هذه الفلسفة انطلقت من القرآن الكريم أو السنة، وهي مصادر كانت تهم الفلسفة المسلمين لأنهم دون ذلك لا يمكن أن يكونوا فلاسفة مسلمين، لكن عندما نظر هؤلاء، الفلسفة في القرآن والسنة كانت لهم اتجهاداتهم الخاصة .

◆ ما مدى حضور هذه الفلسفة السياسية في واقعنا اليوم؟

● يجب أن يفرق الإنسان بين حضورها وما يجب أن تكون عليه، حضورها قائم، وهناك الكثير من الكتب الأساسية في تاريخ الفلسفة السياسية موجودة باللغة العربية بدها من جمهورية أفلاطون وحتى روح القوانين لمونتيسكيو وغيرها . وهناك من يقرأ هذه الكتب . وبالتالي أرى أن حضور هذه الفلسفة السياسية في العالم العربي مستكملاً، عندما يبدأ العلماء المسلمون بهضم هذه المصادر واستخدامها لفهم حاضرهم السياسي ومستقبله .

◆ أقصد الفلسفة السياسية في الإسلام .

● كتب عنها الكثير، لكن مع الأسف ما كتب عنها يحتاج إلى تعمق وتدقيق، لأن ما يكتب في الفلسفة في العالم العربي اليوم فيه الكثير من التسرع، وهذا يجوز في قضايا أدبية لكن القضايا الفلسفية تحتاج إلى ثامل وتفكير وإعادة تفكير وتعمق . . . مشكلة الكلام عن الفلسفة السياسية في الإسلام لها علاقة بواقع المجتمع العربي، وتحتاج إلى تفكير في واقعه والعالم المحيط به . ولا بد منربط هذا الكلام بالتاريخ الإسلامي، والواقع الإسلامي القديم أولاً، ثم الحديث . . . أعتقد أن قراءة الأصول الفلسفية اليوم أو الاهتمام بمختلف السدارات الفلسفية هما أكثر بكثير مما حدث في الماضي، ولا أعتقد أن العالم الإسلامي، كان يقرأ الكتب الفلسفية بمقدار ما يقرأها اليوم . وقد لا

يفهم الإنسان المعاصر كل ما يقرأ، إنما الواقع المؤكد أن الكتابات والمدارس الفلسفية المختلفة هي على درجة كبيرة من الانتشار .

◆ هذا يؤدي بنا إلى التساؤل عن العلاقة بين الفلسفة العربية الحديثة، والمعاصرة والفلسفة الإسلامية في العصر الوسيط، هل هي علاقة استمرار أم انقطاع في تصورك؟

● هي علاقة استمرار، وانقطاع في الوقت ذاته . فيفي علاقة استمرار بمعنى أن الفلسفة الإسلامية في العصر الوسيط تدرس في عدد كبير من الجامعات في العالم العربي ثم تنتشر في ما يطبع وينشر من الأصول والدراسات عنها . لكن المشكلة الفكرية التي لم تعالج بعد هي صلة الفلسفة الأوروبية في العصر الحديث والفلسفة الأوروبية المعاصرة بتراث الفلسفي الإسلامي ، وهو أمر يتطلب معرفة مباشرة وعميقة للتراثين .

◆ في قاموس صدر بالفرنسية منذ عشرة أعوام ويحمل اسم «قاموس الفلسفة» هناك حديث عن الفلسفة العرب المعاصرین فنجد بعض الأسماء مثل : محمد غزالی، طه حسين، عبد الوهاب بوحدیہ، الجایزی ... كیف تنظر إلى هذا الاختیار !؟

● قد يكون مصدر هذا الاختیار هو جهل الذين شارکوا في كتابة ماده هذا القاموس لمعنى الفلسفة وربما سبب ذلك هو تلك الفكرة الغوغائية عن الفلسفة والنظر إليها على أنها توارى الفكر بصفة عامة ، وبالتالي اعتبروا الأسماء التي ذكرتها، وهي أسماء كبار المفكرين العرب على أنها أسماء لفلسفة عرب من دون أن يكون هناك دقة في التمييز بين الفلسفة والأدب أو بين الفلسفة والمفكرين والأدباء . في الماضي ، عندما كان الإنسان يتكلم عن الفلسفة ، كان من المعروف عمن كان يتحدث ، كان يتكلم عند الكثدي : الفارابی ، ابن سينا ، أما اليوم فقد تغير إلى حد ما ، هذا المعنى المتضمن في كلمة فلسفة ، وهذا ما حدث أيضاً في الغرب .

◆ أين هي الفلسفة العربية اليوم ؟ وأين هم هؤلاء الفلاسفة العرب بالمعنى الدقيق للكلمة في نظرك؟

● قد لا يكون هناك فلسفه عرب اليوم، إنما بدون شك هناك من بهم بصوره جديه بمشكلة الفلسفه في العالم العربي، وهناك أشياء جيدة كتبت منذ أن درست الفلسفه، في جامعة القاهرة في العشرينات من هذا القرن، وهناك من فكر سواء في تحديد موضوع الفلسفه أو في كيفية تدريسيها، هناك اجتماعات جرت حول هذا الموضوع في القاهرة وعمان ونشرت أعمالها في بيروت عن واقع الفلسفه في العالم العربي اليوم .

◆ في محاضراتك حديث عن "المدينة الفاضلة" ، يتداعى التساؤل عن إمكانيات تحقيقها، ومدى توافر النجاح في هذه المحاولات قديماً وحديثاً ؟

● هناك سوء فهم، إلى حد ما، يتعلق بتحقيق المدينة الفاضلة في التراث الأفلاطوني القاريء، أعتقد أنه معروف عند دارسي أفلاطون أنه لم يعتقد أن الجمهورية أو المدينة الفاضلة، يمكن أن تتحقق، لذلك وضع كتاب التوامين ورسائله. ومن المعروف أن الجمهورية أو المدينة الفاضلة هي «مثال» في السماء، لذلك لا بد من أن ينظر إليه على إنه حلم، لكنه حلم لا علاقة له بالواقع، هناك أشياء كتبته، والقاريء نفسه كتب أشياء لها علاقة بالواقع السياسي، وتحسين ما هو موجود وليس تحقيق المدينة الفاضلة، لأنها عادة تستخدم كحلم يبعد الناس عن الواقع السياسي المعاش إلى حد ما، لذلك من الأفضل أن تكون للإنسان نظرة عن واقعه السياسي وكيف يمكن أن يحسن هذا الواقع خطورة خطورة. هذا هو الفكر السياسي السليم الذي يعرف أن الواقع هو الذي يجب أن يبدأ منه الإنسان ليتمكن من أن يخطو خطوة أو اثنين في الطريق الصحيح، وهذا هو الذي نحتاجه الآن، قد يعتقد البعض بأن الحديث عن المدينة الفاضلة يعني ضرورة تحقيقها، غير أن محاولات تحقيقها في الماضي أدت إلى خراب المدينة.

◆ هل تشير إلى بعض التجارب المعاصرة ؟

● من الأمور المستشرة في العالم الإسلامي اليوم فكرة الثورة أو «الانقلاب» على أنها الطريق الوحيد لتحسين الأمور أو السير في الطريق الصحيح، أما أنا فازى ضرورة التمييز بين الشورة والإصلاح، أنا اليوم ضد الثورة بمعناها المعاصر في العالم العربي، ومع

الإصلاح، وهو طريق قد يكون بطيئاً وقد يسير خطوة خطوة، لكنه يؤدي في النهاية إلى نتيجة حقيقة . أما طريق الشورة الذي سار في العالم العربي فقد وصل به إلى باب مغلول، فعندما يفكر الإنسان في الإصلاح يمكن أن يعرف ويدافع عما هو أصلح، أما الشورة فقد أصبح من الصعب معرفة معناها وغايتها ومسيرتها . . . وهذه هي مشكلة الفكر السياسي في العالم العربي اليوم، إذ عليه أن يدقق في الطريق الذي يقود إلى نتائج حقيقة . . . لا شك في أن طريق الإصلاح هو طريق بطيء ويحتاج إلى المزيد من الديمقراطيّة وتقبل اختلاف الرأي والنقاش في ما هو أصلح ، والابتعاد عن الأيديولوجيات المتحجرة، لكنه الطريق الوحيد الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى نتائج حقيقة وملمومة .

علال سيناصر  
مستغربون أكثر مما نظن



العلاقة بين الغرب وثقافته علاقة محورية في حياتنا الثقافية، وعندما نناقش قضيّاً ثقافياً عربيّاً نجد مسألة العلاقة مع الآخر تفرض نفسها على أكثر من صعيد، وليس هناك ما هو أدقّ على ذلك من قضيّة تكوين الفكر العربي الحديث والمعاصر، والتساؤلات التي طرحتها حول واقع الفلسفة العربية اليوم، ولماذا لا يوجد فلاسفة عرب معاصرون، وهي تساؤلات طرحتها على مفكرين عرب : على فهمي خشيم، ربيه جبشي، فؤاد زكريا، ركي نجيب محمود، وغيرهم، وهنا استكمال لهذه القضية مع علال سيناصير، وهو مفكر مغربي درس دراسة مزاجت بين القديم والحديث، وأعاد طرحه عن فلسفة العلوم بين الفلسفة والمنطق الرياضي، فاهتمامه الرئيسي يتعلق بتاريخ الرياضيات والمنطق الرياضي، كما يقوم بتحقيق النصوص القديمة، ويحمل منذ سنوات رئيساً لدائرة الفلسفة باليونسكو :

◆ بوصفك مديرًا لدائرة الفلسفة باليونسكو، وبروصف اليونسكو ملتقى لفلسفات وثقافات عديدة، تزيد أو لا أن تعرف إلى اهتماماتك الثقافية؟

● الاهتمام الرئيسي عندي هو بالفلسفة أولاً وبشأن الفكر في العالم المعاصر، لقد نشأت في بيته عربية إسلامية لكنني لا أتجاهل موقعى من العالم بمشاكله وأحداثه وقضاياها، فالذى يهمنى دائمًا هو العطاء الفكرى ومدى استقلاله وحريته، وأهتم بالفكرة وليس بالأيديولوجيات .

◆ كيف تحدد لنا موقعك الثقافي؟ هل تقول إنك مفكر عربى، أو إسلامى، أو عالمى؟  
● لا يمكن أن أعطى هذا التساؤل ما يتطلبه من تحديد.

◆ فلنطرح السؤال بصيغة أخرى: الفكر الذى تهتم به والفلسفة التى تتبناها، إلى أى محظى تنتهى؟

● إذا افترضنا أن للفلسفة وجوداً في العالم العربى أو الإسلامى أو العالم الثالث، وإذا افترضنا أنها تأتي إلى هذا العالم بعطاء، أيا كان هذا العطاء، فإنه لن يكون عطاء

فلسفيًا إلا إذا كان يعالج مشاكل فلسفية محددة، وفي تصورى أنه لا يمكن لفيلسوف أن يتطرق من واقع جغرافي رغم أن هذا الواقع قد يؤثر في توجيهه تزاولات يكون قد ورثها عن التقاليد الفلسفية السابقة عليه .

◆ ومع ذلك يقال أن هناك نسلة فرنسيّة المائة وللسنة عربية وأن هناك فيلسوفاً فرنسيّاً أو مائياً أو عرياً، وبالتالي لا يتم الالتباس إلى جغرافيا ولغة وتراث أيضًا؟!

● ديكارت بطبيعة الحال هو فيلسوف فرنسي، وربما أعظم فيلسوف فرنسي منذ أن تكونت فرنسا حتى الآن، ولكنه كمفكر قد وضع فكره في إطار مجموعة من العلوم لها منطقها الخاص، وهو إذا فكر في مشاكل تتعلق بالفيزياء أو الرياضيات أو الفلسفة، فإنما يرجع في ذلك إلى تراث سابق عليه يتضمن تقاليد فلسفية وعلمية متزنة، منها العلوم العربية في البصريات، والمهاراتات العربية في الجبر وغيرها ... وقام ديكارت بتجديد ما ورثه، وذلك على الرغم مما يمكن أن نسميه القطيعة التي اعتبرت هذا التطور الإنساني في المعارف، إلا يتسم إلى محبيه الشخص، لكن أقول إن العطاء الفكري لهذا الفيلسوف أو ذلك يتجاوز الحدود الضيقة إلى الدرجة التي يمكن أن ينسى فيها اسمه، لكن تظل أفكاره خالدة في المنظومات العلمية، فنادرًا ما يذكر أن الخوارزمي قد وضع شيئاً ما في الجبر إلا لدى الناس الذين يهتمون بالتاريخ، بينما لدى غالبية من يدرسون الرياضيات لا يعرفون أن ما يدرسوه يتعلق بمساهمة عربية، ولا نسمع أحدًا يقول أن الجبر عربي رغم أنه نشأ وتترعرع لأول مرة في ميدان إسلامي صرف، وبالتالي لا يمكن أن نقول أن المفكر لا يتسم إلى بلد وثقافته لكن إبداعه إذا وصل إلى أي نتيجة فإنه ليس محدود الاهتمام، والأصالة الوحيدة التي قد تكون لل الفكر هو أنه يهدف إلى شمولية تعدد حدود انتشاره الجغرافية والتاريخية .

◆ ولماذا لا تغير عن الفكر بصياغة أخرى فتقول مثلاً إن الفكر له حدود؟

● هذا شيء لا أتباه لأنني لا أفهمه .

♦ اليس هناك فكر فلسفى وسياسى واجتماعى ؟ وبالتالي لا يمكن لهذا الفكر ان يخرج عن حدود محبيه ورمته وتاريخه إلا إذا كانت تحدث فى ميدان غير ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية !

● بالطبع العلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية، وما إلى ذلك من تطبيقات لكلمة علم على ميادين مختلفة، هي علوم تطبيقية منذ البداية أى أن بدايتها واقع أو مجموعة من الظواهر الاجتماعية . بالنسبة لى لست مؤرخاً، ولا عالم نفس، ولا عالم اجتماع، وإن كانت هذه الأشياء كلها تهمنى جداً . وقد أجد بعض المرات فيها فائدة قد تنقص أو تزيد وفقاً لما أقرأه مما يتمنى إلى هذه الميادين، فإذا إذا تحدثت عن فكري فأعنى بذلك الفكر الفلسفى، والفلسفة ظهرت فى ظروف خاصة وتطورت فى هذه الظروف، وكان لها أثر فى تكوين الحداثة التى نعيشها، وكان للعرب وفلسفة الإسلام دور فيها، لأنهم كانوا حلقة مهمة فى التطور الفلسفى الذى أدى إلى ما نسميه اليوم بالحداثة عبر تجربة الفكر الأوروبي .

♦ لماذا لا يوجد إذاً فلاسفة عرب اليوم ؟

● مع كل ما عندي من احترام لما فى العالم العربى من مجهد فى سبيل انعاش الفكر العربى، ورغم ما فى العالم العربى من مدرسین للفلسفة، فاعتقد، وربما أكون مخطئاً، أن الفكر الفلسفى العربى الآن عديم الوجود، لأنه نقل عما يجرى فى الفكر الفلسفى خارج العالم العربى، وفي أغلب الأحيان يكون ذلك نقاًلاً بسيطاً لم يستوعب الأصول المنقول عنها .

♦ هذا يعني أنك تعود وتقر بمسألة الواقعية والشكافية والتى يتسنى إليها الفكر الفلسفى، رغم أنك منذ قليل كنت تقول بغير ذلك بصورة غير مباشرة .

● لا، لأن هناك نوعاً من الغلوط فى هذا الإجمال، الموقع لا يؤثر على الفكر كفكرة، وإذا أثر فيه فغالباً لحدود فى مجهد الفكر، ولكننى قلت وأعيد أن هذا لا يعني

أنه لا علاقة للمفكير بالبيئة والمحيط الثقافي الذي يعيش فيه . مثلا لا يمكن إخضاع كل مجاهد هيجل أو فوجنشتين أو هيدجر أو ابن رشد - مع تغير الأسكنة والأمثلة - لا يمكن اخضاع هذه النماذج الفلسفية كلها إلى محيطها . ولكن هذا لا يعني أن ابن رشد ليس هو الفيلسوف الذي عاش في قرطبة في فترة من الزمان ، وهذا لا يعني أن هيدجر لا ينتمي إلى المساواة ما بين الحررين العالميين الآخرين ، ولا يعني هذا أن هيجل لا علاقة له بعالمنا في بداية القرن التاسع عشر ، كما لا يغير ذلك أيضاً أن فوجنشتين لا يوجد مجاهد فلوفي ، فإن هذا ليس نقدا وإنما تسجيل لواقع ، فانا لست أهتم بالجواب الأدبي للفلسفة لكنني أرى المجاهد الأدبي للمثقفين العرب أعلى بكثير من مجاهدهم الفلسفي . وأعتقد أن هناك نوعاً من الظلم بالنسبة للمثقفين العرب إذا قيل إنه لا يوجد لديهم مجاهد فكري بصفة عامة ، لكن المجاهد الفكري في ميدان الفلسفة لم يبلغ بعد المستوى العالمي الذي يمكن أن يضع الفلسفة في موضعها الطبيعي ، أي الطرح العالمي ، الشمولي ، الجامع ، المانع لبعض المشكلات الفلسفية ، وهي كلها مشكلات جذرية وليست مجرد تأويل وشرح وإعادة لمات ، فوجنشتين لم يحل مشكلة فلسفية لكنه أثار الانتباه إلى أساليب الفلسفة وأساليب التأول الفلسفى نفسه ، وهيدجر لم يأت بحل جديد ، ولكن غير عن إشكالات فلسفية في أسلوب جعلها تعبير عن اهتمامات الإنسان المعاصر .

◆ هل تقبل بالتمييز بين الفلسفة والمتكلرين ، بمعنى آخر ، قد يكون لدينا مفكرون ولكن ليس لدينا فلاسفة !؟

● أقبل بهذا التمييز بين الفيلسوف والمنظر ، لكنني أضع هذا التمييز بعد الفلسفة وليس دونها ، بعد الفلسفة لأنها تقليل ثقافي يهتم بالتعريف بأساليب فلسفية ، مدارس فلسفية ، وتيارات فلسفية قديمة وحديثة . ولكن المفكر قد لا يكون مدرساً للفلسفة قد

لا يكون مختصاً بتاريخ الفلسفة، أو عارفاً بكل ميادينها، فمثلاً فتنجاشتين ليس فيلسوفاً من النوع العارف بتاريخ الفلسفة، لكنه مفكر أقرب إلى الفكر منه إلى الفلسفة كمؤسسة تقليدية. هناك بطبيعة الحال مفكرون وكتاب ممتازون في العالم العربي، ولكن يجب أن لا نغالط ونتصور عندهما ما ليس موجوداً . فإذا تحدثنا عن العالم الثالث يمكن أن نجد مثلاً للتجدد وإن كان قدِّماً في الفكر الاجتماعي، ولكن في أمريكا اللاتينية أكثر منه في العالم العربي، فالعلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم العربي هي تقليد أيضاً، ومتاثرة بأمريكا اللاتينية في مفاهيمها عن التأثر والتبعية . في علم النفس، المجتمع العربي ناقل في جميع الميادين التي تهم علم النفس الحديث، بقيت لنا بعض الميادين التي تهم المجتمع العربي والثقافة العربية، ففي التاريخ ربما كان بعض مؤرخينا بلغوا مستوى في التاريخ لثقافاتنا فاق مستوى الأجانب الذين درسوا مجتمعنا وتاريخنا . وربما فهم علماء الاجتماع العرب بعض الظواهر العربية بحق أكثر من العلماء الأجانب، لكن هذا لا يعني أن كل دارس عربي للمجتمع العربي هو أعمق فكراً من غيره، هل أقل نفاذًا إلى الواقع العربي من العالم العربي، ولكن في بعض العلوم التي تكتب صيغة شمولية وتتطبق ممارسة وخبرة طوبية ربما في هذا الميدان ظهرت أشياء جديدة وعديدة .

- ◆ في الحوار عن وجود أو غياب فلاسفة عرب معاصرین مع مفكرين عرب آخرين، هناك اعتراف لدى الغالبية منهم بهذا الغياب، لكن الاختلاف يبدأ في التطرق إلى الأسباب التي أدت إلى ذلك؟ هل يعود ذلك إلى الانقطاع عن المناهج والرؤى الذاتية للحضارة العربية الكلاسيكية وعدم تطويرها وتبني مناهج عالمية معاصرة بدلاً عنها؟
- أنا لا أؤمن بالذاتية في المناهج ولكن لا أؤمن أيضاً بالنقل، فالاجتهاد في الفكر لا يمكنه أن يضع لنفسه مسبقاً إطاراً محدوداً، المنهج اللائق ليس هو المنهج الدخيل أو الأصيل، إنما هو المنهج الناجع الذي يعطي نتيجة، وهذا ليس من قبيل البراجماتية وإنما يتعلق بقدرة المنهج على تادية ما يهدى إليه .

◆ هل تعتقد أن المناهج التي تطبق لدينا تحقق الغرض منها؟ هل التحليل النفسي

## كمنهج في دراسة السلوك الإنساني يلدي الفرض منه في فهم الظواهر؟

● ولم لا ! أنا أعتقد أن النقص في الاجتهاد، وليس في إدخال الدخيل أو في قلة الاعتماد على الأصيل . لأن إذا فكر الإنسان واجتهد، فإن كل ما لديه من أصيل أو دخيل، ليس سوى وسائل للتفكير، والتفكير يحكم عليه بالسيطرة على موضوعه وعلى المشاكل التي يطرحها، وللهذا بالنسبة لي فإن قضية الأصالة والمعاصرة هي كلام فارغ، لأن الذي ينفك هو حديث وأصيل في الوقت نفسه . وكل إبداع اذ تم في جامعة عربية وكان اجتهاداً حقيقياً فهو منفي بالسبة للخارج، لأن الحكم عليه هو في قدرته على توير وإضافة مشكلة وليس ارتباطه بهذا أو ذاك.

◆ في هذا الإطار العام للحوار، كيف تفسر ازدياد الحديث في الآونة الأخيرة عن ثقافة شرقية وثقافة غربية، كيف تفسر العودة إلى هنا الحديث ؟

● هذه الظاهرة تدل على أن هناك إصراراً على إبراز الفروق أكثر من الإصرار على القواسم المشتركة بين الثقافات .

◆ كيف تفسر هذا الإصرار إذا؟

● أفسره بتفاقم المشاكل العالمية !!

◆ في إطار هذا الإصرار على الفروق بين الثقافات، هناك تساول يسود في الغرب مفاده : أن الغرب أصبح استيراً، لماذا لم يتج الشرق استيراً، ماذا تقول عن هذا التساؤل ؟ وهل تدور لمثل هذا الاستغراب اليوم ؟

● من الأشياء التي لم تكن سبباً ولاتها عبرت عن تدهور الثقافة العربية هو أنها في ظروف معينة انكمشت على نفسها وأصبحت تجهل كل ما يحدث خارج حدودها، إلا لدى بعض الأشخاص، وهم قلة، من الذين استمروا في تقاليد الحضارة العربية زمن ازدهارها، لكن المجتمع العربي كمجتمع انسلق على نفسه وقللت معرفته بما يجري خارج حدوده، وأؤكد أنني لا أرى في هذا سبباً يفسر مآل ذلك، ولكنني أرى في ذلك

عنصراً من العناصر الدالة على تقلص الطلب الثقافي في المجتمع العربي، ولهذا ذكر معرفة دقيقة بالغرب قد تكون لهافائدة إلا أن الذي أراه هو أن مجهدو الفكر وما يتعلّق بهدا من مجهدات مختلفة في الميدان التربوي على وجه خاص أهم بكثير، لأن معرفة الغرب ما هي؟ هل تعني معرفة تاريخه؟ هل تعني معرفة مجتمعاته؟ هل تعني استجلاء مقومات حضارته والحداثة التي حملها كرسالة في العالم؟ هذه الأشياء كلها تنتهي إلى التساؤلات التي تجعل دائماً الإجابة عنها متفاوتة الأهمية وغير حاسمة في عالم - أحبنا أم كرهنا - لا يمكن فيه الانكمash ولا يمكن فيه الانفلاّق، ونحن مستغبون من حيث لا نشعر وربما أكثر مما نظن . بمعنى أن ما يجري في الغرب يخترقنا ويتجاوزنا وبالتالي ليست القضية قضية استشراق واستغراب، ولكنها قضية كيأن عربين ينبغي أن يفهم، هل له دور ورسالة في العالم ليساهم في تطوير الحضارة العالمية إلى مستوى يجعلها لائقة بالنسبة للناس جميعاً، أم لا ؟



عز الدين قلوز  
نعم للاستغراق لكن بشروط



عز الدين قلور من الباحثين المرموقين في الساحة الثقافية الفرنسية ، فهو «مستشرق» مطلع على شؤون الغرب وثقافته و تاريخه ، وقد كان تجربته كسفير دائم لتونس في اليونسكو لسنوات عدّة أثر كبير في إثراء و تعميق خبرته بقضايا وأحداث العالم الغربي . كما ساهم في التعريف بالأدب العربي و نقله إلى اللغة الفرنسية ، مترجمًا رواية «السد» للمسعودي ، و «عبد الله» لأنطون غطاس كرم ، كما شارك في تأليف كتاب دراسات تدور في أطيابها حول البلاد الإسلامية في الفترة الراهنة و حول المواجهات بينها وبين البلاد الأوروبية و تاريخ هذه المواجهات ، وبصفة خاصة ما يتعلق بفترة «عصر التنوير والإسلام» . وأخيراً صدرت الترجمة العربية للكتاب الذي شارك فيه مع آندره ميكيل و دومينيك شيفالييه عن «العرب والإسلام وأوروبا» . كما صدرت له مساعدة مهمة في الكتاب الذي صدر أخيراً عن دار «فابيار الفرنسية بمتران» «الظاهرة الدينية» بإشراف جان دولومو . ومن المتوقع أن تصدر له قريباً دراسة جديدة عن قراءة القرآن ، عن دار «فلا ماريون» الفرنسية . أما وجه «استغرابه» الآخر ، فهو تدريس الأدب الفرنسي في جامعة السوربون ، وكان ذلك مدخلاً للحديث معه حول تعريفه للاستغراب وكيفية تحقيقه ، وهو ما حدثنا عنه عز الدين قلور من خلال رؤيته ونقده لمصر التنوير الفرنسي وكشفه لتناقضات المبادئ التنويرية في ما يتعلق بالإسلام والبلاد الإسلامية .

◆ هل كل من يقوم بتدريس الأدب الفرنسي ، والغربي عموماً ، يمكن أن نطلق عليه صفة «المستغرب» ؟

● في تقديرى نعم ، لكن بشرط أن يقوم المرء بدراسة هذا الأدب فى إطار يتسع لجملة ظواهر هذه الثقافة ، وأن يستجرب هذه الثقافة بكل ولا يجعل منها مركز انطلاق المعرفة الأوحد ، وأن تسمح له ظروفه أن ينظر إليها من الخارج ، ويشترط لا يقتصر في الحديث على الخارج والداخل على الحدود الجغرافية فقط ، ولا تكون بالضرورة مراكز القيادة الفكرية في العالم منحصرة في البلاد الغربية ، فالغرب تعود على دراسة غيره ، لأن يدرس هو من طرف الآخرين وهذا هو الجديد في الأمر .

## ◆ كيف تحققت ملامح هذه النظرة في أعمالك؟

● تخصصت ، كما تعلم ، في فترة ما يسمى بـ «عصر التصوير» وجعلت موضوع رسالتي للدكتوراه عن «المنهج التاريخي للأب رينال» ومن خلالها أردت أن أسلط نظره جديدة على فلاسفة عصر التصوير وأفكارهم . ومن حسن حظ كمبي أتنى وجدت خاتمي المشهودة في هذا الفيلسوف الذي يأتى في الدرجة الخامسة أو السادسة بعد الفلسفه المشهورين (فولتير ، روسو ، ديدرو) . وكان هذا الأب رينال قد نشر دائرة معارف تصاهمي دائرة المعارف التي أسسها ديدرو والموسوعيون وأطلق على دائرة معارف اسم «التاريخ الفلسفى والسياسى للأوروبيين فى قارات الهند». وهو فى الحقيقة يسجل تاريخ استيطان الأوروبيين لمختلف بلاد ما وراء البحار . وقد وصف كتابه بأنه دائرة معارف ثانية ، وأنه يحلل من خلال رصده للظاهرة الاستعمارية الأوروبية جميع المشاكل الفلسفية المطروحة فى ذلك العهد . وكان ينظر إلى كتابه كمرجع من مراجع الفكر الفلسفي والثورى الذى كان سائداً آنذاك ، كما يستشهد به لاحقاً كمرجع من مراجع الثورة . ففى الحقيقة كان عمله ، فى الظاهر فقط ، يسلط الضوء على تاريخ أوروبا فى عوالم ما وراء البحار ، وبنظرة فلسفية من جملة مكوناتها أنها نقد للاستعمار والسيطرة على المجتمعات الإنسانية خارج أوروبا ككل ، ونقد للشروع والتجارة المؤسسة على اقتصاد ينطوى على سلب حضارات كاملة وثرواتها وطاقتها الإنسانية (استجلاب العبيد) . فكان الكتاب يبدأ باستعمار أوروبا لقارنة كذا ثم استعمار أوروبا لقارنة كذا ، وتحت بند هذا الاستعمار يتحدث عن استعمار الهولنديين ، البرتغاليين ، الفرنسيين ، مع البلدان المستعمرة وعيوبه عندما اكتسحها المستعمر . وفي النهاية ظهر الكتاب فى صورة فلسفية تقدمية ثورية تنتقد الحكم فى الغرب ، لكن حقيقة الأمر غير ذلك ، فالكتاب يبدأ فعلاً فى كل أبوابه بهذا النقد الموجه إلى أنظمة الحكم الاستعمارية غير أنه يتنهى إلى خاتمة «واقعية» وأنه لم يكن ليحدث غير ذلك أو أفضل من ذلك .

◆ ما السر فى ذلك؟

● من خلال بحثي التاريخي ، ومن خلال الوثائق المكتشفة حول حياة الرجل ومسيرته ، اتفق أن المقصود من الكتاب ليس النقد الفلسفى والشورى بل الدفاع عن سياسة من استأجره لكتابه ذلك . وتفصيل ذلك إن الوزير الذى كلله بهذه مهمته فى البداية لم يكن سوى الوزير المشهور (شاوازول) وزير الخارجية وزعيم العرب والبحرية فى مرحلة حاسمة من التاريخ资料， لاسيما التاريخ الاستعماري . كان هذا الوزير مسؤولاً عن سياسة فرنسا خلال حرب دامت سبع سنوات ( ١٧٥٦ - ١٧٦٣ ) وانتهت بمعاهدة باريس المشهورة التى أفضت إلى إنسحاب فرنسا من القارة الهندية ومن كندا ، فصار لدى الوزير شوازول رغبة متأججة نحو تعويض ما خسرته فرنسا في هذين المركزين بالثبور على مراكز استيطان جديدة لم تكن في حقيقة الأمر سوى تلك البلدان التي كانت تشملها الإمبراطورية العثمانية ، والتي تدعى حركة التبشير العطف عليها والحرص على تحريرها من نير الحكم العثماني . لكن صادف أن هذا الوزير شوازول أطلي به ( يقال ذلك ) سنة ١٧٧٠ قبل أشهر عدة من نشر الكتاب الذى استأجره ريتال لكتابته ، ومن الغريب ، أن الفكرة ذاتها أى فكرة الدفاع عن سياسة الدولة الفرنسية - تحت قناع الدفاع عن المبادئ الفلسفية وحقوق الإنسان - قد تبناها إرساء لحركة التبشير التي كان ينكر أحد رجالها ، وقام ينكر بتمويل ريتال مرة ثانية لإعادة نشر كتابه الموسعة . وهو ما قام به ريتال فعلًا ، لكن بعد شهرين من الإطاحة بنيكر بدوره ، فظهور الكتاب في نشرته جاء بعد الإطاحة بالوزيرين المسؤولين عن نشره ، مما جعل الكتاب يُؤخذ على ظاهره أي كتاب معارض ، ملتزماً بالمبادئ، التحريرية لأنه تعرض في المرتين لسلفه الإداري ولم يفطن أحد إلى أن المقصود من القمع هو حكم شوازول ونذكر وليس التزعة التحريرية أو المبادئ الفلسفية المزعومة التي اشتغل عليها الكتاب .

◆ الا يوجد أعمال أخرى للاستاذ ريتال غير موسوعته المذكورة ؟

● توصلت أثناء بحثي إلى مخطوطات أخرى لهذا الفيلسوف وهي مجموعة من الفصول لم تكتمل ، في كل فصل منها كان يقوم بوصف بلد : تونس ، مصر ،

الجزائر ، سوريا ، فلسطين ، لبنان ، المغرب . إنه يصف هذه البلدان ويطالب بغزوها وباستعمار من نوع جديد يخالف الاستعمار الاستيطاني ، وأن يتم هذا الاستعمار الجديد على حساب الامبراطورية العثمانية التي كان يحلم بسقوطها في القريب العاجل . وما يلفت النظر أن الأب الفيلسوف ريتال كان موضع إعجاب شاب في مقتبل العمر آنذاك هو تابليون الذي كان يتباهى في مذكراته بأنه حظى باللقاء به كما أدعى كلباً ، كما تباهى بأنه فاز بالجائزة الأولى عن مناظرة موكها الفيلسوف ريتال حول موضوع سؤال : ما أثر دور الحركة الاستعمارية في تطور أوروبا ؟ وادعى تابليون أنه هو الذي فاز بالجائزة الأولى وليس هذا صحيحاً وإنما الذي فاز بها هو "دونو" . وكانت أعمال الأب ريتال تكشف عن انتقاد للإسلام من منظور فلسفى ، ثم نجد من وراء هذا الانتقاد مباشرة مشروعًا لغزو استعماري ، فالصلة عندي واضحة بين فلسفة التحرير التي يعتمدها الغرب اليوم كرجع لحقوق الإنسان ، والحركة الاستعمارية الثانية التي ظهرت في القرن التاسع عشر . فإذا ثبتنا الدقة ، فإن الظاهرة الاستعمارية السابقة إلى يومنا هذا قد نشأت أساساً في القرن الثامن عشر . فغزو تابليون لمصر كان غزواً استعمارياً، غير أن تابليون لم يقدم نفسه كمستعمر كلاسيكي وإنما كفيلسوف يُؤدي رسالة مهمة باستعماره مصر وأنه يقوم بمشروع حضاري وإنساني لإنهاء شعوب تحتاج إلى هذا الاستعمار لأنها شعوب تجهل قواعد حقوق الإنسان ولأنها مؤسسة على أسس دينية وإجتماعية لا تتماشى أبداً مع هذه الحقوق .

#### ◆ ما الذي كانت تتكئ عليه مثل تلك النظريات؟ ◆

- في الحقيقة كان الاستعمار إذا حلّ ببلاد من البلدان العربية كتونس أو مصر أو الشام كان ينظر إليه على أنه مكون من ثلاثة طبقات : طبقة أرستقراطية عسكرية ، وطبقة سفلية (السعام) ، وطبقة وسطى قادرة على التجارة ، وكانوا يتظرون إلى أفراد هذه الطبقة الوسطى بوصفهم يتظرون بفرح وابتهاج الغزو الفرنسي المُقبل على أنه محرك لهم وإمكانياتهم المغسورة . أما وجة الشبه بين النظريات التي ارتكز عليها هذا الاكتساح والنظرة الفلسفية التي كان يرتكز عليها نفصال الفلسفة من أجل تغيير الأوضاع السياسية

والاجتماعية في بلدانهم ، فهو انتقادهم بأن البنية الاجتماعية القائمة في البلدان الخاصة للحكم العثماني كانت تتشكل من المسارى عينها التي كان يشكو منها المجتمع الأوروبي وأهمها : أن المجتمع كان قائما على التمييز الطبقي بين أرستقراطية تستمع بامتيازات ، ورعاية محرومة منها . والحال أن ضمن الرعایا شريحة تصنف بالنشاط والحيوية الاقتصادية ، كما أن المجتمع الأوروبي كان يميز النبلاء عن الرعایا مهما كانت قيمتهم أو ثروتهم ، كذلك كان الفلسفة يرون أن الحكم في مختلف ساحات الإمبراطورية العثمانية كان يميز أرستقراطية عسكرية من أصل تركي عن جملة الرعایا ، والحال أن من بين هذه الرعية شرائح يؤهلها نشاطها الاقتصادي إلى ممارسة دور سياسي غير الذي تمارسه في ظل الحكم السائد ، فهي كالبرجوازية التي تطمح إلى التحرر من نير السيطرة ، تطلع بدورها إلى التحرر من الحاكم التركي .

◆ في النهاية هل يمكننا القول إن التثوير لم يكن ثثيرا؟

● ما يمكنني قوله هو أن تحليل المقلبة الغربية في فترة ينظر إليها اليوم على أنها مرتع لحقوق الإنسان ، يكشف أن وراء موضوعيتها المزعومة تكمن مصالح سياسية . ففلسفة التثوير لم يتوجهوا إلى الإنسان في مجده . وإنني عندما أجد فولتير يتحدث عن الإسلام والمسلمين لا أنظر إليه على أنه يتكلّم من منطق فلسفى عام بل من منطق مصالح الناس الذين يقوم بخدمتهم . صحيح أنه كان معارضا للحكم السائد في فرنسا ، لكنه كان متعاطفا مع مواقف كاترين الثانية الروسية وكان يتوجه عندما تقدم على حساب السلطان التركي . وكما أشرت من قبل ، فالصلة عتدي واضحة بين فلسفة التثوير الأوروبية والحركة الاستعمارية الثانية .

◆ إذا كانت هذه هي صورة مصر التثوير في ما يتعلّق بحضارتنا ومجتمعاتنا ، فكيف غابت هذه الصورة عن المثقفين العرب المنهرين بمبادئ التثوير الأوروبي؟

● لن أتحدث عن المثقفين العرب بشكل عام ، سأتحدث إليك عن تجربتي وتجربة من سبقني من التونسيين . ولن أتحدث هنا عن "التثوير" فقط وإنما عن تجربتنا بالثقافة

الغربية ومناهجها بشكل عام . وما ساقوله يمكن أن يفسر أسباب هذا الاتهار ، ويمكن أن يفسر غياب الصورة الأخرى لهذه المبادئ والأفكار والمناهج . خذ مثلاً نموذج المسعدى الذى جاء قبلى إلى باريس بستين عشرين عاماً . ماذا حدث له ولغيره من الباحثين والطلاب العرب ؟ فى الحقيقة عندما جاء واختلط بالأساتذة الغربين صارت لديه قناعة بأن ما هو موجود لدى الغربين لا يوجد لدينا مثله ، وأن التاريخ الذى يدرس بالزيتونة مثلاً ليس بتاريخ . كان الأساتذة الفرنسيون يعلمون هؤلاء العرب ، إلى جانب الحصص الرئيسية فى العلوم الطبيعية والاجتماعية ، بعض الدروس عن الأدب العربى ، فكانوا يقولون لهم عن المتنى مثلاً : من المشكوك أنه ولد سنة كذا وأن الواقعه كذا غير مؤكدة ، أو عن داتون أنه من المحقق أنه فعل ذلك وأن نظريته السياسية كذا ... بينما الأساتذة العربى المحلى كان يدرس تاريخ شخصية عمر بن الخطاب أنه سيد زمانه وأعدل عصره ، بدون التفات إلى نقد المراجع وتحميس الواقع ... كان هناك إذا عالمان مختلفان ، ويبدو لي أن الجماعات الأولى من المثقفين التونسيين والعرب ، الذين سافروا إلى الغرب ، قد تقمصوا هذه المناهج والأفكار الغربية ، ولا أظن أنهم كانوا يدركون أن هذه المناهج والأفكار قد تلورت بلون الحضارة التى نشأت بها بل اعتقادوا أنها المناهج بالطلق . ولعل طحسن من أبرز هؤلاء الذين تأثروا بهذه المناهج فى كتابه «الشعر الجاهلى» حيث شكل في بعض جوانبه . ومثل هذه المناهج تفسر لنا بصورة عملية ، أسباب هذا الاتهار بكل ما هو آت من الغرب ، والتعامل عما يمكن خلف المبادئ العامة .

**محمد النيرب**  
**مع استغراب بدون استشراق**



محمد النيرب فلسطيني مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية ، أمضى دراساته الجامعية في مصر حيث حصل على ليسانس الآداب عام ١٩٥٥ ، اشتغل بعد ذلك مع منظمة اليونسكو في منطقة فحزة ، كما عمل بالتدريس في أعوام ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ في ليبيا .

ويبدأ من هذا العام استقرار في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أعد رسالة ماجستير في العلوم السياسية ثم أطروحة دكتوراه عن "أثر البرول في العلاقات السعودية الأمريكية" كما يتصدر له قريباً إن لم يكن قد صدر بالفعل كتاب : " تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية باللغتين العربية والإنجليزية .." ويوصفه أحد الباحثين العرب المقيمين في الغرب والمهتمين بدراسة الغرب ، بل ومن الذين يدعون لإنشاء مراكز للدراسة الغربية ، كان لنا معه هذا الحوار عن قضايا وأفاق الدراسات العربية عن الغرب بصفة عامة ، ومن واقع خبرته في الولايات المتحدة بشكل خاص .

◆ من واقع خبرتك ، كباحث مقيم في الولايات المتحدة منذ سنوات عديدة ، كيف تفسر ظاهرة أن كثيراً من الباحثين العرب في الغرب يتوجهون لدراسة قضايا عربية ويهملون أو يتجاهلون دراسة المحيط الغربي الذي يعيشون في أرجائه ؟

● بالطبع الأساليب متعددة ، وتختلف من باحث إلى آخر ، وتختلف الأساليب أيضاً وفقاً للمنطقة القادم منها الباحث . هناك باحث غير متأقم أو يجد صعوبة في التوجه نحو دراسة الموضوعات الغربية . وهناك باحث تتغلب عليه مشاعر الخوف ولا يريد أن يقول صراحة ما يداخله حتى لا يؤخذ عليه . وقد تكون أساليب ذلك لدى باحث آخر هو الجهل بالوسط الذي يعيش فيه . وقد يكون هناك سبب رئيس وراء ذلك وهو أن معظم الباحثين العرب في الغرب يتوجهون أساساً إلى دراسة العلوم الدقيقة ( هندسة ، رياضة ، طب ، كيمياء ...) بينما الذين يهتمون بدراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية فإنهم قلة قليلة . وكما هو معروف فإن النوع الأول من العلوم لا يعرف هذا التمييز بين موضوعات غربية وأخرى عربية ، بل هو علم وفقط ، ثم ثانٍ بعد ذلك مسألة

استخدامات هذا العلم . أما في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية فإن التوجهات الفكرية والحضارية لا تغيب في هذه العيادين ، ونظراً لهذا الاختلال في نسبة الاهتمام بدراسة العلوم الدقيقة (٩٥٪ تقريباً) والعلوم الإنسانية (٥٪ من مجموع الباحثين العرب في الترب) يمكن أن نفهم لماذا لا يتوجه الباحثون العرب في الترب نحو دراسة ظواهر وقضايا غربية .

- ◆ هل تدعو الباحثين العرب إلى مزيد من الاهتمام بدراسة الغرب ؟
- نعم ، وقد كتبت كتاباً عن التاريخ الأمريكي . فالملكتبة العربية لا يوجد بها كتاب واحد باللغة العربية يتناول هذا التاريخ إلستثناء كتبات مكاتب الإعلام بالسفارات الأمريكية ...
- ◆ عندما تولفت كتاباً عن التاريخ الأمريكي ماذا تزيد أن تقول لمواطينيك العرب في البلاد العربية !؟
- في الواقع ، شئنا أم أبينا ، فإن لنا علاقات متورطة مع الغرب وبصفة خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية في المشرقين ستة الماضية . وهذه العلاقات تفرض علينا أن نفهم بدقة الحضارة الأمريكية والتاريخ الأمريكي والنظام السياسي الأمريكي وطريقة تكوين الحكومة ، حتى نستطيع أن نأخذ موقفاً صحيحاً إذ لا يمكن أن نبني موقفاً من حضارة لم نفهمها . وبالتالي الفهم الدقيق يساعد على حل مشاكلنا كما يشجع الطرف الآخر على أن يفهمنا بدقة ، ما أهدى إليه بكتابي ، هو سد حالة فراغ وإعطاء فكرة واضحة عن التاريخ الأمريكي بمفهوم عربي .
- ◆ مفهوم عربي عن التاريخ الأمريكي . هذا هو بيت القصيد ، كما يقولون ، لكن كيف !؟
- لا أعني بذلك أنني غيرت في وقائع التاريخ الأمريكي ، بل كتبت الكتاب بالطريقة التي يفهمها القارئ العربي . فعندما أقول للقارئ العربي إن الشخصية الأمريكية تميز

بكل هذا وكذا ، فإنه سيفهمنى ، لأننى أتكلم له وأنا أعرف كيف تفهم التفسير العربية  
الأشياء . وسيعرف القارئ العربى أننى أريد بالخلاص أن يفهم الشخصية الأمريكية حتى  
يستطيع أن يحدد موقفه منها بعد الفهم الدقيق . وقد ينشأ من خلال المعرفة الدقيقة  
تفاعل جديد بين الطرفين .

◆ عندما تدعى إلى فهم دقيق للغرب . وعندما تولف كتاباً عن التاريخ الأمريكي قد  
يفهم البعض هذا على أنه نوع من التبعة والتغريب . ماذا تقول لهؤلاء ؟

● في اعتقادى أن تفسير ذلك يعود أولاً إلى الكاتب ثم إلى القارئ ثانياً فإذا كنت  
كتاباً عن التاريخ الأمريكي فإن هذا لا يعني إنت أشجع التبعة أو أنت تابع بدورى  
للغرب . إن موقفى مختلف تماماً عن هذا الفهم الساذج ويمكن للقارئ أن يكتشف  
ذلك من أسلوب الكاتب ومن النتائج التي يصل إليها . وأعتقد أن القارئ الجيد سيفهم  
جيداً ما يقال والقارئ السين سيفهم ما يريد . وفي النهاية لا يستطيع أحد - مهما كان  
إخلاصه فى التعبير عما يراه أنه الصحيح - أن يتحكم فى طريقة تفكير الناس .

◆ دراسة الغرب من خارجه ، وبمفهوم حضارات أخرى مازالت دعوة تستثار التنفيذ  
.. فدراسة التاريخ الأمريكي ، على سبيل المثال ، بمقاييس عربية مازالت تحتاج إلى  
إيضاح أكثر ..

● في اعتقادى أن هذا الأمر له شقين ، أو هو سلاح ذو حدين ، كما يقولون . ثانًا  
نشأت فى بيته عربية وتشبعت بثقافتها ولغتها وحضارتها ، ومن ناحية ثانية درست  
التاريخ الأمريكي من أهلة . وبالتالي لا شك فى أن طريقة التفكير التى نشأت عليها  
كشرقي يمكن أن تظهر وتؤثر فى طريقة لكتابة التاريخ الأمريكي كما أخذته عن لسان  
أهله .

◆ المنبع العلمى فى مجال العلوم الإنسانية ، سواء على المستوى التقنى وعلى  
مستوى أنماط التفسير ، هل يختلف فى تصورك باختلاف الثقافات والحضارات ... ؟

● أغلب الذين يكتبون في مجال النظرية والمنهج العلمي في مجال العلوم الإنسانية لا يختلفون حول حدود الموضوعية . وأنه مهما حاول الباحث أن يكون موضوعياً ومتبعاً للمنهج العلمي فإن هناك أموراً لا يمكن أن ينبع فيها المنهج العلمي ، مثلما هو الحال في العلوم الطبيعية . فمعنى - شيئاً أو شيئاً - لا يستطيع أن نطبق المنهج العلمي الصارم في مجال العلوم المختصة بالطبيعة البشرية ، فهو طبيعة متغيرة ، وطريقة فهمها لها ليست موحدة بالضرورة . لكن هذا لا يمنع الباحث من الاجتهداد في تحقيق أكبر قدر من الموضوعية الممكنة . فالباحث يمكن أن يلاحظ تأثير البيئة القادمة . وأحياناً قد لا يلاحظ هذا التأثير . وبالتالي عليه أن يكون حذراً ودقيقاً بحيث لا يجعل البيئة الأولى ، التي عاش بها ، تؤثر على كتابته وأحكامه . وأيضاً الباحث الذي عاش في بيته أوروبية أكثر من عشر سنوات لا شك أنه صار في موقع يجعله قادرًا على أن يكون موضوعياً وهذا ما حاولت أن أقوم به في كتابي عن التاريخ الأمريكي ، أي أن تكون ملخصاً وموضوعياً في نقل التاريخ الأمريكي ونقله إلى العربية في صيغة يمكن للقارئ العربي أن يستوعبها .

◆ في محاوارتك لكتابة التاريخ الأمريكي من خلال مفاهيم عربية فإنك تمارس ما يطلق عليه الآن "الاستغراب" أي رؤية الغرب ودراساته من منظور عربي . هل تعتقد أننا بإمكاننا تأسيس هذا الاستغراب في الفترة الراهنة ؟

● في اعتقادى أنه من الواجب علينا أن نشرع في تأسيس ذلك ، فالظروف الحالية التي يمر بها العالم العربي تحتم عليه أن يفهم بدقة هذه الحضارة الغربية التي تخضع ويُخضع لها في نواحٍ عديدة من حياته ، فربما يدفعه هذا الفهم الجيد نحو سلوك أفضل .

◆ هناك من يرى أنه لا يمكن تأسيس هذا الاستغراب بمعزل عن شروط القوة مثلاً كان الحال مع الاستشراق عندما كان مصاحباً للهيمنة الأوروبية . وبالتالي يرى هذا الغرر أن ميزان القوى الراهن بين الشرق والغرب لا يسمح بظهور هذا الاستغراب الجديد .

● للنهوض بمهام هذا الاستغراق ينبغي أن تميز منه البداية بين الاستشراق والاستغراق . وينبغي لمجتمع عربى له طموحه نحو التقدم والرقي أن يستفيد من التجربة التى مر بها المستشرقون . كما أن الباحث العربى العقيم فى الغرب والذى يطمع إلى تأسيس مثل هذا الاستغراق يعيش فى علاقة مع وطنه الأصلى ووطنه الثانى ، تختلف كثيراً عن الأجيال التى بروزت فى كنفها الاستشراق التقليدى . فالاستشراق بدأ تاريخياً فى أواخر القرن التاسع عشر لأن هناك دولًا أوروبية لها مستعمرات خارج حدودها . فكانت هذه الدول فى حاجة إلى جهود الاستشراق حتى تتمكن من استغلال أفضل لمستعمراتها . فكان الاستشراق وسيلة الاستعمار الغربى للهيمنة على العالم العربى . بالطبع لم تكن أعمال الاستشراق كلها أدوات استعمارية . وإنما لا أريد أن يكون الاستغراق مثلما كان الاستشراق بل أريد أن يكون أرقى فى التفكير وأتبى فى الأهداف . وينبغي أن يكون هدف هذا الاستغراك هو إعطاء القارئ العربى معرفة أفضل وأدق بالبلدان الغربية ودرجة تطورها ورقيتها . فالاستغراك لأبد أن يكون متيناً وبصورة واضحة عن الاستشراك . واعتقد أنهم فى الغرب سيرحبون كثيراً بمثل هذا المشروع ، لأنهم يستفيدون من هذا المشروع أكثر مما استفادوا من الاستشراك .



رینیه حبشي  
لا شرق ولا غرب



ربينه حبشي من المفكرين المتميّز بعطائهم الفلسفى ، ومع ذلك لا يعرف الكثيرون عنه كثباته داخل عواصم الثقافة العربية . وربينه حبشي المقيم في العاصمة الفرنسية منذ سنوات عديدة ، كان قد ولد في مصر وعاش بها فترة طفولته وشبابه بها ، وقام بالتدريس في مدارسها الثانوية . ثم سافر إلى لبنان حيث قام بإعطاء دروس في الفلسفة بالجامعة الأمريكية ، والبنانية ، ومدرسة المقاصل الإسلامية كما قام بإلقاء العديد من المحاضرات في دول عربية: مصر، سوريا، لبنان. وفي لبنان التي شهدت تبلور إسهامه التكري والفلسفى أسس ممهد العلوم الاجتماعية داخل الجامعة اللبنانية، كما عين مديراً مساعدًا لمركز التعليم والتخطيط في البلاد العربية التابع لمنظمة اليونسكو . ثم ترأس دائرة الفلسفة بالمنظمة ذاتها في باريس . كما قام بتدريس الفلسفة في عدد من الجامعات الفرنسية، ومن أشهر مؤلفاته بالفرنسية : فلسفة لمصرنا ، نحو تفكير متواضع ، نحو تفكير ملائم ، فلسفة وشعر ، ياشرق ابن غربك؟ ، معنى التراجيديا ، خبرة الموت ، مين دويوان والبحث عن الشخص الإنساني .

وربينه حبشي ، رغم أعماله المديدة المذكورة ، ورغم إسهامه الواضح في مسألة العلاقة بين الشرق والغرب ، والتي خصص لها أكثر من كتاب ، فإن إسهامه غير معروف بقدر كافٍ لدى المتابعين للشأن الثقافي داخل العواصم العربية ، وربما بدرجة ما ، داخل العواصم الأوروبية أيضاً ، ولا سيما باريس التي يقيم فيها منذ عدة عقود وحتى الآن .

وعلى الغلاف الخلفي لكتابه الصادر بالفرنسية ١٩٦٩ ، والمعنون : ياشرق ابن غربك؟ تقرأ تلخيصاً موجزاً لخريطة أفسكار ربينه حبشي الرئيسية في هذا الشأن: لهذا الكتاب يطرح واحدة من التضالال الكبرى لمعصرنا ، فالشرق والغرب يتصارعان ، ويدور الصراع على الصعيد السياسي فهل يدور بنفس القدر على الصعيد الثقافي والروحي؟ السؤال يفرض نفسه عبر تاريخ سياسات أنفسى إلى تعارضات رائفة . والإجابة ستكون بدورها تاريخية .

ويرى رينيه جبشي ، في تقديم كتابه ، أن قطعتنا الأخيرة - الكتاب صدر في عام ١٩٦٩ - مع الغرب كشفت عن طابعها السليم . وجعلتنا نحصل على عدادة الغرب بدلاً من صداقته . لكنه يرى أيضاً أن الانفراجة أو التفاهم السابق في عصر مسألة الشرق أن أيضًا قد تم على حسابنا وأنه لابد من بحث المسؤولية عن ذلك على ضفتنا النهر . . .

وي逞ش رينيه جبشي عن هذه المسؤولية من خلال حديثه عن الأعراض المرضية للثقافة الفرنسية ، كما يبحث عن الأمراض المرضية للثقافة الشرقية ليصل إلى فرضيته الشهيرة : لا غرب ولا شرق وإنما طريق متوسطي يجمع ثقافات البحر المتوسط شمالاً وجنوباً .

في هذا الحوار محاولة للاقتراب من بعض أفكاره وموافقه حول الفلسفة التي نادى بها حول واقع الفلسفة العربية اليوم وحول التحاولات التي أثرناها عن حضور أو غياب الفلسفة العرب المعاصرین، و موقفنا من الغرب بصورة عامة .

◆ ارتبطت باسمك منذ فترة بعيدة ، في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات دعوة إلى استرجاع ثقافة «المتوسط» ودعوة إلى «الشخصانية» كيف تحدد لنا فلسفتك وموقعك الثنائي بشكل عام ؟

● الفلسفة التي تمحور حولها فكري وكتاباتي يمكن وصفها بطريقة بسيطة للغاية . أولاً لدى احترام كبير لتراث الماضي أي لكل ما كان . ولا يزال حياً من الفكر التابع حول ضفتنا المتوسط ولكنني أيضاً مهم بالحاضر ، ولا أحتمل الماضي عندما يكون ساكناً جاماً ، وأعتقد أن احترام الماضي يعني أيضاً بنى التقدم والتطور وأن ترك الماضي في حالة جمود هو عدم وفاء وعدم احترام له . . . ومحور تفكيري الأكثير اتصالاً بالماضي والحاضر هو مفهوم الإنسان . فالإنسان من وجهة نظر ميتافيزيقية هو تعالى ، وهو من جهة أخرى متجلز في أرض وفضاء وزمان معين ولا يبدوا لي أن هناك

تعارضاً بين الأرض والسماء . لم يظهر لى أبداً أن بعد الدين يمكن أن يفرمل أو يشل البعض الزمني أو التاريخي ، بل أعتقد العكس . وأن ما هو أبدي في الإنسان يتطلب تجديد الكائن البشري ومحطيه . ما أدعو إليه من فلسفة يمكن أن يطلق عليها «الشخصانية» وهي فلسفة متجلزة في ثقافة عالمية لأنها تعنى بالشخص الإنساني أيضاً وجد وفي آية لحظة من التاريخ لكن الشخصانية التي أدعو إليها هي شخصانية متممة إلى حوض المتوسط لأن كل شخص يولد في تاريخ معين وخبرية معينة . . .

◆ تحدثت عن الاتساع إلى ثقافة المتوسط.. لكن كيف تحدد ملامح هذه الثقافة وما هي خصائصها ؟

● يمكن أن أجيب عن هذا السؤال بطرقتين أو من خلال زاويتين مختلفتين، هناك زاوية أولى لا تهم إلا المثقفين وال فلاسفة وهي الزاوية التاريخية أي التذكير بما كان عليه حوض المتوسط بدءاً من القرن الرابع وحتى الثالث عشر ، وهناك زاوية يمكن الانطلاق منها نحو تحديد المقلية المتممة إلى حوض المتوسط ، لأنه من الصعب الحديث عن ثقافة متوسطية لكن يمكن الحديث عن عقلية متوسطية . فالبلاد التي تقع على ضفتي المتوسط قد شهدت منذ القرن الثالث عشر تطورات في اتجاهات متابعة من حيث الثقافة والأيديولوجية والنظم السياسية، إلى الدرجة التي جعلت من كل بلد يدخل تعديلات على ثقافة المتوسط وبطبيتها مؤشرات مختلفة ، وأصبحت هذه البلاد المتممة إلى حوض المتوسط لا تعرف على نفسها، وبالتالي لم يعد يوجد اليوم «متوسطية» بل «متوسطيات» وصار هناك متوسطية باللغة العربية وباللغة اللاتينية الإسبانية ، الإيطالية ، الفرنسية، اليونانية . . . وهذا ما يعني تنوعاً في نطاق هذه المتوسطية لكن قد يكون الأمر مختلفاً بالنسبة لعالم الاجتماع الذي أدرك ما هو مشترك بين هذه التعددات وهذه الشخصيات أو القسمات المشتركة بين ضفتي المتوسط، ويمكن أن أشير لها عفواً كما تخطر لى الآن : أولاً ، هناك معنى وإدراك معين للزمن والمساحة ، المتوسطيون يحبون المساحات القرية . إنهم يحترمونها لكن لا يصدرون إليها . وكذلك الزمن البعيد سواء

في الماضي أو المستقبل يحترمه لكن خيالهم لا يصعد إليه ولا يحاولون إعادة بنائه وإعادة إحيائه ، فالزمن الحاضر والمساحة القرية هما ما يثير الإنسان المستهني إلى حوض المتوسط ، ونظرًا لهذه السمة فإن المتوسط لا يعرف كيف يتيح نوعاً من البرمجة أو التخطيط لامد بعيد ، لأن الحاضر والمساحة القرية هي ما يشغله أولاً . وهذه السمة تجعل المتوسط يعيش حاضره بكلفة وحساسية في التعامل مع الآخرين . هناك في عقلية المتوسط ما نسميه بـ «الحس العادلة والجماعية» وما يتربى على ذلك من خصائص أخرى كبيرة ، وبالتالي لا توجد الفردانية المميزة للعقلية الغربية التي تجعل من طفل في السابعة عشرة من عمره يدير ظهره لأسرته أو ثناة في العشرين من عمرها لا تزيد أن تسمع شيئاً عن أسرتها بينما خصائص العقلية المتوسطية تختلف تماماً عن مثل هذه العقلية . لكن علينا أن ننسى أن هناك ما هو مقتنٌ وهناك ما هو غير مقتنٌ في خصائص العقلية المتوسطية . لأن الضامن - وهو إحدى خصائص هذه العقلية - قد يتحول فجأة إلى نوع من التعلب الذي يرفض الآخر ويهدد الوحدة الداخلية . كذلك هناك ما هو غير مقتنٌ في إدراك هذه العقلية المتوسطية للزمن . إذ يتحول إدراكتها للزمن إلى نوع من القدرة التي تتزعزع المبادرة من الإنسان والتي تتشلط طاقاته فأحياناً يعتقد المتوسطي بأن المستحيل يمكن أن يتحقق في آية لحظة ، ويستقر المصادة والحظ وينس وضيع البرامج والتخطيط وتتنفيذ ما تم التخطيط له ، وأحياناً ينقض هذه العقلية المتوسطية التركيز على دور المعلم والمنطق . وهذه هي نقطة ضعفنا ، أي إننا لا ندرك الواقع كما تجد لنا .

◆ عندما يكون التركيز مقرطاً على العقل والمنطق أحياناً، الا يكون العقل الأقل والمنطق الأقل انتشاراً من المميزات وليس من الآفات التي يمكن أن تؤخذ على العقلية الشرقية ؟

● بالطبع ، فإن الجوية ، والعنوية التي تميز تقريباً كل بلاد حوض المتوسط سواء الضفة الشرقية أو الضفة الغربية ، هي من مميزات هذه العقلية لكن عندما تكون الطاقات غير واضحة التوجّه ، وطالما لم نعرف ما هو الإنسان الذي نريده وما هو

نوفوج الديمocratique التي تزيد أن تنخرط في ظلها ، وطالما لا توجد هذه القيم النهائية التي توجه هذه الطاقات فإن هناك ما يدعى وإلى التركيز على ضرورة إعطاء مساحة أكبر للعقل والمنطق في حياتنا ، وهكذا لا تشرك هذه الطاقات تعرض إلى إغراء بعض القيم التي تسير في اتجاه غير مفید . . . وإن كنت لا أريد أن أتحدث عنها هنا .

◆ هناك عودة هذه الأيام للحديث عن شرق في مواجهة غرب هل تدعم هذه العودة وجهة نظرك في الحديث عن عقلية المتوسط أم تفيها؟

● عندما أقول «الديانا» فإني أعني باستمرار اللغة الغربية والشرقية من حوض المتوسط ، ولا أعني فقط اللغة الشرقية . ولم أنطرق في حديثي إلى وصف العقلية الغربية بصفة عامة التي تسير في طريق استخدام غير إنساني للعقل في طريقه لتهذيد المعمورة بكلاملها . لكنني لا أسعى لإقامة مقارنات ، أريد فقط تشخيص متواسطيتها الخاصة ، وما أقوله هنا صالح بالنسبة إلى الناس العاديين في اللغة الشرقية أو الغربية للمتوسط . فالناس الذين يعيشون في هذه البلاد ، عندما يتلقون من بلد إلى آخر يمكنهم التفاهم في ما بينهم على الرغم من اختلاف لغاتهم ، فاليوناني يستطيع أن يعيش في مصر وأن يجد من يفهمه جيداً . أنا لا أريد أن أدخل في مقارنة بين العقلية الغربية والعقلية العربية . بالنسبة إلى الشرق والغرب هما تشكيلاً كاريكاتوريان للإنسان البشري . وللهذا اعتذر أن «المتوسطية» يمكن أن تذكر هنا أو ذاك بالبعد الحقيقي للإنسان والكائن الإنساني وبأهمية التضامن الإنساني الموجود بين الجماعات البشرية ، فالموسط قد ورث تراثاً مشتركاً غنياً . وفيه تقاطع وتلاقى كل ثقافات العالم وأديانه .

منطقة المتوسط هي التي تملك إمكانيات وجود إنسان المستقبل الأكبر توازناً من الصورة السائدة اليوم سواء في الشرق أو الغرب . وأنا أتفق صراحة مع مؤرخ متواسط يعرف كل الناس هو قرنان بروديل الذي قال إن مركز الحضارة انتقل بدأ في القرن ١٥ ، ١٦ من المتوسط إلى الأطلسي . وأن المتوسط انطلاقاً من هذا التاريخ قد صار

صفحة مطوية من التاريخ ، لكننى فى هذه النقطة بالذات ، أفترق عن برودبيل رغم احترامى لهذا الانتاج الفضم الذى خلقه ، فانا لا أقبل القول بأن المتوسط صفة طرهاها التاريخ ، بل أنظر اليه ككتاب موجود أسامنا وعلينا أن نفتحه واعتقد أن هذا المتوسط مسجل فى مستقبلنا أكثر مما هو مسجل فى ماضينا . لكن مع الاسف .. كثير من أبناء المتوسط لا يدركون ذلك اليوم ونسوا كل تاريخهم وكل ما هو مشترك بينهم . ودورنا اليوم استثارة وعيهم النائم .

◆ لماذا لا يوجد فلاسفة عرب اليوم في اعتقادك ؟

- إذا لم يوجد فلاسفة عرب اليوم فإنه لنفس السبب الذى ذكرته توا ، وهو أن الأجيال العربية منذ القرن التاسع عشر وهى مشغولة بالقضايا السياسية ، وتقدّم معارك في هذا الميدان ضد الغرب الإمبريالي وأيضاً ضد السلطات الوصوصية التي قاتلت هذه الشعوب . ففى إطار الصراعات السياسية داخل البلد الواحد أو تزاعاته مع الخارج انطفأت إبداعات المفكرين العرب ولم يعطوا سوى آيديولوجيات بالمعنى السلى للكلمة، أى تفكير سياسى قصير النظر ، ولم نجد من استطاع أن يرفع الرأس ليفكر بقضايا واسعة وقضايا العالم أيضاً .

◆ بالنسبة لك ما الذى تفهمه من كلمة فيلسوف عرب اليوم ؟

- الفيلسوف العربى اليوم هو الذى يستشر القيم الاكثر إيجابية فى ماضيه والآخر معاصرة فى حاضره ووضعها فى حالة تواصل وتتاغم مع ما يائمه من تيارات العلم السائدة اليوم ، الفيلسوف العربى اليوم هو من يحاول التجاوج فى رسم ملامع اتحاد بين الماضي والحاضر . لا أرى اليوم فلاسفة عرب يطرحون قضايا الفلسفة أو يفكرون فلسفياً فى قضاياهم ! .

محمود القيعى  
الترجمة تشجع على التفاصيم



محمد القيعي من المثقفين العرب البارزين الذين أمضوا سنوات عديدة في عواصم غربية، بين لندن وبلن وباريس، حيث درس أولاً الأدب الإنجليزي بجامعة دبلن، ثم انتقل إلى جامعة السوربون بباريس التي درس فيها فنون الترجمة ثم قام بالتدريس في الجامعة ذاتها لعدة سنوات. وبعد ذلك التحق في عام ١٩٧٥ بمعظمه اليونسكو بباريس، في عدد من الوظائف قبل أن يتولى رئاسة قسم الترجمة العربية بتلك المنظمة. ثم أختير فيما بعد مديرًا لأقسام الترجمة كلها باليونسكو. ونشرت له عدة ترجمات من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية وكتب العديد من المقالات في موضوعات لغوية وثقافية.

ومن واقع الخبرة التي اكتسبها، من خلال إقامته الطويلة في بلاد الغرب، وإطلاعه عن كثب، بالعديد من جوانب الثقافة الغربية ومشكلاتها، واتقانه لعدة لغات أجنبية، كان لا بد لنا من إجراء حوار معه بحثاً عن موقف جديد من الغرب اليوم . وبطبيعة الحال دار الحوار حول بعض القضايا المطروحة في طيات كتابنا مع مفكرين وأدباء كانوا على صلة أيضاً بإشكالية العلاقة مع الثقافة الغربية .

◆ مع ازدياد الحديث عن «العولمة» وامتدادتها الثقافية، البعض يرى أنه لم يعد هناك مبرر للحديث اليوم عن شرق وغرب، أو عن تجديد وتحديد موقعنا اليوم من الغرب، في أعقاب هذه التطورات الأخيرة . كيف تنظر إلى هذا الأمر؟

● إن ما يسمى الآن بظاهرة «العولمة» لا يعني ذوبان الكيانات الوطنية، أو مسخ الذاتيات القومية، وإذا كان ينبغي لنا أن نعيش عصراً وأن نتفاعل مع الآخرين، فلا بد أن نحرص أيضاً على الدفاع عن مقومات شخصيتنا وحضارتنا . وإذا كانت فرنسا مثلاً قد طالبت في محادثات الجات بما أسمته «الاستثناء الثقافي» حفاظاً على الثقافة الفرنسية في وجه الغزو الثقافي الأمريكي، فلا بد لنا بالأحرى أن اتسلك بهويتنا وأن نصون سعادتنا، في الوقت الذي يجدد فيه أيضاً الاستفهام بالمرأة الإيجابية للعولمة من حيث الإنفصال الاقتصادي والتكنولوجي والشجاعي . فالعولمة لا يعني أن تكون ذريعة

للهيمنة الغربية على مقدرات الآخرين. إنها ظاهرة كثیرها من الظواهر التي شهدتها العالم، ولابد أن نتعامل معها بحذر، بل ولابد أيضاً من أن نفهم في تحديد معالمها وصياغة قواعدها وضوابطها بدلاً من أن نقف موقف المتفرج ثم نباكي بعد ذلك عما لحق بنا من أضرار بسيطة، وبالتالي فإن الحديث عن موقفنا من الغرب الآن لم يبرره، بل أراه ضرورياً ونافعاً.

◆ هذا الموقف الجديد من الغرب الذي ندعوه له، ونعرض مفهومنا وأدبياتنا على الإضطلاع بواجههم في صياغة عناصره وملامحه، هل يبدأ في تصورك من نقد إدراكنا القديم للغرب، أم تمنع الأولوية لضرورة إجراء دراسات شرقية وعربية جديدة عن الغرب المعاصر، أم الطريقين معاً في آن واحد؟

● ينبع بطبيعة الحال إجراء عملية نقد ذاتي لمسار علاقتنا بالغرب . لقد عانينا طويلاً وما زلنا من الهيمنة الغربية . ولكننا ارتكبنا أيضاً أخطاء كثيرة . فلابد من وقفة نحاسب فيها أنفسنا قبل أن نحاسب الآخرين . وأرى من ثم أن موقفنا من الغرب الآن لابد أن يقوم على أساس موضوعية بناء على تجاربنا السابقة معه، دون أن تغفل حركة التاريخ وضروراتها . وبالإضافة إلى الدروس المستفادة من الماضي، يحسن أيضاً أن نستشرف آفاق المستقبل، ومن ثم لابد أن تستخدم الوسائل العصرية لصياغة هذا الموقف الجديد، ومن بين هذه الوسائل إجراء دراسات متخصصة ومتعمقة عن الغرب المعاصر حتى يتتسى لنا الإمام بالمعطيات الجديدة في عصر يتسم بالانفتاح والتواصل المستمر . وأعتقد أنه حققنا المزيد من التقدم، أصبحنا أكثر ثقة في أنفسنا وفي تعاملنا مع الآخرين .

◆ من خلال خبرتك ومسيرتك في ميدان الترجمة، كيف تنظر إلى طبيعة عملية الترجمة ودورها في الوقت الحاضر؟

● الترجمة مجال خصب جداً . وأود أن نظر إليها نظرة جادة ونؤمن بأننا أمام قضية ذات أهمية فائقة، لأنها تفتح أبواب الحوار مع الآخرين، هي نافذة مهمة على

العلم، وكانت عبر القرون وسيلة أساسية لنقل المعارف والثقافات المختلفة من شعب إلى آخر، لأنني أعتقد أن التعرف على اللغة ليس مجرد معرفة لغوية، لكنــ كما تعلمــ عندما تعرف على لغة جديدة، تعرف على عالم جديد وثقافة جديدة فالاحتراك عن طريق الترجمة يساعد في التوصل إلى مفاهيم جديدة، كما أن الترجمة أيضاً وتعلم اللغات وسيلة من وسائل التفاهم والتعارف بين الثقافات والشعوب. ونحن نعلم أن الدين الإسلامي يدعو إلى التعارف «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوراً وقبائل لتعارفوا» فالتعارف مهم جداً ولللغة هي وسيلة هذا التعارف والترجمة، هي أداة ووسيلة مهمة لتحقيق ذلك . وربما يحسن أن أضيف هنا أن تعلم لغة أجنبية هو الخطوة الأولى على طريق التسامح وقبول الآخر . ويوجد باليونسكو برنامج بهم بتعليم اللغات الأجنبية كوسيلة من وسائل نشر ثقافة السلام والتسامح . ولعل هذا العامل يضيف بعداً آخر لعملية الترجمة التي يمكن أن تsem بقسط كبير في إزالة سوء الفهم والتشجيع على قبول الآخر والتحاور معه .

◆ لا تعتقد أنتا في حاجة أولاً إلى قبول «الآنا» قبل الحديث عن قبول «الآخر»، وأعني أن في ثقافتنا من يرفضون مقومات الآنا التاريخية، ثم يحدثونا بعد ذلك عن التسامح وقبول الآخر ؟ هل هذا معقول ؟!

● إبني أتفق معك تماماً أنه لابد من قبول الآنا قبل الدخول في حوار مع الآخر، لكنــ يكون هذا الحوار مثمرة وجدياً، إن القصور في معرفة الآنا (معرفة الذات) لابد أن يفضي إلى نتائج سلبية، قد يؤدي إلى الانغلاق والجمود، في حين أن التطلع إلى التعرف على الآخرين يفترض سلفاً قدرًا من الثقة بالنفس والافتتاح . وهذا هو ما أدعوه إليه وأؤمن به حيث أشعر أن لدينا من الرصيد الحضاري والثقافي ما يمكننا من أن نتحاور على قدم المساواة مع الآخرين، شرطية أن نعرف أيضاً بعيوبنا ونؤكــد رغبتنا في الاستفادة من تجاربهم .

◆ هذا من الناحية النظرية المجردة . لكن إذا انتقلنا إلى عالم الواقع العملي

منجد أن الترجمة لا تكون أحياناً أداة للتعارف، وبالتالي يجور التساوٍ : هل هي أداة للتواصل أم للتبعة ؟

● وجهة نظرى أنها أداة للتواصل وليس للتبعة، عندما أترجم كتاباً أو قصة فانا طبعاً أتعرف على شيء جديد بالنسبة إلى، لكن المدخل هو : ماذا سأفعل بهذا الكتاب أو القصة أو البحث ؟ هل أترجم من أجل الترجمة أم أن هناك هدفاً آخر، وبالتالي لا أعتقد أن هناك تبعة إذا عرفنا الهدف الذي من أجله نترجم، فانا أترجم من أجل التعارف والاستفادة والإبداع أيضاً، فالترجمة وسيلة من وسائل التفاهم والمحوار وقد تعطيني دفعة للإبداع والتاليف، ونحن في عالم متشابك وممعقد، ولا بد من أن نعرف ماذا يحدث في العالم. والترجمة وسيلة لكي نعرف الآخرين .

◆ انت تتحدث عن الدور الإيجابي للترجمة، لكن هل هذا ما يحدث فعلاً في الواقع العلمي ؟

● هذا موجود . نعم خذ مثلاً تجربة دخول اللغة العربية في الأمم المتحدة واستخدامها كلغة عمل، فقد كان ذلك مكتباً كبيراً للعرب وللذاتية الثقافية العربية، فاللغة تكتسب مفاهيم جديدة، وهذه عملية أكثر أهمية من الترجمة في حد ذاتها، لأننا نلتقي كثيراً من المفاهيم الجديدة وبالتالي تصعب عملية الترجمة لأنه لا بد من ترجمة هذه المفاهيم إلى لغة سلسة مقبولة من الجميع، وهذه مشكلة أخرى تقنية، لكن الترجمة في حد ذاتها وسيلة مهمة من وسائل التعارف والمحوار مع الآخرين، فضلاً عن الإحاطة بالمستجدات في مختلف مجالات المعرفة ومسيرة التقدم .

◆ أثناء حديثك أشرت مسألة الهدف من الترجمة، فعل ترى أن هذا الهدف كان واضحاً لنا ونحن نترجم ؟ هل كانت لدينا استراتيجية عامة تحدد معنى الترجمة، وما يتترجم، وما لا يتترجم أم أنها ترجمة بلا هدف في أغلب الأحيان ؟

● في هذه المسألة لا أختلف كثيراً معك . فعلاً نحن لا نملك استراتيجية عامة في مجال الترجمة، هناك محاولات فردية تبذل هنا وهناك في بلد عربي أو آخر، لكننا

نعتقد إلى استراتيجية كاملة وتحطيم بعث الأجل في هذا المجال . ولذلك تغير الكثير من تجارب الترجم في العالم العربي بعد وجود رؤية واضحة وبعيدة الأجل في هذا المجال، قد تبدأ جيدة، ثم تعطل وهناك نوع من الحنين إلى الماضي يعترض عملية الترجمة والتعرفي، الترجمة وسيلة وليس غاية بمعنى أنه ينبغي أن نظر هذه الوسيلة في صالح التقدم وتعزيز الثقافة العربية، لكن أنا معك تماماً، في أن هناك نقصاً في الاستراتيجية العربية ونقصاً في التصور العام لهذه العملية .

◆ في تقديرك هل هناك أسباب أخرى تفسر عدم النجاح الكامل لعمليات الترجمة ؟

● لا بد من أن يكون هناك منهج متكملاً أيضاً في إعداد المترجمين، لأن عملية الترجمة في العصر الحديث ليست عملية سهلة، هناك تخصصات عديدة . لا تكتفى بإجاد اللغة، بل ينبغي أيضاً معرفة الشخص، فهي عملية متكملاً، هناك ثغرات عديدة، في بعض الأحيان قد نجد الاختصاصي المتمكن ولا نجد اللغوي المتمكن، فلا بد من أن تجتمع في الشخص اللغة والتخصص أيضاً لكي يتجز شيئاً جيداً، وهذا غير متوفّر دائماً، بعض الترجمات لا تقرأ، فاللغة ركيكة وفي بعض الأحيان قد تكون اللغة لا يأس بها، لكن المضمون غير مقنع وغير كافٍ وغير أمن، إذاً هناك مشكلات تقنية وعلمية تعيّر أيضاً تقديم عملية الترجمة إلى جانب نقص التصور العام أو عدم توفر الاستراتيجية البعيدة المدى .

◆ هل للمراكز الثقافية الغربية، في تقديرك، تأثير في عملية الترجمة، في نوعية ما يترجم إلى العربية ؟ هل يتحققون فائدة ما من الترجمة إلى العربية ؟

● أتصور عندما نقرر ترجمة كتاب ما فلا بد من أن يكون هذا الكتاب مفيدة لنا. أعتقد أننا لا بد من أن نطبع عملية الترجمة لخدمة أهدافنا وليس لخدمة أهداف الآخرين . ومن الممكن أن تستفيد من رغبة هذه المراكز الثقافية في حالة ترجمة أعمالنا من العربية إلى اللغات الأوروبية لتعريف الآخرين بتراثنا، فما الذي يمنع من

أن نستمع إلى نظرتهم ورغبتهم في معرفة شيءٍ ما عن التراث العربي في مرحلة معينة أو القصة العربية الحديثة أو الشعر العربي الحديث .

◆ حديثك في هذه النقطة يفتح الطريق لسؤال : هل تقوم صراحة بدورنا في مجال الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية أم أننا ترك ذلك لبعض المستشرقين ثم نعيّب عليهم جهلهم أو سوء نيتهم بعد ذلك ؟

● هناك ثغرة في هذا المجال لأنهم يجعلون الكثير عنا ، كما نجهل الكثير عنهم وعن أنفسنا ، وهذه مسألة تحتاج أيضاً إلى تخطيط يبغى أن نخطط ، مثلاً يبغى أن نقل إلى الآخر ، فالشاعر على تحبيب محفوظ الذي حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨ ، قد تم من خلال بعض الترجمات المتناثرة ، لم تكن هناك خطة كاملة لترجمة أعمال كبار المبدعين العرب .

◆ ما الذي يحول بيننا وبين إعداد ترجمات جيدة من العربية إلى اللغات الأجنبية للتعريف بكبار مبدعينا ؟

● أن ذلك يعزى إلى عدم وجود هيئة متخصصة في هذا المجال ، هناك جهود لكنها جهود متناثرة ومشتتة في العالم العربي ، ويا جبنا لو كنا نملك أجهزة قومية أو تابعة للجامعة العربية تقوم بترجمة الأعمال العربية إلى اللغات الأجنبية بطريقة منتظمة وتتوافق لها الموارد الكافية لكن نقل الكثير عن أنفسنا ، لآخرين وتقديم الجواب الإيجابية والمشرقة للحضارة العربية ، وعندما أدعوا إلى وجود أجهزة قومية فانا أعني أجهزة فعالة ومنتجة وتتوافق لديها الرؤية الكاملة والحماس وإرادة العمل ، نحن نتحدث كثيراً بطبيعة الحال ، والإنتاج محدود جداً .

◆ في تقديرتك لماذا هذا الحماس غير موجود ولماذا الرؤية والإرادة غائبتان ؟

● هذه مشكلة عامة ، هناك نوع من الانحسار في العالم العربي ونحتاج إلى قدرات تنظيمية هائلة وإلى دوافع كثيرة لكن نتغلب على الكثير من العقبات وكثير من

المشكلات، فالشباب العربي مبدع ويتيح في الخارج وفي المنظمات الدولية، فلماذا لا يحدث ذلك داخل البلاد العربية؟ أعتقد أنها مسائل تنظيمية في نهاية الأمر وتعلق بالإرادة السياسية، فالترجمة كنشاط ثقافي تدرج ضمن نظام متكامل، فإذا صاحتأشياء أخرى قد تصلح الترجمة أيضاً، إذا هي قضية عامة ولها جوانب متعددة ومتباينة .

◆ في إحدى محاضراتك في المركز الثقافي المصري (باريس) تحدثت كثيراً عن مشكلة التعرّيف، نريد أن نعرف كيف تنظر إلى أسباب تعرّف عملية التعرّيف في بعض الأقطار العربية؟

● عندما أتحدث عن مصر لا أحظ أبداً أنّا نرسل بعثات دراسية إلى الخارج منذ بداية القرن التاسع عشر، فالي من سيستمر هذا الوضع؟ ولماذا لا نشيء مراكز للبحوث في مجالات معينة كي ينفذ إلينا الآخرون ليستفيدوا مما لدينا من علوم تتعلق بنا، فيرأى أنه قد آن الأوان لكى تتوقف هذه الحلقة المفرغة المستمرة ونبأ في الإبداع والاجتهداد، ولنبأ بقضية التعرّيف لأنها ضرورة وضرورية قومية ملحة. التجربة تتعثر من حين لآخر . لكن أعتقد أنها لابد من أن تتحقق فيها تقدماً، وفي هذا فليتنافسوا المتنافسون .

◆ عندما تقول «تعرّيف» .. تعنى تعرّيف ماذا؟

● أعني استخدام اللغة العربية في التعليم والبحوث والتاليف، عندما نبعث طالباً ليحصل ، على الدكتوراه باللغة الإنجليزية يعود ولديه رغبة للتدريس باللغة الانجليزية لأنّه درس بها، وهكذا تستمر الحلقة، في تصورى أن اللغة العربية توافر لها جميع المقومات لاداء هذه العملية، لكن هناك نكوصاً وتقاعساً عن الإقدام على هذه التجربة والحرف من الانقطاع عن العالم، ونسى أن اليابانيين يدرّسون كل شيء بلغتهم القومية، إسرائيل تدرس كل المواد باللغة العبرية في وقت كادت فيه هذه اللغة تندثر، وقل الشيء نفسه عن بولندا وفنلندا ودول أخرى كثيرة .

## ◆ ما الذي لا تدرس باللغة العربية في جامعات بلادنا؟

● إذا أخذت حالة مصر، هناك الطب والهندسة والصيدلة والعلوم وطب الأسنان (أى كل ما هو تطبيقي يتم تعليمه باللغات الأجنبية) وتدرس العلوم الأخرى باللغة العربية فلماذا هذه الفرقـة؟ لا توافر لدى اللغة العربية المقومات الكافية؟ هذا غير صحيح، اللغة العربية ليست عاجزة . إنما ليست فقط وسيلة للتثمير، وإنما هي أيضاً منهج فكر، وطريقة حياة، وهنا تنشأ التبعية بمعنى أنها نظل متلقـين ولا نبدع، نتألقـ باللغات الأخرى ونستخدمها في التربية والتنشـة والتعليم فيخرج المواطن وهو يعيش ازدواجـة، وفيـ وعيـه أنـ كلـ جـادـ لـابـدـ مـنـ أنـ يـكـونـ بـلـغـةـ اـجـنبـيـةـ،ـ أماـ الـفـنـونـ وـالـقـاـفـةـ وـالـآـدـاـبـ فـيـمـكـنـ أنـ تـكـوـنـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وأـنـ اـعـتـقـدـ أـنـ هـذـاـ مـنـزـلـقـ خـطـيرـ جـداـ وـأـنـاـ لـاـ بـدـ مـنـ أـنـ نـقـتـحـمـ مـجـالـ التـكـنـوـلـوـجـياـ وـالـعـلـمـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وـلـيـسـ فـقـطـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ بلـ التـكـنـوـلـجـياـ الـعـرـبـيـةـ وـالـهـيـنـدـسـةـ الـعـرـبـيـةـ وـغـزـوـ الـفـضـاءـ . . .

## ◆ كيف تنظر إلى تجربة التعرـيب في كل من الجزائـر وـسـورـيـةـ؟

● في سوريـةـ التجـربـةـ تـسـيرـ علىـ ماـ يـرـامـ وـفـيـ الجـازـيـرـ تـنـعـشـ إـلـىـ حدـ بـعـدـ لـاسـبابـ تـارـيخـيـةـ،ـ لـانـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ كـانـ شـبـهـ غـائـبـةـ،ـ وـبـالـتـدـرـيـجـ بـدـأـ تـنـشـرـ لـكـنـ اـعـتـقـدـ أـنـ بـدـأـ تـنـطـورـ جـديـدـ فـيـ الجـازـيـرـ،ـ وـهـوـ دـمـرـ الإـصـارـ علىـ أـنـ تـكـوـنـ الـلـغـةـ الـفـرـنـسـيـةـ هـيـ الـلـغـةـ الـأـجـنبـيـةـ الـوـحـيـدةـ،ـ لـكـنـ التجـربـةـ مـاـ زـالـتـ تـواجهـ الـكـثـيرـ مـنـ الصـعـوبـاتـ . . .

## ◆ كيف تنظر إلى المستقبل في ميدان التـرـجمـةـ وـالـتـعـرـيبـ؟

● أـعـتـقـدـ أـنـ الـمـسـتـقـيلـ مـشـرـقـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ السـلـيـاتـ،ـ اـذـ كـلـمـاـ تـمـاسـكـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ وـتـجـارـبـ خـلـافـاتـهـ،ـ كـانـ أـقـدرـ عـلـىـ تـعـقـيـدـ إـنـجازـاتـ فـيـ مـيـالـاتـ عـدـيدـةـ وـمـنـهـاـ مـجـالـ الـقـاـفـةـ وـالـتـرـجـمـةـ وـالـتـعـرـيبـ،ـ وـأـنـاـ اـعـتـقـدـ أـنـ الـعـرـوـيـةـ هـيـ ثـقـافـةـ فـيـ الـمـقـامـ الـأـولـ،ـ وـأـنـ الـثـقـافـةـ هـيـ الـتـيـ تـجـمـعـ بـيـنـ الـعـرـبـ،ـ بـعـضـ النـظـرـ عـنـ الـتـقـبـلـاتـ الـسـيـاسـيـةـ .ـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ هـنـاكـ تـنـوعـ سـيـاسـيـ لـكـنـ هـنـاكـ وـحدـةـ ثـقـافـةـ هـيـ الـأـسـاسـ،ـ وـهـيـ مـاـ فـتـقـرـ إـلـيـهـ . . .

أوروبا حالياً في كل ما تسعى إليه من وحدة . هي تفتقر إلى وحدة ثقافية، قد تكون في أوروبا تصورات ثقافية مشتركة، لكن هناك لغات عديدة وتاريخ ينوه بكثير من الاختلافات والانقسامات السياسية والثقافية وما شابه ذلك، بينما نحن لدينا رصيد ثقافي هائل جداً، كما يوجد لدينا كثير من الإمكhanات، ولكن للأسف لم تستغلها ولا بد من أن يستثمر هذا الرصيد وهذا التراث لاستشراف القرن الحادي والعشرين بروح وثابه والتعامل مع العالم بطريقة عصرية حديثة .



أمين معلوف  
مع تعدد الانتماءات والحضارات



حقق أمين ملوف : من خلال كتابه الشهير، نجاحاً كبيراً لدى وساطط الإعلام الفرنسي، ولدى جمهور القراء باللغة الفرنسية، وكان كتابه «ليون الأفريقي» قد حصل على المرتبة الحادية عشرة من بين أفضل عشرين كتاباً صدرت بالفرنسية عام ١٩٨٦ . كما حصلت روايته «سرقند» على جائزة دار الصحافة، وقبل ذلك كان كتابه الشهير «الحروب الصليبية» موضع حفاوة وترحيب داخل الأوساط الثقافية بباراتها المختلفة في فرنسا .. واستمر هذا الاهتمام بأعمال أمين ملوف الأخرى التي تالت في صدورها .. صخرة طانيوس، حلق التور، سلام الشرق ...

وريما يكون أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انتشار ونجاح روايات أمين ملوف التاريخية أنها تمس مناطق الحدود بين الثقافات والحضارات . وهي مناطق يطلع إليها الكثيرون بشغف وفضول وحب وكراهة في أحيان كبيرة يقول ملوف في هنا الشأن: إنني أفكر دائماً في مسألة العلاقة بين الشرق والغرب، وهذه العلاقة هي محور أعمالى، لكن صياغتها تختلف من عمل إلى آخر . ففي كتابي عن الحروب الصليبية كانت العلاقة علاقة تصدام . وفي كتابي «ليون الأفريقي» كانت بيروت ليون تجمع بين الشرق والغرب، وفي كتابي «سرقند» يرغم أن الاهتمام الأكبر كان يتعلق بصدمة الشرق إلا أن هذا الاهتمام كان يعكس في الوقت نفسه صورة الشرق كما يراها الغرب . فالراوى في «ليون الأفريقي» كان شرقياً بينما الراوى في سرقند كان عربياً .

ويرى أمين ملوف أن اختيار شخصياته التاريخية قد جاء بمعرفه الصدفة وأنه لم يحاول عمداً أن يقحم أحداث الحاضر في أحداث الماضي ، وإن كان لم يغب عن ذهنه وجود تشابهات . لكنه أكمل فهم أحداث الماضي وشخصياته من داخلها، ويعتمد على تفاصيل محددة في إعداد رواياته التاريخية تستند في المقام الأول على الواقع التاريخي . ففي «ليون الأفريقي» حافظ على الأحداث التاريخية في أدق تفاصيلها، كرحلات ليون، سقوط غرناطة، معركة القاهرة بين المسلمين والمماليك، أو سقوط روما . كل هذا يرويه ملوف من دون تدخل من جانبه . لكن عندما كان الأمر متعلقاً بشخصية ليون

الأفريقي وحياته الشخصية، تدخل خيال المؤلف، لأن المعلومات، كما يقول، لم تكن متوفرة . فالمؤلف هنا لا يكتب سيرته الذاتية - رغم وجود ملامح كبيرة من حاضر المؤلف - وإنما حاول تقديم هذه الشخصيات . وفهم ما كانت عليه عقلية ونفسية ليون الأفريقي أو عمر الخيام، قبل أي شئ آخر.

◆ كيف تفسر النجاح الذي حققه كتابك «ليون الأفريقي» وأى العوامل فى تصورك هى التى ساعدت أكثر على انتشار الكتاب بين القراء الفرنسيين، فضلاً عن الترجمة الذى حظى به في أجهزة الإعلام الفرنسي؟

● أعتقد أن شخصية ليون الأفريقي أثارت شيئاً من القضو والاهتمام في أوساط النقاد والقراء، حتى أن الاهتمام بهذا الكتاب كان أكثر مما توقفت شخصياً، شخصية «ليون الأفريقي» كانت منسية إلى حد ما. لكن يحدث أحياناً أن ينجح كتاب في إثارة الاهتمام بشخصية قديمة،خصوصاً إذا كانت هذه الشخصية لها زينتها الخاص . . «ليون الأفريقي» يوحى بشئٍ أفريقي، بعيد وساحر إلى حد ما وأعتقد أن هذا ساعد في الاستقبال الذي حظى به هذا الكتاب .

◆ لا تعتقد أن هناك أسباباً أخرى ساعدت على انتشار الكتاب أكثر مما يوحى به اسم «ليون الأفريقي»، ولا تعتقد أن شخصية ليون الأفريقي، بغض النظر عن زينتها اسمها تمثل شيئاً ما ساعد في نجاح الكتاب؟

● الحقيقة أن شخصية «ليون الأفريقي» كانت تمثل نظرة إلى الحياة . . نظرة إلى الانفتاح الثقافي والحضاري، ورفضاً للتزمت والانغلاق .

◆ لهذا السبب طرحت السؤال ؟

● بالطبع هذا عنصر ساهم - إلى حد بعيد - في إثارة الاهتمام بهذه الشخصية، وأعتقد أيضاً أن هناك تشوقاً إلى رؤية وجه آخر لحضاره عربية وإسلامية، وأعتقد أن هذه الشخصية التي عاشت في القرنين الخامس والسادس عشر تمثل إلى حد ما، هذا الوجه الآخر، الذي نسميه الاندلسي .

◆ كيف تعرفت إلى شخصية «ليون الأفريقي» وهل كانت هناك أسباب محددة دفعت بك لكتابته سيرته ؟

● الحقيقة أنني اكتشفت هذه الشخصية بالصدفة . كنت أجري بحثاً عن ابن بطوطة، فاكتشفت هذا الرحالة الآخر الذي لم أكن أعرف اسمه وقذفه . وما أن اكتشفت أنه عاش مراحل مختلفة من حياته في غربانة ثم في فاس ثم في القاهرة ثم في روما حتى أثار اهتمامي إلى حد بعيد، وشعرت أنه يمثل رمزاً لما للشخصية مشرقية ومغربية، متواسطة بشكل عام، تنقلت ضمن حضارات مختلفة وافتتحت على حضارات مختلفة، وربما أتي وجدت عناصر تشبه مع أوضاع قريبة منا . لا شك أن محدث بأهل الأندلس حدث بأخرين في القرن الذي نعيش فيه الآن ؛ وهذا طبعاً أثار مشاعر معينة عندى ودفع بي إلى الاهتمام بهذه الشخصية .

◆ هل هناك معانٍ أو قيم معاصرة تتشاءأ، هي التي دفعت بك لتسجيل سيرة «ليون الأفريقي» ؟ بمعنى غياب قيم كالتسامح وغيرها من واقع اليوم، هل تكون وراء هذا العمل أو مضمورة بصورة رئيسية في ثناياها ؟

● لا شك أن غياب التسامح وتراجعه اليوم هنا من العناصر التي دفعت بي للكتابة عن هذه الشخصية، طبعاً لم أحارو في الحديث عن الحديث عن القرن الخامس عشر والسادس عشر، أن أرج في حديثي عناصر من حياتنا اليومية، لكن لا شك أن اهتمامي بهذه الفترة، وبهذه الشخصية بالذات، له علاقة بمشاهداتي الحالية. كان دائماً هناك وجود للتسامح وعدم وجود التسامح . هناك تناقض وتعاريش بين الاتجاهات، سواء في الحضارة العربية أو الحضارة الغربية . هذا لم يبدل، وإن كانت الشخصيات والظروف قد تبدلت لكن هناك تيارات تاريخية تجد ملامحها في الماضي والحاضر على السواء .

◆ هل تعتقد أن التسامح المضمر في شخصية «ليون الأفريقي» لم يعد له ما يناظره في عالم اليوم ؟ أو هل التسامح في الماضي كان أكثر مما هو في اليوم ؟

● بالإجمال، أقول: لا، مع أننا نواجه اليوم مراحل صعبة ونواجه تصرفات فيها

الكثير من الانغلاق والتزمر، إنما مما لا شك فيه أن الوضع الإجمالي هو اليوم أفضل مما كان قبل خمسة قرون، لكن الأكيد كذلك أن التطور ليس كافياً وهناك عناصر كبيرة كانت بارزة في الماضي ولا تزال موجودة، عناصر من التشنج ورفض رؤية الغير كما هو سواء أكان في الغرب أم في الشرق . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أعتقد أن الفارق بين العالم العربي والعالم الغربي كان محدوداً، وكلما رجعنا إلى الوراء لاحظنا أن الفارق كان أكبر لمصلحة الحضارة العربية . في القرنين الخامس عشر والسادس عشر كانت الحضارة الغربية قد بدأت في تحقيق تقدم مادي يتفوق على الحضارة العربية، لكن الفارق لم يكن حاسماً آنذاك . وإذا عدنا إلى الوراء نجد أن الفارق سيتقلب وتصبح الحضارة المهيمنة فكرياً وعلمياً وحضارياً هي الحضارة الغربية . وقد يكون ذلك من أسباب محاولاتي العودة إلى الوراء إلى تلك الفترات لأنني أجد فيها ما يعيد الشقة بما يمكن أن تصنفه الحضارة التي أسمى إليها .

◆ وانت ترسم سيرة «ليون الأفريقي» ما هي حدود تدخلك في رسم هذه الشخصية بجانب الواقع التاريخية ؟

● كل ما يتعلق بالحياة الشخصية لـ «ليون الأفريقي» تدخلت فيه من واقع خيالي، لأن المعلومات المتوفرة عن عائلته وأصدقائه، وكل هذه الجوانب الشخصية، كانت محدودة للغاية . ومن هنا برع عمل الروائي. أما كل ما يتعلق بالأحداث التاريخية، كرحلات ليون الأفريقي أو تفاصيل سقوط غرناطة أو معركة القاهرة بين العثمانيين والمماليك، كل هذا رويته من دون أي تدخل من جانبي، وقد فضلت إلى حد ما بين ما يتعلق بالحياة الشخصية واليومية لليون الأفريقي والأحداث التاريخية .

◆ إلى ماذا كنت تهدف صراحة من تدخلك الروائي أو الخيالي في رسم سيرة ليون الأفريقي ؟

● الهدف هو أولاً محاولة فهم ما كانت عقلية ونفسية ليون الأفريقي بالفعل آنذاك،

هذا هو الجانب الأول، وهو الجانب الذي أعطيته الأولوية دائمًا، لأن مهمتي في هذا النوع من العمل هي التطابق مع الواقعية التاريخية، لكن لا شك في أن بناء أي شخصية خيالية يتعرض تدخل المؤلف، وربما إدخال عناصر من وحي الخيال، أو من اهتمامات المؤلف إلى شخصيته الروائية . وقد جرى ذلك في كتابي . لست أعتقد أني قادر على الفصل بالتحديد بين العناصر التي هي من صلب شخصية ليون الأفريقي والعناصر التي أدخلتها أنا .

◆ هل تقول إنك «ليون» معاصر؟

● طبعاً هناك فروقات بين المراحل والقرون، لكنني أشعر بعلاقة فكرية وجاذبية مع هذه الشخصية، إنني أشعر أن نظرة «ليون الأفريقي» إلى تعدد الحضارات واستعداده للتكيف مع مختلف حضارات المتوسط، هو قريب من نظرتني أنا ومن واقعي بالفعل . فانا ولدت في لبنان وأعيش في فرنسا منذ أكثر من عشر سنوات، وشتت أم أبىت فانا ابن حضارتين وإن لم يكن ذلك بالدرجة نفسها . وليون الأفريقي ابن حضارتين . وأنا متوسطي وهو متوسطي، هناك قرابة معينة .

◆ موقعك ككاتب يشابه إذاً موقع ليون الأفريقي؟

● إن تشابه محدود . لم أحاور بأي شكل من الأشكال أن أكتب قصتي الذاتية . لابد أن تدخل بالطبع عناصر ذاتية من شخصية المؤلف في شخصية الرواية . لكن لم أكتب سيرة ذاتية على الإطلاق، وإنما حاولت أن أقسم المرحلة التي عاش فيها ليون الأفريقي وأن أقدمها للقارئ بأمانة ؛ وهذا هو هدفي الأساسي .

◆ أنت تكتب سيرة «ليون الأفريقي» المتعدد الاتساعات، ما هو موقعك ككاتب؟ صحيح قلت إنك ابن لحضارتين، لكن لا ترى أن هذه صيغة عامة؟ أليس الكاتب في الأساس هو ابن لحضارته الذاتية أولاً، ثم ثانياً بعد ذلك مرحلة التواصل والتفاعل مع الحضارات الأخرى؟

● من المؤكد أني ابن حضارة . لكن أنا مقتني اقتناعاً شديداً بأن الحياة المعاصرة

تفرض عليناً أن لا نحصر انتماماً . أنا أؤمن بتنوع الانتمامات . أنا أنتهي إلى قريتي وإلى بلدتي وإلى العالم العربي، وأنتهي إلى المتوسط وانتهي إلى حضارات كثيرة وإلى أفكار كثيرة وإلى تيارات كثيرة، وأنا لا أؤمن على الإطلاق بفضيلة الانتمام الواحد .

◆ أنت هكذا لست «ليون الأفريقي» بل ليون العالمي .

● أنا أؤمن بتنوع الانتمامات . إيماني العميق هو أن الإنسان ينبغي أن يتخطى الانتمامات الضيقية إلى الانتمامات الأوسع . هذا اعتقادى طبعاً قد يكون ذلك ساذجاً . لا أحارو أن أطبق ذلك على الصعيد العملى ، أو على صعيد سياسى ، لكن هذه هي نظرتى الشخصية . أنا أعتقد أن كل الحضارات يمكن أن تلتقي في أي إنسان . وأن كل إنسان يجب أن يقبل انتمامه إلى حضارات مختلفة وأحياناً متضاربة .

◆ إذا كانت الأمور تسير على هذا التحوّل فلم كل هذه الصراعات والاحتلال والحروب ، وكيف يمكن الانتفاء إلى حضارات مختلفة في مثل هذه الاجراءات ؟

● ما قالته هو أمنيات وليس تصويراً للواقع . أنا أقول إن الحضارات قادرة على الالقاء ، ولا أقول إنها ملتفة . وإن أي إنسان يجب أن يطمح إلى تحويل نفسه إلى جسر بين الحضارات المختلفة . وهذا على أي حال طموحى ، ولا أقول على الإطلاق إن على كل إنسان أن يقوم بالفعل بهذا الدور . أنا أفرق دائماً بين وصف الواقع وبين التمنى . طبعاً ما قالته هو من باب التمنى . أما الواقع فهناك صراعات ربما مستمدت أجيالاً وأجيالاً ، وهذه هي سنة العالم . لكنه طموحى . أكرر ...

◆ أن تكون جسراً بين الحضارات ...

● أن يكون أي إنسان . طبعاً أنا دورى محدود للنهاية كفرد في مرحلة معينة أحارو أن أفهم العالم الذى أعيش فيه والمرحلة التى أعيشها ، وأن أحارو أن أفهم جذور هذه المرحلة تاريخياً . هذه هي حدودى ، لكن ما أقوله هو أشمل من ذلك .

◆ متفق معك في ضرورة أن يكون هناك تسامح وتفاعل مع الحضارات الأخرى ، لكن الالاحظ أنك جعلت طموحك ، أن تكون جسراً بين الحضارات ، في صيغة يغيب

منها الموقع الناتئ الحضاري كما لا يedo ظاهرا موقع الشخص الذى يصيير جسرا .

● أنا موافق على هذه النقطة . أعتقد بالفعل أن على الإنسان ان يفتح من موقع ما . وقد تكون الأزمة العميقه للمجتمع العربي حاليا أنه فقد ثقته بموقفه وحضارته ، وما أقوم به هو مساهمة متواضعة لمحاولة إعطاء نفسى والإنسان العربى ثقة متتجدة بما أنتجت حضارته ، وبما يمكن تنتاج فى المستقبل . شعورى أن الإنسان لا يمكن أن يفهم حضارة الآخرين ، ويتفاعل وإليها إن لم يكن يقى بحضارته هو . ومشكلة العالم العربى حاليا هو أنه فقد الثقة بحضارته ، وهذا يدفع به إلى تسييجين مختلفين : إما التخلى عن تلك الحضارة والتذكر لها والركض وراء حضارة الآخرين ، وإما الانغلاق ضمن تلك الحضارة خوفا من أن تؤثر فيها حضارة الآخرين . وهذه القوقة تؤدى إلى الإفقار ، ففى رأىي أن من يقى فعلا في حضارته قادر فعلا على التفاعل وحضارات الآخرين من دون أن يفقد حضارته . . . الامير شكيب أرسلان يقول إن مشكلتنا أنها مقسمون بين تيارين «الجاحدون والجامدون» الجاحدون هم الذين يركضون وراء حضارة الآخرين ويختلرون عن حضارتهم ، والجامدون هم الذين يتغلقون على حضارتهم ويرفضون أي حضارة أخرى ويصبحون أسرى ضمن حضارتهم . وفي رأىي أنه علينا أن نتخطى ذلك ، أن نحافظ على علاقتنا بحضارتنا ، وفي الوقت نفسه نتفاعل وحضارات الآخرين . وهذا ممكن في رأىي .

#### ◆ وما الذى يحول بين ذلك فى تصورك ؟

● الذى يحول دون هذا هو ، أولا : عدم ثقتنا بحضارتنا . عندنا شعور بأن حضارتنا تخطتها الزمن ، وبالتالي كثيرون يركضون وراء حضارات الآخرين معتبرين أن حضارتهم نفت أية إمكانية للقيام بدور فى عالم اليوم ، وهناك الخوف على حضارتنا واعتبارها دائساً حضارة مهددة وعاجزة عن مواجهة المصير ، وبالتالي محكم علىها ان تتغلق وتحاول أن تجد أى شىء ضمن ماضيها من دون أى افتتاح على الآخرين . وفي رأىي أن هذا يؤدي إلى التسبيحة نفسها .

♦ هل تعتقد أن طبقة المثقفين العرب على وعي بها المارق، ويريدون الانطلاق فعلاً من الواقع الحضاري اللاتي لاستهم إلى الافتتاح على الآخرين .. أم أن هذه القضية ليست واضحة بدرجة كافية - بعد - لديهم ؟

● في رأيي أن الامراض المتفشية في الجسم العربي هي متفشية في المثقفين قبل سواهم . لكن المثقفين العرب فئة واسعة جداً من التيارات والمواقف . ولا يمكن ان نحدد موقفاً معيناً للمثقفين العرب . ليس هناك فئة واحدة لها مواقف محددة . بالطبع هناك من بين المثقفين العرب من ينطبق عليهم تعسّر شكيب أرسلان عن «الجامدون والجادون» .

#### ♦ هل هم الفالية ؟

● لا ، الفالية تفترض أن يكون هناك استثناء لتحديد ذلك ، لكن المناخ المهيمن هو شعور بالعجز لسوء الحظ ، يعبر عنه إما بالهروب نحو حضارات الآخرين وإما بالانغلاق . بينما الذين يؤمنون بأن لحضارتهم مستقبلاً كما كان لهم ماض ، وأنها قادرة على اعطاء شيء للحضارة العالمية اليوم وفي المستقبل ، وإنها قادرة على الظهور بوجه مشرق وقدرة على منافسة حضارات أخرى والتفاعل وإليها والدخول معها أما في نقاشات حضارية أو أعمال مشتركة في رأيي أن هذا الاتجاه لا يزال اتجاهها محدوداً .

### آفاق الاستغراب اليوم؟

إلى أي مدى وصلت دعوة الاستغراب؟ ماهي العقبات والمشاكل التي  
واجهتنا؟ وما هو مصير هذه الدعوة الجديدة؟  
شارك بها :

حسن حنفى  
حسان هرفارى  
احمد المطبلى  
احمد الشيخ  
هاشم صالح  
جييرجوار ميرشو  
مجدى عبد الحافظ  
محمد سيف  
علاء طاهر  
محمد الصالى

عقدت هذه الندوة في باريس عام ١٩٩٠ . وأختزناها للنشر من ضمن عدّة  
ندوات كان المركز قد عقدها مع عدد المفكرين الشرقيين والعرب لأنها أقرب إلى  
موضوع الكتاب ولأنها توضح الجهد المبكر الذي بذله المركز في التأسيس والدعوى  
إلى دراسة الغرب من منظور جديد .



ربما يكون من السابق لأوانه الحديث عن حصيلة دعوة الاستغراق اليوم . فالاستغراك لم يتحول بعد إلى مبحث علمي له تراثه وأدبياته، بحيث يمكن التقبّل في هذا التراث . ومع ذلك ثمة المشرعية في الحديث عن حصيلة ما تم حتى الآن في طريق الدعوة إلى الاستغراك، بل ربما يكون هذا الحديث أكثر مشروعية .. لماذا ؟

أولاً لأن الفكر التجديدي والتحولى الذى يحمله الاستغراك يفترض دوماً المسائلة في كل لحظة وحتى لا يكون هناك انحراف عن الأسس والمقومات الحقيقة مثل هذا المشروع .

ثانياً : لأن هذه المسائلة التي تفترضها عملية إجراء حصيلة ما تم في هذا الطريق قد تساعد في تبديد المخاوف التي يثيرها الحديث عن الاستغراك في الغرب كما في الشرق .

#### فهـ هـذا الـافق يـطـلـوح لـلـنقـاشـ المـحاـورـ التـالـيةـ ،

- استعراض عام للدعوة الاستغراك : كيف بدأت .. إلى أين وصلت .
- المخاوف التي أثارها هذا المشروع وما الذي يخيف في هذا الاستغراك ؛ وكيف يمكن تبديد هذه المخاوف، وتوضيح الرجح الحضاري لهذه الفكرة .
- كيف يتحول الاستغراك من دعوة يطلقها البعض هنا أو هناك ليصير إتجاهها حضاريًا جديداً، وله إسهاماته في إطلاق وتعزيز أسس الحوار الحضاري الحقيقي الذي لم تبدأ بشانه بعد !!

## الجلسة الأولى

جيرجوار ميرشو : لابد لنا في البداية من الاتفاق حول المصطلحات التي نستخدمها في حوارنا أنا أرى أن مفهوم الاستغراق غير محدد المعالم ، وقد يحمل معه التباساً لأنه قد يؤدي إلى استشراق معكوس . واقترن أن نبحث عن لقطة أخرى ، حتى لا يفهم أننا نطلق من مركزية إسلامية مثلما انطلق الاستشراق من مركزية غربية .

أحمد الشيخ : أعتقد أننا نتفق مع جيرجوار في ضرورة توضيح المصطلحات والمعاني التي نستخدمها معاً لسوء الفهم بيننا وبين الآخرين . وقد لمحت من خلال حواري حول هذه القضية ، ومن خلال مشاركتي في ندوة الجامعة العربية في باريس عن المفكرين والكتاب العرب في المهجر (١٩٨٦) ، أن مصطلح الاستغراك لا يلقي بالفعل الترحيب أو الاهتمام الملائم . بل يرى البعض أننا عندما تحدث عن الاستغراك فإننا ذاهبون لفعل ما فعله الاستشراك من مساوى ومتالب ، إلى الحد الذي يصل بمعنى هذا الملحق الأول للمفكرين والكتاب العرب في المهجر ، أنهم حذفوا هذا المصطلح من البيان الخاتمي للمؤتمر ، وأنا أريد أن أوضح هنا أننا ، في المركز العربي للدراسات الغربية ، لا نفهم هذا الاستغراك من منظور عدائي ، ولا يمكن أن نقوم بما قام به الاستشراك والمستشرقون ، لسبعين: الأول موضوعي ، والثانية ذاتي . السبب الموضوعي أنا لا نملك ، في المرحلة الراهنة في بلادنا ، القوة الكافية التي تسمح لنا بتحقيق الاستغراك بنفس الطريقة التي تحقق بها الاستشراك ، فإذا كان لدينا ، أو لدى البعض منا ، نواياً تهدف إلى تشويه الغرب واستعماره ! ففإننا لا نملك القوة السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية لتحقيق نوایانا ، وأنا هنا انتقل إلى السبب الثاني ، وهو أنا نحمل تراثاً من القيم الأخلاقية ، يبعدنا مسافة كبيرة عن شهوية الآخر والاعداء عليه أو استعماره ، كما حدث من الجهة الأخرى في الماضي القريب . لذلك علينا أن نضع في اعتبارنا الخوف الذي يستثيره إستخدامنا لهذا المصطلح لدى الآخرين هنا أو هناك . وإن نعم إلى تبييد هذه المخاوف ، وإبراز لوجه الحفارى لفكرة الاستغراك .

جيرجوار ميرشو : إذا افترضنا جدلاً أن مصطلح الاستغراك قد أفرغ من بعده

الايديولوجي ، فما هي الموضوعات التي يمكن أن يطرحها على الصعيد المعرفي والإجرائي حتى نوضح منطلقاً ؟

**أحمد الشيخ** : في نطاق توضيح مصطلح الاستغراق علينا أن نميز أولاً بينه وبين مصطلح التغريب ، فال الأول يتضمن دراسة واعية للغرب من خارجه ومن ثقافة أخرى لها ملامحها ومقوماتها ، بينما يتضمن التغريب نظرة تابعة للغرب ، تعرف جمياً ملامحها وأثارها في بلادنا ، إلى الدرجة التي تسمح لي بالحديث عن وجود استشراق محلي عربى ، ونحن كثيراً ما نستند الاستشراق الغربى الخارجى ونتنى الاستشراق الغربى المحلى . وأعتقد أن إحدى مهام الاستغراك ممارسة الحوار النقدى مع هذا الاستشراق العربى ، لأنه لا يمكن أن ينشأ الاستغراك بدون إنهاء الوضع القلق لظاهرة الاستشراق العربى ، فالاستغراك ، كما أفهمه ، يعني النفى والقضاء على حالة الاستشراق العربى السائدة في بلادنا ، هذا ما أتصوره .

**مجدى عبد الحافظ** : اتفق مع جيرجوار فى ضرورة تحديد مصطلح الاستغراك ، لذلك أتسائل : هل الاستغراك هو دراسة الغرب من منطلقات شرقية فقط ؟ ما هو السبب الذى يجعلنا ندرس الغرب ؟ ما هو الهدف من هذه الدراسة ؟ الإجابة عن هذه التساؤلات ستوضح لنا الإطار الذى تخضع له . أما عن الاستشراق العربى فانا لا أستطيع أن أمارس الحجر على المستشرقين العرب .

**أحمد الشيخ** : أنا تحدثت عن الحوار النقدى الذى ينهى حالة الاستشراق العربى .  
**مجدى عبد الحافظ** : لو أفترضنا أن هناك علمًا له أصوله وأصبح يقف على أرضية صلبة ، فمن الطبيعي أن يكون له مردوده النظري والفكري على كل المستويات ، وبالتالي ستكون المعركة ضد المستشرقين العرب والغرب تائجها لمن يقف على أرض صلبة ويكون له مردود سياسى في الساحة . هذا ما أريد قوله .

**محمد العلاني** : نحن نتحدث بصورة عامة عن الغرب . ونتنى أن العلاقة مع الغرب اختلفت تماماً في فترة قبل الاستعمار عن فترة الاستعمار عن فترة ما بعد الاستعمار، ونعلم جمياً الدور الذى لعبه الاستشراق فى التمهيد للاستعمار ، ولكننى أتسائل

وافتراض جدلاً لو لم يحدث للاستعمار هل يكون لاستشراق نفس الدور .

**مجدى عبد الحافظ:** طبعاً لم يكن يوجد استشراق . لكن أطور السؤال وأقول : هل للاستشراق وجه سلبي فقط ، أم أنه أتاح أن ننظر لتراثنا عبر وجهة نظر أخرى ، لا أريد أن نحمل الاستشراق كل مشاكلنا وكل ما هو سلبي ، لابد أن نعرف بالجانب الإيجابي للاستشراق وأن نحجمه ونضعه في حجمه الطبيعي .

**أحمد الشيخ:** تساول محمد العلانى الاتقاضى : إذا لم يكن هناك استعمار هل كان للاستشراق الدور ذاته ؟ فى تقديرى هو تساول غير واضح ، وإن كنت أرغب فى تطويره وربطه بقضية الاستغراى ليصير كالتالى : إذا لم تكن القوة للاستعمار الغرب فعل معنى ذلك أنت لا تستطيع تأسيس الاستغراب الحضارى الذى ندعوه له ؟

**مجدى عبد الحافظ:** هذا يعود بنا إلى التساول : لماذا ندرس الغرب ؟ ما هو السبب أو الهدف من الاستغراب ؟ وبالتالي نعرف إذا كانت هناك أشياء فى اللاذعى تضطهد علينا وتعجلتنا نفك فى الاستغراب ، وبالتالي لو اكتشفنا هذه التراكمات الموجودة فى وعيينا أو لوعينا لأدركنا لماذا ندرس الغرب . أتصور أن المشكلة هي أن الغرب حقق تقدماً مذهلاً ونحن لا نزال فى حجمنا خطوط محلك سر ، هذا سبب رئيسي يدفعنا لدراسة الغرب ، بالإضافة إلى أن حضارات الغرب لها مردودات فكرية جعلت البعض يردددها فى الداخل دون أن يستوعب التراكمات الثقافية الحضارية الموجودة لديه . شئ ثالث يدفعنا إلى دراسة الغرب هو إخفاق الحركات القومية التحررية . أتصور أنتا تعيش فى مرحلة فراغ تاريخى وسي政ى وبالتالي دراسة الغرب من وجهة نظر عربية شرقية علينا ، فى تصورى - أن لا ندرس الغرب بشكل أيدىولوجى ، وأن لا نسقط عقائداً على الغرب . بل نطلق من منطلق تفهم يسعى لإدراك كيف قامت هذه الحضارة بالتعامل مع واقعها التاريخى لستفيد من هذه التجربة فى بلادنا ، وبالتالي نقدم إضافة فى دراستنا للغرب .

**أحمد المطيلى:** تسامل لماذا ندرس الغرب ؛ وأنا أقول : لماذا لا نطرح تساؤلات أخرى ؟ يمكن أن تسامل لماذا ندرس التاريخ أو الأدب أو الجغرافيا ؟ السؤال حول الهدف يمكن أن يطرح على أى شئ يقوم الإنسان بدراسته . بالنسبة لنا - نحن

ال المسلمين - ليست هذه هي المرة الأولى التي ندرس فيها الآخر ونறد عليه بطريقة معينة ، نحن نعرف مثلاً أن أفضل وثيقة عن الهند كتبها البيروني ، كذلك ابن بطوطة والرحالة المسلمين الذين تركوا وثائق مهمة جداً عن مجتمعات مختلفة لنا . لكنني أعود إلى مسألة تحديد المصطلح ، وأبدأ من اللغة ، لأن كلمة استغراب لغريا قد تشير معنى الغرابة لدى البعض فهل دراسة الآخر تثير الغرابة ؟ اصطلاحاً ... الاستغراب لا يعني الغرابة بل يشير إلى الغرب والرغبة في التعرف عليه وعلى الأشياء التي لا يعرفها الإنسان ويريد معرفتها بصورة أقرب إلى الموضوعية ، وربما في هذا إجابة على السؤال : لماذا ندرس الغرب .

**مجدى عبد الحافظ:** هناك مشروعية في التساؤل لماذا ندرس الغرب الآن؟ البيروني درس الغرب لأن الواقع التاريخي في عصره قد وصل إلى فكرة مؤداها أنه قد نضبت الحكمة اليونانية ، وبالتالي لابد من البحث عن الحكم في أماكن أخرى ، في الشرق ، الهند . فالواقع التاريخي هو الذي فرض ذلك من خلال ضرورة تاريخية . ونحن ندرس الغرب اليوم علينا أن نكتشف هذه الضرورة وأن نحللها في وعيانا وفي لوعينا .

**أحمد المطلي:** هنا يفترض أن الاستغراب موجود فعلًا . هذا قد يأتي فيما بعد .

**أحمد الشيف:** تساؤل مجدى : لماذا ندرس الغرب اليوم ؟ أعتقد أنه يفتح آفاقاً رحمة للحوار . لكنني أختلف مع حسن حتى في مقالة نشرها مؤخراً يحكي فيها عن الاستغراب بصورة غير محددة زميلاً ، بمعنى أنه يتكلم عن فترة مؤتمر باندونج في عام ١٩٥٥ وبروز روح جديدة في العالم الثالث بينما نحن لا نعيش هذه الفترة الآن، هذه الفترة من تاريخ العالم الثالث تتراجع ، بل لم تعد موجودة ، حركات التحرر في حالة أحوال . لذلك لا أفهم الربط بين الاستغراب وما لم يعد موجوداً الآن . في اعتقادى أن فترة باندونج كانت أكثر الفترات ملامحة لبروز ما نسميه اليوم بالاستغراب ، لكن أحداً لم يتحدث عن ذلك في هذه الفترة التي اتسمت بالتحرر السياسي وبالتبعة الفكرية في آن ، وكان من الممكن أن يظهر هذا الاستغراب لو أن قيادات هذه الفترة ونخبها قد أدركت أن التحرر السياسي لا ينفصل عن التحرر الثقافي . وهذا الواقع الذي نعيشه اليوم يطرح

علينا التفكير في المعادلة الصعبة، أي الدعوة إلى الاستغراق، ونحن نعيش حالة من الراجع والخراء والفراغ . هل تكون هناك ضرورة تاريخية؟ بمعنى أنها تعيش في فراغ وأنه لا مفر من دراسة الآخر الذي هو في مرحلة أعلى وأرقى، أم أن الاستغراق لا يمكن أن ينشأ إلا في حالة ازدهار وقوة ومد وطني وقومي وحضاري؟

جيوجوار ميرشو : نعم ، بعد الخصوصيات ، كنا نتصور الغرب في بعده السياسي فقط، ثم ظهر لنا أن الاستقلال السياسي كان وهما . وأن عمليات الاستباق قد زادت أكثر مما مضى. الاستغراق الآن قد يأتي بعمق آخر ، وفي مرحلة أكثر نضجاً بعد ما انتفع أن الغرب لم يكن استعملاً عسكرياً وسياسياً، إنما كان استعماراً ثقافياً، والاستعمار الثقافي كان حتماً متداخلاً وممهداً للاستعمرات الأخرى . في البداية كانت هناك شعارات تقول : إفصلوا بين السياسي والعسكري من جهة، والثقافي من جهة أخرى . وكانت هناك شعارات أخرى تقول : كفانا حديث عن الاستشراق لأنه مرحلة استعمارية وانتهت ، وأن الفلسفة الغربية ، غير الاستشراق ، ولابد من الاقبال عليها وأنا أرى أن الاستشراق لم يخلق من عبث ، وأن الفكر الأوروبي ذاته قد مهد لنشوء الاستشراق في القرن التاسع عشر ، مثلاً مفهوم الدولة عند هيجل ، ظهر منه أن الدولة لا يمكن أن تعيش إذا لم تكسر البنية الاجتماعية لدى الشعوب الأخرى حتى تقوم هذه الدولة ويتم التوازن في الداخل . كان التوجه في الأساس نحو تدمير الآخر من أجل إحلال توازن في الداخل ، أنا أدفع بالقضايا لأبعد من الاستشراق ، وأذهب نحو المفاهيم الفلسفية الغربية ذاتها التي مهدت لهذا الاستشراق .

محمد العلاني : هل الاستشراق جزء مكون لروح الحضارة الغربية؟! هناك من يرى أن الروح العامة للتفكير الغربي هي روح صراعية ، صراع مع الطبيعة ، صراع مع الآخر ، صراع مع الآلهة . المنطق الصراعي يسيطر على هذا الفكر ، وبالتالي قد يكون الاستشراق من المكونات الرئيسية والكبيرة للتفكير الغربي ، وليس كما كانوا يقولون لنا إنه مرحلة عابرة وانتهت مع المرحلة الاستعمارية .

حسن حنفي: استمعت إليكم لكي أعرف أين أنا، أيضاً وأين أنت ، لكن نحن ندور

في نفس الأشياء . فيما يتعلّق بفتح اللفظ في حقّيّة الأمر ، لا يهمّ اللفظ يقدّر ما يهم المضمون ذاته ، الم يأت الأول للذات العربيّة أن تصبح أيضًا ذاتاً عارقة . أحد مظاهر التحرّر بالفعل يظلّ هو : أنا أفكّر ، إذن فأنا موجود . يعني فرض الذات نفسها باعتبارها الذات العارقة مهماً قيل علينا من أتنا موضوع دراسة . التحوّل الجديد أنّ فرض الذات نفسها كذات عارقة ، هذا أمر يختلف عن أن تظلّ موضوعاً للدراسة . حركة التحرّر العربيّ تمت حتى الآن على أساس تحرير الأوطان من الاحتلال العسكري ، ثم التحرّر الاقتصادي حتّى يكون الاقتصاد غير تابع ، وربما أيضًا تحرير مناهج التعليم والتنمية والثقافة . وكان كل ذلك في مستويات متعددة ، تتجه هنا أو تغادر هناك ، حتّى الآن لم تحدث علميّة التحرّر على المستوى الذي يعني العلاقة بين الذات والموضوع ، مهمّة علم الاستغراب ، أنّ أتحول إلى ذات وأنّ لا أضع نفسي باستمرار كموضوع للدراسة الاتّولوجية والاتّريولوجية ، كل هذه العلوم الغربيّة ساذاً ت فعل ؟ تذهب إلى العالم الإسلاميّ والعربيّ ثم تتحدث عن الخيال العربي ، السخيال ... الخ ، أنا زهقت من هذه المادة العلميّة كجزء من حركة التحرّر ، كذات عارقة ... أقول مازلتنا تحنّ تقوّم برد فعل عن طريق بيان ما يقوله الآخرون فيها ، وأنه معاد في كذا وكذا ... وأن الأحكام والصور التي بنانا الاستشراق فيها تحولها بواحدة كذا وكذا ، وتشهد عن العنصرية والهيمنة الغربيّة وسوء الفهم والعقليّة المسيحيّة .. وكلها طرق دفاعيّة ، أما الاستغراب فوظيفته أن تنتقل من مرحلة الدفاع ، ليس إلى مرحلة الهجوم ، لكن على الأقلّ نقل المعركة إلى أرض الخصوم . أنا سأحاول أن أتحرّر قدر الإمكان من كوني موضوعاً للدراسة ، وأقول للغربيين أنت لست ذاتاً عارقة إلى الأبد ، ويمكن أن تكونوا موضوع دراسة ، وبالتالي أصل إلى ما يسمّى في الغرب ، في العلوم الإنسانية ، الوعي التاريخي الأوروبي ، الوعي الفكري الأوروبي ، ولا أزيد أن أقول العقليّة الأوروبيّة ، حتّى لا نقع فيها وقعاً فيه هم من حديث عن العقليّة العربيّة ، ولكنّ أحاول دراسة ما يسمّى بالتاريخي الأوروبي ، وأدرس تطور هذا الوعي ، خاصة أنه أصبح موضوعاً للدراسة عندهم - شنجنر ، هرسل ، تويني - وبدأ الناس يتكلّمون عن أزمة العلوم

الأوروبية، أزمة الوعي الأوروبي ( بول آزار ) أزمة الضمير الأوروبي ، أزمة الأخلاق .

أحمد الشيخ : تقول بدأ الناس يتكلمون . بينما هذا أمر قديم .

حسن حنفي : أريد القول إن هذا أصبح جزءاً من التراث الغربي ذاته . . . وظيفة علم الاستغراب تحرير الذات العربية ، وجعلها تنظر بدون عدسات ، والانتقال بالفکر العربي المعاصر من مرحلة الترجمة والنقل والشرح والتلخيص إلى مرحلة الإبداع والخلق والاستقلال الثقافي وإكمال حركة التحرر العربي بالتحرر الثقافي والتحرر في مجال البحث العلمي وعلم الاستغراب وظيفته إعادة الغرب إلى تاريخيته ، وهذه نظرية ماركسية ، فلا يوجد وعي إلا وهو وعي تاريخي ، وبالتالي وضع الغرب في إطاره الطبيعي ، وفي حدوده الجغرافية والتاريخية الزمانية . وأستطيع أن أصف تماماً كيف نشأ الوعي الأوروبي وكيف تطور وما هي مراحله وبواعته ، زباديته ونهایته ، كما أستطيع أن أصف بيته ، لا أريد أن أقول عقلبيه ، ومصير هذا الوعي وكيف يقابل أو يتواءى مع وعي آخر في الهند والصين أو المنطقة العربية . وفي رأيي سيؤدي عدم الاستغراب رسالة هامة فيما يتعلق بالبحث في العالم العربي والإسلامي ، فيما يتعلق كذلك باحترام الآخر لنا . إنه تحول تاريخي . لن نقع في أخطاء الاستشراق ، بل سؤدي خدمة لهم عندما نقلل من عنصرتهم ومركزيتهم . وسنجعل إطار النظر والحكم متعددة ، ومراتز الثقافة متعددة حتى ينشأ حوار حقيقي بين الحضارات . لكن إذا ظلت كفتى العيزان غير متوازنتين فلن يحدث أي شيء من ذلك . لكن لو تعدلت الصورة . هنا يبدأ الحوار الحقيقي والتحرر الحقيقي .

مجدى عبد الحافظ : ما تقوله صحيح تماماً على الجانب الثقافي ، لكن هناك جانب الآخر ، في العلوم الطبيعية . وهذا هو العامل الأساسى الذى يجعل العامل الثقافى الفكرى يتأخر .

حسن حنفي :خذ مثلاً علوم الذرة ، وهى من العلوم السرية التى لا تعطى حضارة إلى أخرى ، ومع ذلك الصين أبدعت علوماً ذرية ، الباكستان كذلك ، حتى العلوم الطبيعية ، نظراً لمخاطر الذرة وتطبيقاتها التهوية يمكن أن تبدع علومها .

**مجدى عبد الحافظ:** تعادل الميزان لن يتم ما لم تحدث طفرة أيضاً على المستوى العلمي ، لكن إذا افترضنا أنها وصلنا على المستوى الشفافي النظري ، إلى علم الاستغراب ، الذى يدرس الغرب ويضعه فى حجمة الجغرافى والتاريخى ، لكن إذا لم نصل أيضاً إلى التقدم الغربي فى العلوم العلمية فسوف تظل الكفة الغربية راجحة .

**حسن حنفى:** نحن نعلم أن هناك علماء عرباً أبدعوا وذهبوا يخدمون عواصم العرک ، وعندما يعودون إلى بلادهم يهاصرون .

**مجدى عبد الحافظ:** بسبب الأنظمة ، بما فيها الأنظمة الدراسية التى تخنق الإبداع .

**حسن حنفى:** أنظمة قاهرة تضغط بالطبع ، فليس فى مصلحة الأنظمة الإبداع ، الذى يعني التفكير بحرية قد تقضى على هذه النظم . ويمكنك أن تجد ٧٠٪ من الأطباء فى إنجلترا من العرب والهنود والباكتشين . ويمكنك أن تجد ٣٠٪ من الجسم العلمى فى أمريكا من العرب ... لكن الوعى الحضارى أهم بكثير .

**محمد العلاني:** المنتجات الحضارية تأتى بعد الإدارة الحضارية .

**أحمد الشيخ:** يبدو لي أن الحديث عن الاستغراب بوصفه علمًا ليس أمراً دقيقاً فيما أتصور ، الاستغراب حركة حضارية ، عملية حضارية ، والاحظ أن حسن حنفى يسرف كثيراً فى استخدام كلمة علم ، فهو أحياناً يتحدث عن علم الذاتية ، وعلم ... .

**حسن حنفى:** القديماء كانوا يتحدثون عن علم الحديث ، علم التزول ...  
**أحمد الشيخ:** هذا فيما مضى ، لكن الآن ، هل يجوز أن نطلق تسميته علم ، وفي الواقع الحديث يدور حول حركة حضارية تقوم بشد الانتباه إلى أشياء ، وتتجاهل أشياء أخرى .

**حسن حنفى:** تقول الآن لكن عند من ؟

**أحمد الشيخ:** عند إجماع الباحثين فى الشرق أو الغرب .

**حسن حنفى:** أنت خسجهة معنى ضيق للعلم ، وهو العلم资料 .

**أحمد الشيخ:** بل أتحدث عن العلم فى العلوم الإنسانية .

**حسن حنفي**: وماذا عن الانترسولوجيا الثقافية التي وظيفتها دراسة الثقافات والحضارات والانتقال من حضارة إلى حضارة . نحن نوسع نطاق مفهوم العلم ، وأنت تضيق مفهوم العلم . ما العمل ؟

**أحمد الشيشي**: ما أبحث عنه هو تعبير ملائم وعبر بدقة عن مشروع الاستغراب كعملية حضارية .

**حسن حنفي**: العلم هو نوع من النظام المعرفى ولا يعني بالضرورة أن يكون بمعنى العلم الطبيعى أو الرياضى ، بل هو أى جهد بشرى به نوع من تنسيق المعرفة ، من هذا المنظور علم الناسخ والمنسوخ هو علم له قواعد يتبعها العقل .

**أحمد الشيشي**: أنت تستخدم معنى قديماً لكلمة العلم ، وهو غير المتعارف عليه الآن ، عندما تقال كلمة علم في العلوم الإنسانية ، وليس فقط في العلوم الطبيعية .

**أحمد المطيلى**: يبدو لي أن حسن حنفى لا يميز بوضوح تام بين ما هو علمى وما هو أيدىولوجى ، ليس هناك حدود ، وبالتالي يمكن أن تقول الشئ وضده ، ولا يحدث أى شئ بالنسبة للحكم الذى تقول به ، طالما لا يوجد تناقض بين الأشياء فى حدائقك عن الاستغراب الآن . لا أعراف حدوده كعلم ، وحدوده كعملية أيدىولوجية لا أنهما الحدود الفاصلة بين العلم والأيدىولوجيا فى خطابك الآن . ويبعد لي أن المفكر ، فى حسن حنفى يتكلم قليلاً ثم يصمت بعد ذلك ، ليظهر حسن حنفى المذهبى .

**حسن حنفى**: التمييز بين العلم والأيدىولوجيا ، ما هو برهانه ؟

**أحمد المطيلى**: العلم يمكن أن يصل إليه أكبر عدد ممكن من الناس سواء داخل حضارة بعينها أو خارجها ، بينما الأيدىولوجيا ليست بالضرورة موضع اتفاق حتى داخل مجرومة معينة من الناس .

**حسن حنفى**: وماذا تقول عن علم التصوف ؟

**أحمد المطيلى**: التصوف يقوم على تجربة ذاتية ، داخلية ، روحية .

**حسن حنفى**: لكن مع ذلك استخدمت كلمة علوم التصوف .

### **أحمد المطيلي : من الذي استخدمها ؟**

**حسن حفني:** أخشى أن تكون هذه التفرقة بين العلم والأيديولوجيا ناتجة من الأديب الماركية، التي شاعت في ثقافتنا المعاصرة ... هذه التفرقة ناتجة من الأديبيات الغربية التي شاعت بيننا، والمقصود منها الآتي : إذا أراد أحد أن يتكلّم، وأن يجعل المسافة غير كبيرة بين العلم والوطن، وأن يجعل من همومنه كمواطن هو كهمومه كعالِم ، يقال له على الفور أنت تخلط بين العلم والأيديولوجيا.

**أحمد الشيف :** وجهة النظر التي يطرحها حسن حفني أقل ما يقال بشأنها هو أنها خلانية وليست موضع اتفاق ، كما لا نعرف منها متى يكون العالم عالِماً، ومتى يكون المواطن مواطناً؟ وأغلبظن أنها طريقة أو ذريعة تسمع لصاحبها يان يقول الشيء ونقيسه في أن واحد ، ثم لماذا أنت مثبت بكلمة علم لوصف عملية حضارية هي الاستغراب ، وأنت تعلم أن الاستخدام القديم لكلمة علم لم يعد مساغاً اليوم . وتصرب أمثلة بعلوم التصوف ، وأنت تعلم جيداً أن التصوف لا يمكن أن يكون علماً لأن كل متصوف يصل إلى الحقيقة عن طريقه الذاتي الخاص . فلماذا تصر على استخدام تسمية قديمة لموضوع حديث ؟

**مجلد عبد الحافظ:** اليوم العلم أصبح محدداً وله شروط ، وإذا كان العلم، بمعناه القديم الواسع كما هو موجود في التراث العربي الإسلامي ، كان بطلق على التصوف . هل معنى ذلك بالضرورة أن استخدم المعنى القديم للعلم وأرفض تعبيراً آخر قد يتبع أن أدرس بشكل أكثر دقة .. ما هو المعيار؟

**حسن حفني:** عندما نقول علم النفس ، علم الاجتماع ، هل تظنين أن هذه العلوم خالية من الأيديولوجيا؟ بل كذلك العلوم الطبيعية والرياضية ، اعتقدون أنها خالية من ... .

**أحمد المطيلي :** لكن في هذه العلوم الطبيعية قد تأتي الأيديولوجيا من الخارج أكثر مما تأتي من الداخل ، على الأقل في الغرباء هناك علماء ومؤمنون وعلماء محليون .

**حسن حفني:** تصور إيشتاين للعالم هو تصور أيديولوجي ، تصورات نيوتن وكيلر

للهالل ع هى تصورات أيدىولوجية ، وخلافنا فى الدرجة وليس فى النوع .  
أحمد العطيلي : بالطبع .

أحمد الشيف : نحن نعرف أن علوم الإنسان ، كما نشأت في الغرب الحديث ، لا يمكن فصلها عن جذورها الثقافية والحضارية والأيدىولوجية . لكن الخلاف مع حسن حنفى يعود إلى إصراره على استخدام كلمة علم بمعناها القديم .  
حسن حنفى : فيكتو سمى فلسفة التاريخ بالعلم الجديد ، اذهب واعترض عليه ، وكذلك غاليليو .

أحمد الشيف : لا أمانع في ذلك ، لماذا أنت متاثر بهم ؟ هم ليسوا مراجع أبدية . إلا تقول بذلك في أماكن أخرى !؟

حسن حنفى : في الوقت الذي تبني فيه الحضارة نفسها ، وتنتقل من مرحلة إلى أخرى ، نجد العالم أو المفكر أو فيلسوف التاريخ ، يستخدم لفظة علم ، لأنه لكن ينتقل مجتمعه من مرحلة إلى مرحلة ، عليه أن يقدم نسقاً فكريًا مذهلياً فيستخدم كلمة علم ، أنا أرى أنكم خائفون من استخدام كلمة علم وكانها كبيرة عليكم ، وأنكم أقل من روح العلم ، وأنا لا أحب هذا لديكم .

أحمد الشيف : أرى أن السياس أو الأيدىولوجى هو الذى ينطق الآن في حسن حنفى . وفي الحقيقة رفضنا استخدام كلمة علم لوصف عملية الاستغراب ، لأننا نعلم أنه لا يمكن له ولن يكون أبداً علماً ، وإنما حركة حضارية تتضمن صراعات وتوترات ولناءات وليس علمًا ، ونحن لا نخاف من أحد ، ولدينا مشروع طموح ، وهذا يفرض علينا أن تكون أبناء مع أنفسنا ومع الآخرين . فمن البسيط أن نطلق على نشاطنا مسميات كبيرة ، دون أن يكون لها ما يبررها في الواقع العملي .

حسن حنفى : لماذا تسمى الأنثروبوجيا علماً ولا تسمى الاستغراب علماً ؟  
أحمد الشيف : أنا لم أطلق أي تسمية ....

محمد العلاوى : قلنا منذ قليل إن العلم يتفق حوله أكثر الناس بينما الأيدىولوجيا لا

تحصل على هذا الإجماع . وهذا الكلام لا ينطبق على علوم الإنسان ، لأنه لا يوجد اتفاق بشأنها والجانب الأيديولوجي واضح تماماً . ولا يوجد علم إنساني حوله إجماع كامل . أحمد الشيخ يقول إن الاستغراب ليس علمًا . وماذا عن الاستثناء ؟ !

**أحمد الشيخ** : لم أقل إن الاستشراق علم ، وإنما هو مجالات صراعية في حقول مختلفة لا يوجد علم واحد للاستشراق ، وإنما طرق من البحث والرؤية في مجالات مختلفة ، فنفس الأرضي استشراق ، دراما لغات حضارات أخرى استشراق ، الاستشراق أفق من النظر والرؤية .

**محمد العلاني :** الشيء الواضح أنه لا يمكن الحكم على شيء بأنه سيكون علمًا أم لا ، وحسن حنفي قال إن الاستدراجب عملية في إطار تكوين .

**أحمد الشيخ** : لكنه أطلق عليها صفة علم . وإذا كان على اتفاق في أن الاستغراق حركة أو عملية حضارية ، فمن الصعب الحديث عن علم بالمعنى المعاصر للكلمة . هذا كل ما أردت قوله في هذا الشأن .

**حسن حفني:** ليس فقط عملية حضارية، وإنما هناك أيضاً قواعد حضارية يمكن أن تصل إلى درجة العلم المحكم، الذى له قواعده ومنهج ونماذج وغيارات . والقول بأن الاستشراق ليس علماً، فإن هذا غير صحيح ، الاستشراف ميدان للبحث .

**أحمد الشيّع** : الاستغراب كذلك ميدان للبحث .

**مجدي عبد الحافظ:** علم أو غير علم ، ربما يعتذر هذا الحديث سائقاً لا وانه .

حسن حنفي: ما هو معيار العلم؟ هو ميدان للبحث، له موضوعه، وله منهجه . وهذا ينطبق على الاستغراب .

**أحمد المطيلي**: حسن حتى قبلى كان يشكك فى عملية العلوم الإنسانية ويبز جوانبها الأيديولوجية والأد يصف الاستغراب بأنه علم ، لا أنهم هذا التناقض .

حسن حنفى: لا داعى للجدل .

**أحمد المطيلى** : أنا لا أمارس الجدل ، أنت الذى تقول الشىء ونقضه فى الوقت نفسه

هذا هو الجدل .

**حسن حنفى:** الجدل هو محاولة للاتصال على الخصوم . عندما أقول أن علم النفس وعلم الاجتماع ليسا علمين ، إنما لإثبات الجانب الأيدلوجى فيهما ، أما لو سلمتم بأنهما علوم فذلك لأن لها موضوع ومنهجاً والاستغراب له موضوع هو الوعي الأوروبي وله منهج وله نتائج تستطيع أن تتحقق منها في كتابات الأوروبيين أنفسهم ، وبالتالي مادمتم قد سلمتم بأن العلوم الإنسانية هي علوم ، فالاستغراب كذلك هو علم أيضا . وهو ، من جهة أخرى ، رد فعل على التفريغ ، هو أن تخالص من هذا الشعبان الداخلي والخارجي حتى تراه وتصنفه وتقضي عليه . نحن الآن بعد التحرر من الاستعمار في موقف أفضل ، كي تكمل حركة التحرر ، وأن نحوال أنفسنا من موضوع إلى ذات .

**محمد سيف :** التحرر من الاستعمار والتبعية يضع المفكرين باستمرار في موقع غير مستقل طوال الوقت ، فدراسة الآخر لدينا من موقع القوة والازدهار كما كان الأمر أيام العباسين وفي فترة الطهطاوي ، غير ما هو عليه الواقع اليوم . الوضعي مختلف الآن . لابد أن نضع شرطة على الاستغراب ، لأننا نتعامل مع موضوع لا نملكه . لأن الاستغراب أولاً هو دراسة علوم الغرب ومواطن القوة عندهم ، وهذه ليست في متناول أيدينا .

**حسن حنفى: وماذا نفعل ؟**

**أحمد الشيعي :** لابد من أمانة ووصف دقيق لميزان القوة ، كما هو قائم وليس كما تخيله ، حتى نعرف ماذا نفعل .

**محمد سيف :** العلوم الآن في يد الغرب في المرحلة الراهنة . لا جدال أننا ساهمنا في الماضي ، لكن الآن ماذا نحتاج من الغرب ؟ الضمير ؟ استخدام العقل ؟ الرومانسية ؟ العلوم والتكنولوجيا ؟ السؤال الآن : كيف نمتلك القوة ؟ ماذا لدينا لكنى نمتلكها ؟ هذا السؤال لابد أن يستقر كل طاقات الفكر لدينا ؟ في ظل هذه «المعمعة» .. أى بُعد سيأخذ الاستغراب الذي تتحدث عنه .

**حسن حنفى:** بالضبط سيأخذ بعد الذى تتحدث عنه الآن . ماذا نحتاج اليوم ؟ نحن لا

نحتاج إلى شيء ، حتى العلم الطبيعي ، الموضوع في القمة ، هو قائم على رؤى ونماذج ، وهذه أزمة ضخمة بصرف النظر عن تطبيق أن العلم الطبيعي ، ثم إن العلم الطبيعي يعني في كل مرحلة وكل حضارة . اليابان نقلت من الغرب وأثنت على نفسها الطبيعي ، وكذلك الصين والهند .

**محمد سيف** : لا يوجد إبداع ياباني . اليابان استخدمت قوانين غربية . كان هناك إبداع عربي فيما مضى عندما قدمنا علم الجبر وأشياء أخرى في العلوم الطبيعية . لكن لا يوجد إبداع ياباني . اليابان صنعت الغرب . اليابان لم تبدع شيئاً على صعيد العلم ، الإبداع هو تجسس الفكر العلمي والعملي . اليابان حتى السنة الماضية كانت لا تملك سوى ثلاثة صحف يومية !

**أحمد المطيلي** : خرجنا مرتين عن موضوع الاستغراب .

**حسن حنفي** : وجلستنا نتحاور في نقطة واحدة ، هل الاستغراب علم أم لا ؟

**أحمد المطيلي** : الاستغراب علم ، أم غير علم ، وقضية الإبداع ، يطرحان قضيائنا على قدر كبير من الأهمية ، وربما ليس عرضاً لإرتباط الاثنين ... الإبداع قضية مثارة في كل الأوساط ، وهناك اتفاق على أنه لا يوجد لدينا إبداع في الفترة الراهنة ، وسؤال الآن لحسن حنفي ، كيف يمكن أن نصل فعلاً إلى مرحلة الإبداع ، ليس على مستوى الفرد ، بل على المستوى العام ؟

**حسن حنفي** : بعد أن يصدر كتابي "مقدمة في علم الاستغراب" قريباً سأنشر كتابة "من النقل إلى الإبداع" وهو محاولة لإعادة علوم الحكمة . في هذا الكتاب أخذت النموذج القديم ، وكيف تعرف القدماء على الآخر (اليونان ، الهند ، الفرس) ، وما هي الترجمات التي تمت بكل أنواعها ؟ وما هو التناص ؟ وما هو الشرح ؟ ثم كيف بدأ التأليف بعد مراحل الشرح والتلخيص وأنواع التأليف ، وأنا أدرس النموذج القديم ، في ذهني علاقتنا بالغرب . وهذه العلاقة كانت هي الفكرة الموجهة لي .

**أحمد المطيلي** : بما هي النظرية التي يمكن أن تنبئ بعد هذا الاستقراء التاريخي

الطويل . باعتباره يشمل مرحلة تاريخية كبيرة من تاريخنا القديم ؟

حسن حنفى: رد على نظرية أنتا لم تبدع قديما ، وبما أنتا كذلك فلن نستطيع الإبداع حديثاً، وأنتا شرحنا وعلقنا ولخصنا فقط . . .

أحمد المطيلى: أنتا أريد أن تخرج من مرحلة الدفاع التي كنت تتحدث عنها، أنتا فعلنا كلنا، وأنتا أبدعنا كلنا . وذلك حتى تبدع فعلاً . كيف ننتقل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة البناء (الهجوم) .

حسن حنفى: أقول إذا، هل مستمر في النقل والترجمة والتلخیص والعرض ؟ ومن الذى يبدأ بدور مشابه كدور الكندى ويبدأ التاليف ؟ هل نعيش الآن نفس الظروف ؟ هل الطريق ممهد أمام جيل جديد من الباحثين يمارس التاليف والإبداع، بدلاً من قراءة الواقع من عدسات غير ملائمة . لقد آن الأوان أمام البحث العربى لكي يقوم بدور التظير المباشر للواقع .

أحمد المطيلى: هل دراستك فى طريق الانجاز ؟

حسن حنفى: «من النقل إلى الإبداع» أنجزته فى طوكيو على مدار ثلات سنوات ويحتاج إلى صياغة أخرى .

أحمد المطيلى: هناك شيء يصعب فهمه فى حديثك عن قرأتك لهذه المرحلة . أنت تطلب إلقاء العدسات نهائيا ، وتتحدث عن الاستغراب ، وتنسى أن الإبداع يتبع أن يستوعب ما قبله . أشر فى الحقيقة بوجود عدم انسجام فى أطروحاتك . وهو أمر يسبب لي قلقا .

أحمد الشیخ: إنه قلق مشروع .

## الجلسة الثانية

أحمد الشيخ : كيف بدأ التفكير في مسألة الاستغраб ؟ أعتقد أن طرح هذا السؤال لا يتضمن فقط أبعاداً تاريخية وأكاديمية، وإنما هو في صلب دعوة الاستغраб ذاتها ، فمعرفة البدايات الأولى وبواعتها قد توضح، بصورة جلية، المسار اللاحق للنقد ، وما قد يشهده هذا المسار من تقدم أو تأخر ، وكذلك إذا كانت الفكرة دعوة شخصية أم تعبر عن ضرورة موضوعية ؟

علاه طاهر : مصطلح الاستغраб بمعنى دراسة الغرب من قبل الشرقيين ، مثلما كان الاستشراق هو دراسة الشرق من قبل غربيين ، لم يكن هذا المصطلح موجوداً حتى الآن ، والذين يستحدثون عن هذه النسبة إلى ملاحظة حسن حنفي البعينيات عن هذه المسألة ، لكنها لم تطرح أبعد من هذه الإشارة في حدود ما أعلم .

وأسأل حسن حنفي : هل كانت هناك محاولات معروفة في هذا الشأن ؟

حسن حنفي : هناك فرق بين المصطلح والمادة . من حيث المصطلح ربما ما نقوله صحيح ، لكن من حيث المادة، أي كيف يرى اللاجئون الغرب ، هذا موجود عبر التاريخ منذ الطهطاوى فى تخلصى الإبريزى فى تلخيص باريس . وعبد الله تكرى فى كشف المخي عن فنون أوروبا ، وكذلك ما كتبه فارس الشبياق وعيسى بن هشام وابن أبي ضياء ... منذ عصر النهضة ، والغرب أصبح مرآة لنا ، إما نكشف فيها أنفسنا ، أو نحن مرآة للغرب يرى فيها نفسه . الموضوع ، إذًا ، الكل يكتب فيه ، فى الأدب ، فى القصة ، فى الشعر لكن دون أن يوضع تحت مفهوم أو مصطلح .. أقول ، إذًا ، التفكير فى هذا الموضوع قديم ومحاولة إنكمame ووضع معايير وافتراضات ونماذج للتطبيق تتجاوز إعلان الترايا ، مثلاً أنور عبد الملك وسمير أمين ، النية موجودة والفتكة الرئيسية موجود والهدف موجود كأحدى علامات التحرر ، وأن الذات لا تستطيع التحرر إلا إذا تحولت من موضوع لسلدرامة إلى ذات عارفة ، لكن إلى الآن لم نخرج من مستوى الممارسات إلى مستوى العلم المؤصل .

أحمد المطيلي : في نفس هذا السياق ، هل هناك تاريخ لظهور هذه الكلمة طوال قرنين ؟

حسن حنفي : الكلمة فيما أعلم لا .

أحمد المطيلي : متى استخدمت لأول مرة ؟ ومن الذي استخدمها ؟

حسن حنفي: أحمد الشيخ أعد دراسة عن هذا الموضوع ، حسب علمي ، أنا لم أقرأها في مكان ما واستعملتها استعمالاً تلقائياً بعد ١٩٧٧ فيكتبي «قضايا معاصرة» جزء أول وثان ، والتراث والتتجدد وقبل ذلك في مقدمة الرسالة الأولى والثانية بالفرنسية عام ١٩٦٥ و ١٩٦٦ ، على أساس أن دراستي للظاهرة ومحاولتي دراسة الوعي الأوروبيين ورصد بدايته ونهايته كانت وأنا أعيد كتابة أزمة العلوم الأوروبية لهرسل ، وتحدثت عن شعور العالم الثالث في مقابل الشعور الأوروبي .

أحمد الشيخ: لدى أولاً بعض الإيضاحات قبل أن أطرح وجهة نظرى حول كيف نشأت فكرة الاستغراب . أولاً لا ألاحظ أن حسن حنفي يريد أن يبحث للفكرة عن مثيلين كبار، فيشير إلى أنور عبد المالك وسمير أمين ، في حين أن كليهما يرفضان فكرة الاستغراب رفضاً قاطعاً ، في حدود ما أعلم ، ولم أجده في مواقفهما أو كتابتهما ما يشير إلى ذلك . ثانياً يشير حسن حنفي إلى أن الفكرة بدأت لديه أثناء إعداد رسالته للدكتوراه في عام ١٩٦٥ ، وأنها مسجلة في رسالته الفرنسية ، لا سيما في مقدمتها ، بينما حسن حنفي في هذا الموضوع يشرح منهج هرسل عن «الشعور المعايد» وهو أمر مختلف تماماً عن الشعور الإيجابي والفاعل الذي تطمح دعوة الاستغراب اليوم . وثالثاً حسن حنفي يربط الفكرة بمؤتمر باندونج وفترة عدم الانحياز ، بينما هذه الفترة لم تكن قد اكتشفت بعد فكرة الاستقلال الثقافي ، وكانت تقف فقط عند أعتاب الاستقلال السياسي أو ما كان يسمى بسياسة عدم الانحياز . وبالتالي لم ألاحظ ، ولم يلاحظ غيري ، أن فكرة الاستغراب قد واكتبت دعوة باندونج وعدم الانحياز ، وإن كنت أرى أنها كانت فترة ملائمة لذلك ، لو تتبه قادة واقطاب هذا التيار إلى مسألة الاستقلال الثقافي أيضاً ، وأعتقد أن الفكرة طرحت أساساً في بعض المؤتمرات الإسلامية في مواجهة العداء الذي يتبعها في كتابات بعض المستشرقين ، وأنذكر من هؤلاء الذين دعوا إلى هذه الفكرة محمد رحيم في لاهور عام ١٩٥٧ . إذا كانت ذاكرتي قوية ، ثم كانت تطلق كدعوة عامة من وقت لآخر هنا أو هناك . وقد طرحتها حسن حنفي في عام ١٩٧٠ في مقالة شهرية له عن «موقفنا من الغرب» في مجلة الفكر المعاصر ، ثم ذكرها ، حسب ما أعتقد ، في ما يزيد على صفحات كتابه التراث والتتجدد الصادر عام ١٩٨٠ . وهنالك يتعد الأمر مجرد إشارات عابرة لا تتجاوز سطرين أو ثلاثة عن ضرورة وجود استغراب كما كان هناك استشراف ، وفي الحقيقة معرفتي بهذا المصطلح تعود إلى كتاب برنارد لويس «كيف اكتشف المسلمون أوروبا» . ولأول مرة أطلع على مصطلح الاستغراب

بالفرنسية، وإن كان استخدام برنارد لويس للمصطلح في سياق الإشارة إلى عدم توافق الفضول لدى المسلمين لكن يجهوا نحو دراسة الآخر ، وهو ما استفزني وجعل الرد على هذه الفكرة شغلي الشاغل لفترة طويلة ، وقد تبدي ذلك في كتابات كثيرة بالصحف والمجلات التي كنت أعمل بها ، وكان من نتيجة هذا الجهد، وإشارة هذه القضية على نطاق واسع، وجذب عدد كبير من المفكرين العرب والفرنسيين للحديث عنها، أن أصبحت قضية مطروحة على نطاق واسع . وهنا تدخل حسن حنفي وكتب دراسة، في أعقاب نشرى حوار الاستشراق والاستغراب ، والذي رفض أن يشارك به ، تحت عنوان « نحو علم اجتماعي جديد» ثم غير عنوانها من جديد «من الاستشراق إلى الاستغراب» ثم ها هو يهدى كتاباً جديداً أعطاه اسم مقدمة في علم الاستغراب ، وقرأنا منه بالامس أحد فصوله التي حملها معه من القاءرة والذى من المتوقع صدوره ، كما أشار ، خلال الأشهر القادمة . . . نسبت أن أشير إلى أن هناك بعض المفكريين الغربيين يطرحون المسألة ذاتها، أى أنه يطرحون ذكرة الاستشراق ببراعث مختلفة ، فهناك من يطرحها في أفق استغراقي ضد العرب والمسلمين ، وهناك من يطرحها لأنه يرى أنه من الأفيد للحضارة الغربية أن ينظر إليها من خارجها، مثل جوزيف نيدهام، وهناك عالم الإناثة الفرنسي لوبيتون، الذي طرحتها وعمل على تفيذهما بان استقدم مجموعة من الرواة الأفارقة ليدرسوا بعض ظواهر المجتمع الفرنسي والإيطالي ، وقد لخص هذه التجربة في كتابه «النظر غير المستكافئ» وكنا قد استقلينا منذ شهور هنا ، في المركز العربي للدراسات الغربية، وناقشت كتابه وتجربيته القريدة . هناك أيضاً البيلسوف الفرنسي ميشيل سير الذي تحدث عن أهمية الفكرة قبل أن تفرق بما سفيحة نوح وفتنا تعبيره . هذا باختصار تصوري للسؤال الذي بدأنا به .

حسن حنفي: كأنك تبحث عن الاستشراق لدى الغربيين أو الاستشراق لدى الشرقيين؟! الغرب لا يمكن أن يدرس نفسه أو يجعلها موضوعاً للدراسة ، هو يدرس الآخرين، أما أن يتحول الغرب نفسه إلى مواضيع دراسة لهذا لا أفهمه .

هاشم صالح: ولم لا ! هو بالفعل يتحول نفسه إلى موضوع للدراسة ، لكن أن يجعله غير الغربيين كذلك فهو أمر لم يبدأ بعد .

حسن حنفي:نعم فلائحة التاريخ ، خاصة شبجلز عندما كتب أول الغرب ، هذه دراسة عن تطور الغرب وأخذ الغرب كموضوع للدراسة . . . توبين قال الشيء نفسه ، يقول أنا الغرب عن طريق المسيحية يمكن أن يعيد إليها الحياة من جديد ، ويرجسون

فـ الفصل الأخير من كتابه متبع الأخلاق يتكلم عن انهيار الغرب والمادية الآلية ، وإن الغرب يحاول أن يصنع آلية جديدة من المادية ، وكذلك هرزل في كتابه "أزمة العلوم الأوروبية" يحاول أن بين بداية ونهاية الغرب ، ويوجه نداءً في النهاية : خطر ، خطير يا أوروبا، لابد أن تنهضي من جديد .

علاه طاهر : قضية البحث عن روح .

حسن حنفي: فلاسفة التاريخ أدركوا أن هناك مأساة ، وحاولوا بالتحليل الذاتي للوعي الأوروبي ، فهل هذا استغراب ؟ لا إنما رؤية الغرب لنفسه .

أحمد الشيخ : هناك أيضاً دعوة بعض المفكرين الغربيين لأن نرى الحضارة الغربية من خارجها مثل جوزيف نيدهام ، وهناك من يدعوا لذلك سخرية وانتقاداً من قدر المسلمين ، وأنهم لا يتطلعون إلى معرفة الآخر ، بالطبع الغرب يمكن له أن يدرس نفسه ، لكن أفق الدراسة يختلف بالطبع عن تلك الرواية القادمة من حضارة أخرى .

حسن حنفي : في أول لقاء لنا بالغرب ، وأول اكتشاف بأن هناك عالم آخر مختلفاً عن الآنا ، كان الطهطاوي يقول في تلخيص باريز : عندهم حدائق ومسارح ، أما نحن ... هل هنا حديث عن الآخر أم الآنا ؟ الآنا في مرآة الآخر ، والآخر في مرآة الآنا ، ... انعكاس جدل الآنا والآخر . كان هنا بداية ظهور جدل الآنا والآخر .

أحمد الشيخ : لكن مع أهمية محاولة الطهطاوى ، في هذا الشأن ، وأنها أول محاولة في الكتابة عن الآخر ، كما تقول ، إلا أنه لم يكن لديه ، ولم يكن من المس肯 أن يكون له في هذا الوقت المبكر ، هذا الأفق من الرؤوية والتحليل الذي تكشف عنه فكرة الاستغراب اليوم . فالجديد في الاستغراب اليوم ، كما أراه ، هو الترکيز أكثر على الواقع الذاتية والحضارية للآنا التي تنظر وتكتب عن الآخر ، وهذا لم يكن موجوداً بهذا القدر والوضوح أيام الطهطاوى .

حسن حنفي: هذه قضية ثانية، نقل الشقاقة الغربية والترويج لها لدى البعض ، لكن الهدف من الاستغراب ودراسة الغرب بوصفه المغاير والمخالف للآنا، هو من أجل تطوير هذه الآنا. الطهطاوى كان يتحدث عن الغرب من أجل ماذا؟ كي يبرر للمصريين والعرب أن هناك أشياء لابد أن تغير عندها كما تغيرت في الخارج ، وأن هناك نمط حياة وفلسفات أكثر تقدماً مما نحن عليه، وأنا عملت الشئ ذاته وأنا أدرس الفلسفة الأوروبية بعد هزيمة ١٩٦٧ في كتابي فقضايا معاصرة وفي ترجماتي عن إسبانيا وكاتان وماركيز

لم تكن الغاية هي هؤلاء، أو أعمالهم ، بل كانت الغاية تطوير عقلانية الذات ودعورتها للنظرية النقدية. ففي مراكش ، منذ أسبوعين ، وأنا في ندوة عن علال الفاسي ، قام الطلاب المغاربة وقالوا هذا بأنفسهم : هل يمكن عمل دراسة موضوعي في جيلنا لآخر ؟ لأننا كعرب تحاصرنا الهوسوم وقضايا التحدث والهففة ، وهذه الهوسوم والاهتمامات تفرض نفسها .. زكي نجيب محمود في كتابه عن «المنطق الوضعي» ، ولا أعرف إلى أي حد هذا الكلام صحيح ، قال إنه عندما سمع في لندن عن المذهب الوضعي ورجع إلى بيته ووجد الفكر الصوفى والرجحى وغير العقليانى ، لهذا أراد أن يعلم الناس أحد أنماط التفكير العلمى التجربى ، فتأليف كتاب عن «المنطق الوضعي» يمكن أن يكتب فى المانيا لكن اختيار المذهب والتوجه له فى بيته مخالفة يهدف إلى تغيير هذه البيئة ونقلها من مستوى إلى مستوى .

**أحمد الشيخ** : لا خلاف فى مسألة الهدف من دراسة الغرب من أجل تطوير الذات ، لكن عندما نقدم هذا المذهب أو ذلك فى ثقافتنا هل أضاف إليه مفكرا ؟ وهل أبدع فى تطويره أم كان مجرد ناقل كما يحدث فىأغلب الأحيان .

حسن حنفى: بالطبع هناك تيار يجعل من نفسه بوقية يصب فيها الفكر الغربي ، وال موقف الثاني المعادى الذى تعلمه الجماعات الإسلامية ، محمد الغزالى كتب «ظلام من الغرب» بينما زكي نجيب محمود كتب «شروع من الغرب» . ثم هناك موقف ثالث هو موقف الذى يستقى ، ويمثله الإصلاحى محمد عبد ، والأغاني . وعلم الاستغراب يمثل موقفاً مغايراً ، فليس الغرب مكاناً للظلم وليس مكاناً للشروع كذلك وإنما هو موضوع للدراسة .

علم الاستغراب لا يرى أن هناك نمطاً واحداً من التحدث والعلم والثقافة وهو نمط المركزى الغربى ولا يخلط بين الحضارة التاريخية أو التأريخية المرتبطة بالزمان والمكان والحضارة العالمية : فؤاد زكريا يقول بهذا . هناك فرق بين ثقافة والحضارة ، إنهم يخلطون بين الاثنين ويعتبرونهما الشىء ذاته وهى في النهاية الحضارة الغربية ، ومن يريد أن يحضر عليه أن يأخذ بها ! ... أقول : إذا علم الاستغراب هو من أجل إيجاد مطلق لعلاقة الآنا بالآخر وأنواع الحركة بينهما ، ولماذا لم ينشأ لدى أسلافنا القدماء ما نعاني نحن منه من تبعية وتغريب ، في فترة الحروب الصليبية ، عندما جاء الصليبيون غازين رجعوا متعلمين ، هذه علاقة بين الآنا والآخر . وقبل ذلك كانت علاقتنا باليونان أيضاً في عصر المأمون مرحلة من مراحل علم الاستغراب ، إذا علاقة الآنا بالآخر متعددة

المراحل والجوانب . لكن ما يهمني حاليا في الموقف من الغرب تناولات : هل هناك حضارة بالف ولام التعریف وباقى الحضارات الأخرى لا شيء \* وما هي شروط الإبداع لدينا بدون أن تكون باستمرار في حالة تعلم .

**محمد العلاني:** التساوی إذا كان مفهوم الاستغраб قد ظهر من قبل أم لا؟ في تصورى هو تساوی غير ممكن لسبعين: الأول أنه كان لا بد للعلم العربى أن يستفيد من تجارب الفاشلة الناجمة عن علاقته بالغرب التي طفى عليها عصر التماهى أو التعریب ..... فشل هذه التجارب وما كان عليه الاستئناف من نظرية مركزية أوروبية ، هي التي جعلت الحديث عن الاستغраб ممکناً اليوم وليس فيما مضى .

**حسن حنفي:** لماذا بدأ الاستغراب يظهر الآن وليس قبل ذلك ؟ يعود إلى إثناء كثيرة من بينها بالفعل فشل إيديولوجيات الحديث ، وببداية إكتشاف أن الاستشراق ليس بحاجة عالمياً مهماً، وإنما له مقصاد آخر .

**أحمد العطيلي**: لكن هل وجدت مصطلحات تعبّر عن التعرّف على الغير في تراثنا يمكن أن تقدّمنا في دراسة الآخر.

**حسن حفيظ:** المصطلح لم يكن موجوداً في الماضي ، البيروني لم يضع كتابه تحت مصطلح معين ، ابن سكوير كذلك ، والفلسفه المسلمين عندما شرحاً أرسقو لم يضعوا ذلك تحت مصطلحات معينة كما تستخدم نحن الآن مصطلح الاستغراب ، وبما لأنهم كانوا يتعاملون مع الآخر من منطلق قسوة بعض أنهم لم تكون لديهم عقيدة النقص التي لدينا ، كانوا هم وارثي الحضارة ، وكانت فاتحين ، وكانت هذه ثقافات الشعوب المغلقة في النهاية .

**جيوجواه ميرشو:** أرجو أن لا تتعسف في فرض أشياء لم تكن موجودة في الحضارات القديمة . مفاهيم شرق وغرب هي في الواقع مفاهيم حديثة ، وبما أنها حديثة أقول إنه لا أول مرة في التاريخ حدث نمط جديد في السيطرة والغلبة والهيمنة . فالحضارة الراهنة لا تغرس نفسها عسكرياً وسياسياً بل ثقافياً أيضاً، أما في السابق فلم ينطربح هذا الانطلاق، ولاإل مرة في التاريخ تطرح فكرة الهيمنة الثقافية ، من هنا تأتي فكرة الاستغلال وتطهير شكلها جديداً .

حسن حنفي: إضافة جيدة تبرز أن علم الاستغراب هو مقاومة لثقافة المحتوى.

**حسان عرفاوى:** أنا فى الحقيقة لم أقتم بعد بمصطلح الاستغراب وبأهمية المعرفة.

وأتساءل هل يمكن بناء مصطلح على مستوى الفكر فقط دونما أن تكون هناك حاجة اجتماعية لذلك ، وليس فقط النخبة التي تفكير بخلافه فيكون تفكيرنا متوجهًا دائمًا إلى الآخر أو الغرب ؟ وسؤالٌ الثاني : إذ كان مصطلح الاستغراق مبررًا فما هي المسوّبة الفكرية خاصة على مستوى التاريخ العربي ، وأي المراجع والمدارس التي يستند إليها ؟ أعتقد أن طرح سالة الاستغراك اليوم هو نوع من مواصلة التماهي بالآخر . وإذا كان الاستغراك هو رد فعل على الاستشراق ، هل نحن في حاجة فعلاً إلى الاستغراك ؟ أنا أقول إننا في حاجة إلى استشراق قبل أي شئ ، استشراق مبنيٍ من خلال استرجاع شرعينا التاريخية ، شرعية الفكر أن يتواصل من خلال ذاته ، استشراق مبنيٍ على فهم أنس الذات ، وليس الاستشراق بمعناه الشائع ، وليس من خلال رؤية الآخر ، أى أدعوه إلى العودة إلى الثقافات حتى ما قبل الإسلامية لمعرفة لماذا وقعت قطعية في فترة من الفترات في التفكير العربي الإسلامي ولماذا في القرنين السابقين .

حسن حنفي: إذاً ذكرت لي حالي الآن . الا تشعر أن هناك آخر قابع بداخلك ؟

حسان عرقاوي: أكيد لا يمكن للمرء أن يتجاهل تكوينه وبماشرته للواقع الغربي

حسن حنفي: هل يسبب لك أزمة .

حسان عرقاوي: المطروح بصراحة ليس على مستوى نفسى ، وإنما أطرح القضية على مستوى فكري . ليس لدى رفض للغرب على مستوى نفسى ، لكن المسألة تتعلق بكيف نستعيد التفكير فى ذاتنا وتاريخنا وثقافاتنا .

حسن حنفي: حلل نفسك من الداخل .. الا تشعر أنك مزدوج الثقافة وعندما تفكك لا تعرف ماذا تفعل !! الا تشعر أنك كى تفهم الظاهرة السياسية تحيل نفسك أحبيانا إلى العقد الاجتماعي والفصل بين السلطات وأحياناً أخرى تحيل نفسك إلى الشورى ، وبالتالي تعيش نوعاً من الاضطراب والازدواجية في الإطار المعرفي العام . لذلك علم الاستغراب وظيفته فك هذا الاشتباك .

حسان عرقاوي: أنا طرحت مسألة الشرعية الفكرية لأننا تحدثت في مجال الفكر ، أنا أذكر في أشياء أكثر عملية وأتساءل كيف يقع الإعتراف بباحث داخل الوطن العربي إذا لم يكن قد تكونَ في المدارس الغربية وإذا لم يستشهد بمدارس غربية تعطيه شرعية فكرية ، وإذا لم يكتب في مجلات علمية غربية؟ .. هذه أشياء لابد أن تطرح على مستوى تنظيم الجامعة والبحث العلمي .

**حسن حنفي:** أنا أحاول أن أضع لكلامك إطاراً ، ما قلته صحيح عند فريق واحد هو فريق المستغربين ، الذين يرون أنه لا تعطى للإنسان مشروعية إلا إذا كان له رصيد في الثقافة الغربية في المجالات الغربية .

**حسان عرقاوي:** في آخر كتاباتك تساءلت ، لماذا كنت تحتاج إلى الفلسفة الظاهرية كي تبين أن هناك إمكانية لقراءة مختلفة للقرآن حسب القصد . أنا لم أنهم لماذا كنت محتاجاً إلى اللجوء إلى هذه المدرسة الغربية مع أنه كان بإمكانك أن تستمد المشروعية الفكرية لهذا التوجه من خلال المنظومة الفكرية باعتبار أن المدارس الفقهية تقول إن القصد ...

**حسن حنفي:** قلت ذلك في أصول الفقه قبل الظاهريات .

**حسان عرقاوي:** لكنك احتجت للخروج من هذا العقل الفكري لتذهب إلى المدرسة الغربية ثم تعود فيما بعد .

**حسن حنفي:** لا ، العكس هو ما حدث ، لقد بدأت بآصول الفقه عام ١٩٦٥ ثم الظاهريات جاءت متاخرة ، عندما حاولت أن أرى محيط الآنا الآخر ، والآخر هو الظاهريات بالنسبة لي ، لأنها ترصد أزمة العلوم الأوروبية ، ترصد مسار الآخر ، فأخذت الظاهريات باعتبارها آخر ما انتج الغرب وتحاول أن تصف ما أحاوّل أنا وصفه ، وأن الآخر بداية ونهاية ، وكلنا ونحن نتأضل ضد الإنجليز كما متاثرين بفكرة أن الغرب قارب على الانتهاء ، وأن النضال ضد الغرب سيوقفه عند حده ، وأن المستقبل ، لنا وإن شعب العالم الثالث المستحررة هي التي سترث الغرب ، ووجدت أن الظاهريات تقول ذلك باسلوب علمي .. وأنه لا يمكن أن تقوم تجربة جديدة في الغرب ، لأن المشروع الغربي اكتفى .. في الفلسفة أخذت الظاهريات لأنها تعطيوني مساحة لتناول الغرب أو الوعي الغربي باعتباره وحدة واحدة ، أنا لست مهتماً بفيلسوف أو مذهب ، بل بالآخر كله ، كيف نشا؟ كيف تطور؟ هل اكتفى؟ وهل انتهى؟ وما مصيره؟ ومن ثم الظاهريات هي الشيّ حاولت وضع هذا الإشكال ، ومن ثم بدأت أدرس الظاهريات لاكتشف أن الآخر له بداية ونهاية والآنا ...

**أحمد الشبيخ:** جميل هذا الإيضاح لأسباب ارتباطك بمنهج الظاهريات في البداية .. لكن المشكلة أنك استخدمت هذا المنهج كمنهج دائم للتحليل حتى الآن .

**حسن حنفي:** أنا لم أدرس الآخر أولاً ثم طبقته في الآنا بل بدأت بالآنا وبيّنت إمكانية

صعودها ثم بینت ثانية الآخر وبينت احتمال انه قال كل ما لديه وأن هناك علامة استفهام كبيرة حول الوعى الاردوبي إلى أين ؟ ... لكن القضية حالياً أن الآنا في نهضتها حدثت لها عشرات .. صحيح نجحت في طرد المستعمر خارجياً لكن في التحدث والتنمية تزداد اعتماداً على الآخر لذلك فكرت في علم الاستغراب .

**هاشم صالح :** بالنسبة لي أرى الأسرور من خلال مصطلح صغير مكون من كلمتين هو «الحس التاريخي» والشئ، الذي يمكن أن تأخذه على الجيل السابق علينا ، ومنهم أستاذنا حسن حنفى ، هو ضمور الحس التاريخي في تحليلاته . بشكل عام الغرب مطروح كانه شئ لا يحيط .. المشكلة مزدوجة ، الذات العربية نفسها مطروحة خارج الزمان والمكان ، بدون ميلاد أو تطور . وحتى نكشف تطورها هذا يفترض شجاعة في معارضته الذات ، معرفة الذات العربية والإسلامية تحتاج إلى حس تاريخي متنه وليس دفعه واحدة، لأن الحقيقة قد تقتل أحيساناً ! من الذي يمكنه أن يعرف المنشأ الأصلي للحركات الإسلامية الكبرى معرفة تاريخية غير المعرفة الإيمانية التقليدية التي تربينا عليها والتي لا يمكن أن تنتهي خارجها ... نحن في حاجة إلى التسلیح بهذا الحس التاريخي لمعرفة الذات ولمعرفه الآخر أيضاً . أنا عندما جئت إلى فرنسا كنت مبهوراً مثل الطهطاوى ، لكن بعد الانهيار جاءت لحظة النظرة النقدية .. في مرحلة الانهيار سيختفى دائماً الحس التاريخي ..

**حسان عرقاوي:** إذا انتقلنا بفكرة الاستغراب من حيز الدعوة إلى خير التطبيق ، فعلى أى أنس معرفة يتم ذلك ؟ ما الذى ينير لي الطريق ؟

**أحمد الشیخ :** ما يقوله حسان عرقاوي يطرح بالضرورة الموضع الذاتية والحضاروية لمن يؤسون فكرة الاستغراب عملياً . فعندما نأخذ الآخر موضوعاً للدراسة فإنه لا يبغي أن تتوقف عند هذا الحد بل لا بد أن نفيض شيئاً آخر .

**حسن حنفى: ما هو؟**

**أحمد الشیخ :** إن نصر أنتا يجعل الآخر موضوعاً للدراسة من أفق معين وملامح ثقافية وحضارية معينة ، لأن أغلب المحاولات التي تأخذ الآخر موضوعاً للدراسة تغيب عنها هذه الأبعاد الثقافية والحضارية وما تفترضه من مناهج ذاتية في الرواية والتحليل . وحسن حنفى ذاته الذى يدعو للاستغراب ويريد تحجيم الغرب يفعل ذلك ، وهو يستند إلى

مناهج غربية .

**حسن حنفي:** يقولون عنى أطيق من هنا وهنا ، مثلما قالوا عن ابن سينا وابن رشد .  
ويظل منهاج الآخر والتأثير الهدف منه تفريح الذات من قدرتها على الإبداع .

**أحمد الشيخ :** من يدعو إلى الاستغراب لابد أن توفر له طريقة من النظر والرؤية تعبّر على جماع المفردات الرئيسية للشقاوة التي يعبر عنها ، وأن تكون هذه الطريقة أو المنهج على درجة من الوضوح تسمح له بعد ذلك بالحديث عن منهاج الآخر والتأثير .

**أحمد المطيلي :** اتصور عندما ندرس الآخر و أنا نفكّر في الآخر ، و نفكّر في أنفسنا .. أحيانا نستخدم مقولات الآخر ، نستخدم مفاهيمه ومصطلحاته ، أنت تريد أن تدرس الآخر وتدرس ذاتك ، لكن في النهاية الأمور ليست بهذا الانقسام البسيط فهناك تداخل للأخر على المستوى الفظي والاصطلاحي ..

**حسن حنفي:** انتظري يا أخي أنت تلعب في ملعب الخصم ، من أجل هذا أفرق دائماً بين العالم والمواطن ، أنت تلعب في ملعب الآخر وليس في ملعبك . أنت إسقاط تماماً دورك كمواطن .

**أحمد المطيلي :** لست متفقاً معك في التفرقة بين العالم والمواطن ، التراصيل حاصل ، لكن إذا كنت تجعل من نفسك عالماً ومواطناً في نفس الوقت ونفس السياق ، هنا يحصل خلط وتداخل وغموض ويمكن أن تظهر في مظهر مواطن وفي مظهر عالم فتختلط الأمور .

**حسن حنفي:** في حالة إذا لم تحصل الوحدة بينهما .

**أحمد المطيلي :** وهذه هي المشكلة في الأغلب .

**حسن حنفي:** إذا استطعت في الوقت الذي تكون فيه عالماً أن تظهر مواطنتك ، وفي الوقت الذي تكون فيه مواطناً أن تظهر كعالماً فلاخوْف إذاً من ذلك .

**مجدى عبد الحافظ:** أريد أن أنقل الحوار إلى مسألة اعتقاد أنها هامة وهي : هل يكون الاستغراب يجعل الآخر موضوعاً للدراسة على المستوى الشفافي كافياً دون أن تُنطرأ أو تملك الجزء الثاني المتعلق بالصناعة والعلم والتكنولوجيا .

**أحمد الشيخ :** سؤال مشروع

**حسن حنفي:** نحن نضع الخبرة أما الاختمار فهو عملية طويلة جداً.

**حسان عرفاوي:** سمعت كلاماً عن المواطنة والالتزام بتنضية الوطن ، لكن نظل القضية

المطروحة هي قضية معرفية ، ما هي العلاقة بين المواطنة والسياسة من جهة ، والمعرفة من جهة ثانية ، ومتى يكون العالم مواطناً ومتى يكون عالماً ، الشيء الثاني الذي أثار انتباхи عندما تقول إن الاستغراب موجه إلى تحريم الآخر ، فإنه يغيب عن هذا الكلام مسألة الوعي بالذات ، وعندما تكون المسألة موجهة للخارج فقط فأنما أرى ذلك مواصلة للنegrab في نهاية الأمر ، ل أنه لم يجعلنا نصل إلى الواقع بأنفسنا ، وكيف تكون المعرفة لدينا؟ ما هي مدارسها؟ ما هي هيكلها؟ ما هي العلاقة بين المفكرة والسلطة والأيديولوجيا والمجتمع والثقافة الشعبية؟ هذه التساؤلات ينبغي أن تسبق التساؤلات حول الآخر ، ولا يمكن فهم الآخر دون فهم الآليات التي تتكون من خلالها المعرفة لدينا .

**حسن حنفي:** واضح أنك متاثر بثقافة الحى الالاتينى ، الاستغراب ليس قضية معرفية ، الاستغراب ضد احتراف النفس ، ضد الاختناق .

**حسان عرفاوي:** في هذه الحالة لا يمكن تأسيس الاستغراب على مستوى معرفي وإنما نفس .

**حسن حنفي:** أنت وقعت فى ازدواجية إما ، أو . . .

**حسان عرفاوي:** لابد من تحديد العلاقة بين الأشياء .

**أحمد العطيلي :** أنت بدأت وقلت علم الاستغراب هو محاولة لدراسة الآخر بطريقة علمية ومحاولة تلمس جدلية الآنا والأخر ، لكن الأن مع تطور النقاش نحصل على وجه آخر لم يكشف عنها التعريف الأول . والآن نحن نلمس شيئاً آخر ربما حسن حنفي المواطن وليس العالم ! في هذه الحالة إذا كنت تريد أن تحافظ على قدر من الاتساق بين المقدمة والنتيجة ، ولا أعرف في الحقيقة الأن أين المقدمة وأين النتيجة ، ينبغي القول: المشكل ليس معرفياً بل وجودياً .

**جيوجوار ميرشو :** لا ينبغي أن نحتقر أنفسنا ، لقد فعلنا أشياء كثيرة بدأت تظهر بوادرها في السبعينيات والثمانينيات . من قبل لم يكن هناك حديث عن الاستعمار الثقافي ثم بدأت مرحلة جديدة ومجهودات كبيرة هنا وهناك ، والمطلوب ، العمل على توحيد هذه المجهودات الفردية .

**هاشم صالح:** أنا أدور أحمد الشيخ أن يحدد بوضوح أن الهدف من المركز العربي للدراسات الغربية الذى يريد تأسيسه ، هو القيام بدراسات تاريخية للحضارة الغربية ، ونتهي من هذا الغموض الذى يحيط بمصطلح الاستغراب .

## إعلان تأسيسي

### «المركز العربي للدراسات الغربية»

انطلاقاً من حاجتنا إلى تجديد إدراكتنا بالثقافة الغربية وبمحبيتها الخاص وانطلاقاً من واقع أن معرفتنا بالغرب بصفة عامة هي معرفة محدودة وجزئية وغير دقيقة في أحيان كثيرة انطلاقاً من ذلك بدأنا التفكير في تأسيس المركز العربي للدراسات الغربية . فالحاجة إلى تجديد إدراكتنا بالثقافة الغربية أصبحت ضرورة أساسية في نظر الباحثين العرب الذين ينهمون باعفاء هذا المشروع الوليد بهدف إنشاء قناعة جديدة للمعرفة في العالم العربي يكون من مهامها إطلاع القارئ والباحث والمثقف العربي على الجديد - والقديم أيضاً - مما يشكل الملامح الرئيسية للحضارة الغربية المعاصرة ، وبصفة خاصة في مجال العلوم الإنسانية .

لكن كيف يمكن تجديد وعينا بالثقافة الغربية ثم لماذا في هذه المحظوظات بالذات ؟ في الواقع، إن اهتمام الباحثين العرب ، في هذا المركز ، بدراسة الغرب كموضوع للعلم لا يعني انتصاراً عن دراسة الثقافة العربية كما لا يعني تغريباً للهوية القومية أو تدويناً للشخصية العربية بل على التقى من ذلك، يهدف هذا المشروع الجديد إلى تدعيم الثقافة العربية من خلال معرفة أفضل بالثقافات المغایرة لها ، فالجديد في هذا المركز أنه يتعامل مع متوجبات الثقافة الغربية كموضوعات للعلم والمعرفة قبل一切 الآراء والتأييد أو الإدانة ، والجديد أيضاً في هذا المشروع أنه يتعامل مع متوجبات الثقافة الغربية في إطارها الشامل والحضاري ، وليس كمتوجبات من هنا وهناك دون أن يكون هناك عميق حضاري يعطيها معناها الحقيقي . فالتعامل يتم من خلال التركيز على الموقع والأبعاد الحضارية لكل من الثقافة العربية والثقافة الغربية في خطوطها العريضة . ومن هنا كان إصرارنا على أن مشروعنا هو مركز عربي للدراسات الغربية . أي أنه مركز مكرس للحديث عن آفاق الغرب المعاصر وتطوراته وتقنياته الجديدة وانعكاسات ذلك على واقع المجتمعات العربية ، وإصرارنا على إبراز الأبعاد الحضارية لمثل هذا المشروع لا يعني بحثاً عن الأخلاق والشأن مع الثقافة الغربية ، بل تمسكاً بهذا الاختلاف المشرى الذي ينشأ من التقاء ثقافات وحضارات مختلفة . وهو ما يدعو إليه رجال وقيادة الفكر في الغرب أيضاً . والجديد أيضاً في هذا المركز هو وعي بعض الباحثين العرب المقيمين في العواصم الغربية بضرورة الاهتمام أكثر بدراسة الفضاء الثقافي الغربي الذي يعيشون في أروقة بهدف تقديم رؤية دقيقة وموضوعية ومواكبة لما يصدر في الغرب في كافة مجالات الثقافة الغربية . وبهذا يضطلع هؤلاء الباحثون بدور متواضع في إثراء الحياة الثقافية العربية ورفدها بما هو جديد ونشر في إنتاج الثقافة الغربية .

اللبناني يحيى التساوّل المحبير وهو، كيف نجد عملياً ما ندعو إليه بتجديده إدراكنا بالثقافة العربية وفضوله دراستها من خارجها أي من خلال رؤية عربية شرقية؟

ثم من سيدعم إذن مثل هذا المشروع الطموح؟ هل تنبأ بعض الجامعات العربية؟ بعض مراكز الابحاث؟ وزارات التعليم؟ وزارات الثقافة في العواصم العربية أو الغربية؟ في الواقع إنها تنازلات حيرتنا ولم نصل بعد إلى حسم كامل لها لكننا ب رغم ذلك نسير في طريقنا إلى تأسيس هذا المركز والتعریف بهادهه وبرامجه ووسائل تحقيقها فربما نجد آذانا ساغنة ومؤمنة بضرورة إنشاء استغراب عربى - أى دراسة الغرب من خارجه ومن خلال روقة عربية - يقدم للعالم وجه الحضارة العربية ومساهمتها في ميرة . . . التقدم الإنساني

ويطمع المركز إلى :

- ١- إصدار مجلة «دراسات غربية» كمجلة فصلية إلى حين يتتوفر لها إمكانيات الصدور بصفة شهرية .
  - ٢- إصدار سلسلة من الترجمات التي تعبّر عن فلسفة المركز وطموحاته على أن تصدر هذه السلسلة عن طريق دار نشر باسم هذا المركز .
  - ٣- إعداد نشرات متخصصة لأهم ما يصدر في الغرب من كتب في مجالات العلوم الإنسانية وفي المجالات الأخرى التي تثبت الحاجة إليها .
  - ٤- إعداد دراسات ومقالات باللغات الأجنبية ونشرها في الصحف والمجلات الغربية في نطاق فلسفة المركز وأهدافه العامة .
  - ٥- الإعداد لمجموعة من الندوات وحلقات النقاش التي تعبّر عن رسالة المركز الثقافية والحضارية ويسهم بها باحثون عرب وأجانب .
  - ٦- دعم الباحثين العرب وتوجيههم ومساعدتهم على إنجاز أبحاثهم الجامعية .
  - ٧- ترجمة الاطروحات التي أعددت ليل درجة الدكتوراه من الجامعات الغربية ونقلها إلى اللغة العربية وهي يمكن الإفادة منها .
  - ٨- تنمية النقاشات الثقافية الدائرة في الغرب والمساهمة بها ونقلها إلى اللغة العربية بصورة دقيقة وفي وقت حدوثها ..

\* \* \* \* \*



## **المؤلف في سطور**

- ينتهي أحمد الشيخ إلى هذا الجيل الجديد من الكتاب والصحفيين الذين أعلنا عن وجودهم بصورة ملفتة للنظر في السنوات الأخيرة.
- وعلى الرغم من إقامته، في العاصمة الفرنسية، أكثر من عشرين عاماً، فإنه يمثل أحد الوجوه البارزة التي حافظت على إستقلالها الوطني والحضاري ، بعيداً عن تيارات وأقئمة التغريب والحداثة الزائفة.
- وتكشف كتاباته وموافقه عن إصرار واضح في الحفاظ على هذا الاستقلال في زمن تلغى فيه المولمة كل مظاهر الإستقلال، كما تكشف كتاباته أيضاً عن مواكبة دققة لتطورات الحياة الثقافية في عواصم الغرب الكبri.
- وهو من الذين غاصوا بعمق، إن لم يكن قد شارك بالفعل، في قضايا الصراع الشعافي والحضاري الدائر منذ سنوات على أكثر من صعيد.
- وعمل أحمد الشيخ في عدة صحف ومجلات عربية أهمها :
- اليسار العربي (١٩٧٩-١٩٨٠) الوطن الكويتي (١٩٨١-١٩٨١) ومجلة الفرسان (١٩٨٦-١٩٨٨) الحياة اللندنية (١٩٩٦-١٩٩٨) ويكتب حالياً في جريدة الأزهر .
- ومن الكتب التي صدرت له:
- من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب - حوار الاستشراق (١٩٩٩)
- ترجمة كتاب : الشرق والغرب زمان الحروب الصليبية. كلود كاهن (١٩٩٥)

يصدر عن المركز العربي للدراسات الغربية الكتاب الثالث

من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب

المستشرقون العرب وازمة المناهج

**أحمد الشيخ**

فہرست

- قديم الكتاب

وكى نجيب محمود : خلافنا مع الغرب وهم متباين

فتحى رضوان : كراهيتنا للغرب .. مشروعه

نواب ركريا : الغرب لم يفرض ثقافته

أثور عبد الملك : أنا دائمًا مع ريح الشرق

على فهمي خشيم : الغرب يرفض الاستغراب

لouis عوض الغرب ... غرب

محمد هزى العجائبى : لدينا الاستغراب الملايين لنا

مصطفى صفوان : الاستغراب يؤدي إلى التحرر الوطنى

سميع فرسون : الاستغراب تقد للغرب

كرم خلـه : حذار من المركزية الشرقية

أنطوان المقلنسى للغرب دائمًا وجهان

السيد يامين : فهمنا للتربية مصدره الغرب

الحبيب الجنحانى : قضايانا أولاً والاستغراب ثانياً

أنور لوقا : أنا مستغرب بدون استغراب

محسن مهدى : فلاسفة الاسلام تكلموا باسم الآخر

علال سيناصر : مستغربون أكثر مما نظن

عز الدين قلور : نعم للاستغراب لكن بشروط

محمد النيرب : استغراب بدون استشراف

ريبيه حبشي لا شـرق ولا غـرب

محمد القباني : الترجمة تشجع على التفاهم

أمين مسلوف : مع تعدد الاتصالات والحضارات

ندوة المركز العربي للدراسات الغربية عن آفاق الاستغراب

شارك بها : حسن حشيش احمد الشيخ علاء طاهر مائيم صالح محمد العلاتي محمد سيف مجدى عبد الحافظ جيرجورايرشر

